إرشادُ الأنام
بشرح
وصايا أبي حنيفة الإمام

أو

عقودُ الماس
في طريق الدُّعاة
إلى قُلوب النَّاس

هُوَ أوّل شَرحٍ لوصِيَّةِ الإمَام أَبي حَنيفَةَ
لتلميذه يُوسُف بنِ خالد السَّمتيّ رضي اللّٰهُ عنهُما

تأليف
الشَّيخ جَميل بن محمّد عَلي حَليم
دكتور مُحاضِر في العَقيدَةِ والفِرَق

دار المشاريع
للطباعة والنشر والتوزيع

Dipindai dengan CamScanner

إِرشادُ الأَنَام

بِشَرحِ وَصَايَا أَبِي حَنِيفَةَ الإِمَام

أو

عُقُودُ المَاس

فِي طَرِيقِ الدُّعَاةِ إِلَى قُلُوبِ النَّاس

هُوَ أَوَّل شَرْحٍ لِوَصِيَّةِ الإِمَامِ أَبي حَنِيفَةَ
لِتِلْمِيذِهِ يُوسُفَ بنِ خَالِدٍ السَّمْتِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُمَا

للشَّريف الشَّيخ الدكتور
جَميل بن مُحَمَّد عَلي حَلِيم

Dipindai dengan CamScanner

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ٢٠١٨ ر

شركة دار المشاريع

بيروت لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣٠٤٣١١ (١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ١٤-٥٢٨٣ بيروت لبنان

يُطلَب من مكتَبَة جَار المَقَام
بيروت- بُرج أَبي حيدر / مُقَابل المَسجِد
+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨ / +٩٦١٣٦٧٣٩٤٦

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

Dipindai dengan CamScanner

يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ
ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ
عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللّٰهُ أن
يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئ الكريم،
مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ
فَإِنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،
ونحن لكَ من الشَّاكرين.

Dipindai dengan CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

Dipindai dengan CamScanner

التَّوطِئَة

الـميزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمـٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَّكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى،

Dipindai dengan CamScanner

وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌّ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى].

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال

Dipindai dengan CamScanner

(الله جسمٌ لا كالأجسام) وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ٧٤﴾[سورة النحل]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ٦٠﴾[سورة النحل]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ

Dipindai dengan CamScanner

سَمِيًّا﴾[سورة مريم]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٢﴾[سورة النجم]، ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[سورة فاطر]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾[سورة الصافات]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ١٦﴾[سورة الرعد]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[سورة الفرقان]، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾[سورة الفرقان]، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا،

Dipindai dengan CamScanner

فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وسَلَّم وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

Dipindai dengan CamScanner

اتِّصَالُ الشَّارِحِ بِالإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه فِي الفِقهِ وَرَسَائِلِهِ العَقَائِدِيَّة وَالفُقَهَاءِ الحَنَفِيَّة

سَنَدي فِي الفِقهِ الحَنَفِيّ

أقول وأنا جميل بن محمد علي حليم: أروي الفقه الحنفي عن مشايخ كثيرين وبطرقٍ كثيرةٍ، منهم: الشيخ الأستاذ النحوي أبو سليمان سهيل الزبيبي الدمشقي الحنفي، وهو عن الشيخ أبي الخير محمد بن محمد الميداني، وهو عن الشيخ سليم المسُوتيّ الدمشقي الحنفي، وهو عن الشيخ عبد الغني الميداني الحنفي، وهو عن السيد محمد أمين المعروف بابن عابدين، وهو عن العلامة محمد شاكر، وهو عن الشيخ مصطفى الرحمتي، وهو عن الشيخ صالح بن إبراهيم ابن سليمان الجنينيّ، وهو عن أبيه، وهو عن شيخ الفتية في زمانه الشيخ خير الدين الرملي، وهو عن الشيخ محمد بن سراج الدين الحانوتي، وهو عن أبيه الشيخ سراج الدين الحانوتي، وهو عن العلامة محب الدين بن جرباشي، وهو عن أبي الخير محمد بن محمد الرومي، وهو عن أبي الفتح محمد بن محمد الحريري، وهو عن أبيه الشيخ محمد بن علي الحريري، وهو عن العلامة قوام الدين أمير كتائب بن محمد أمير الإتقاني والعلامة حسام الدين حسين بن علي السُغناقي، كلاهما عن صاحب الكنز حافظ الدين محمد ابن محمد بن نصر البخاري النسفي، وهو عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري، وهو عن برهان الدين صاحب الهداية، وهو عن فخر الإسلام أبي الحسن علي بن محمد بن الحسين البزدوي، وهو عن شمس الأئمة أبي بكر محمد بن أحمد بن سهل

Dipindai dengan CamScanner

السرخسي، وهو عن شمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلواني، وهو عن القاضي أبي علي حسين بن خضر النسفي، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري، وهو عن الأستاذ عبد الله بن محمد بن يعقوب البذْمُني، وهو عن الأمير أبي حفص الصغير محمد البخاري، وهو عن أبيه أبي حفص الكبير أحمد بن حفص البخاري، وهو عن الإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني، وهو عن الإمام العظيم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب، وهو عن حماد بن زيد، وهو عن إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، وهو عن علقمة بن قيس النخعي الكوفي، وهو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو عن النبي محمد ﷺ، وهو عن جبريل عليه السلام.

فبهذا السند يكون بيني وبين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه تسعٌ وعشرون واسطة.

المُسَلسَل بالفُقَهَاء الحَنَفِيَّة

أخبرني به شيخنا محمد الحبشي قراءةً منه وسماعًا عليه، وهو عن والده أبي بكر بن أحمد محمد بن أبي بكر الحبشي قاضي مكة، قال والده: أخبرني به شيخنا الشيخ عمر حمدان[1] الحنفي، وأرويه بالإجازة عن شيخنا السيد محمد المرزوقي أبي حسين المكي الحنفي، وعن شيخنا الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري المدني الحنفي، ثلاثتهم عن السيد علي بن ظاهر الحنفي، قال: أرويه عن الشيخ عبد الغني المجددي الحنفي، وهو عن الشيخ محمد عابد السندي الحنفي، وهو

---

(1) وهو مالكي حنفي، درسَ ودرَّس فقه المالكية والحنفية.

Dipindai dengan CamScanner

عن الشيخ يوسف بن محمد المزجاجي الحنفي، وهو عن أبيه الشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي الحنفي، وهو عن أبيه الشيخ علاء الدين بن محمد الحنفي، وهو عن الشيخ حسن بن علي العجيمي الحنفي، وهو عن الشيخ خير الدين الرملي الحنفي، وهو عن الشيخ محمد بن سراج الدين الحانوتي الحنفي، وهو عن أحمد ابن الشلبي الحنفي، وهو عن الشيخ إبراهيم الكركي الحنفي صاحب الفيض، وهو عن الشيخ أمين الدين يحي بن محمد الأقصراي الحنفي، وهو عن الشيخ محمد ابن محمد البخاري الحنفي، وهو عن الشيخ حافظ الدين محمد بن محمد بن علي البخاري الطاهري الحنفي، وهو عن صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود الحنفي، وهو عن جده تاج الشريعة محمود الحنفي، وهو عن والده صدر الشريعة محمود الحنفي، وهو عن والده جمال الدين عبيد الله بن إبراهيم المحبوبي الحنفي، وهو عن محمد بن أبي بكر البخاري المعروف بإمام زاده الحنفي، وهو عن أبي الفضائل شمس الأئمة أبي بكر محمد بن الزرنجري الحنفي، وهو عن شمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلواني الحنفي، وهو عن أبي علي الخضر بن علي النسفي الحنفي، وهو عن أبي بكر محمد بن الفضل البخاري الحنفي، وهو عن الأستاذ عبد الله بن محمد الحارثي الحنفي، وهو عن أبي حفص الصغير محمد الحنفي، وهو عن أبيه أبي حفص الكبير أحمد بن حفص البخاري الحنفي، وهو عن محمد بن الحسن الشيباني الحنفي، وهو عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وهو عن علقمة بن مرثد عن عبد الله بن بريدة، وهو عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا بعث جيشًا أو سريةً أوصى إلى صاحبها بتقوى الله في نفسه خاصةً، وأوصاه

Dipindai dengan CamScanner

بمن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله لا تَغُلُّوا ولا تغدِروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وإلا فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين، وليس لهم في الفيء ولا في الغنيمة نصيب فإن أبوا فادعوهم إلى إعطاء الجزية فإن فعلوا فاقبلوا ذلك منهم وكفوا عنهم، وإذا حاصرتم أهل حصن أو مدينة فسألوكم أن تنزلوهم على حكم الله تعالى فلا تنزلوهم فإنكم لا تدرون ما حكم الله فيهم ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم احكموا فيهم بما رأيتم، وإذا حاصرتم أهل حصن أو مدينة فأرادوكم أن تعطوهم ذمة الله[1] أو ذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله ولا ذمة رسوله ولكن أعطوهم ذممكم وذمم ءابائكم فإنكم لأن تخفروا ذممكم أهون». قال السيد علي بن ظاهر في التحفة المدنية وغيره: «هذا حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث شعبة، وسفيان عن علقمة بن مرثد، وأخرجه أصحاب السنن أيضًا من طرق متعددة».

سَنَدِي فِي الفِقهِ الأَكبَرِ فِي أصولِ الدِّين

المشهور برواية هذا الكتاب هو ولده حمَّادٌ، وقد رويته سماعًا عن شيخي الإمام الهرري رضي الله عنه بالإسنادِ الآتي إلى المعمّر أبي الحسن علي بن أحمد ابن موسى الفارسي البلخي، وهو عن نصير، وقيل: نصر بن يحيى، وهو عن محمد

---

(١) أي أمان الله.

Dipindai dengan CamScanner

ابن مقاتل الرازي، وهو عن عصام بن يوسف، وهو عن حماد بن أبي حنيفة، وهو عن والده أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه.

سَنَدِي في الفِقهِ الأَبسَطِ في أُصُولِ الدِّين

وهو الفِقهُ الأكبَرُ رواية أَبِي مطيعٍ البَلخِيِّ عَنِ الإِمَامِ رضي الله عنه وسُمِّي بالأَبسَطِ تَمييزًا لَه عن الفِقهِ الأَكبَرِ رواية حمَّادِ بن أبي حَنِيفَةَ رَضِي الله عنه

أرويه سماعًا عن شيخنا الإمام عبد الله الهرري، وهو عن المحدث محمد ياسين بن محمد عيسى المكي الفاداني، وهو عن العلامة باقر بن نور المكي، وهو عن الحافظ محفوظ بن عبد الله الترمسي، وهو عن أبيه عبد الله بن عبد المنان الترمسي، وهو عن أبيه عبد المنان بن عبد الله بن أحمد الترمسي، وهو عن الشيخ المعمر عبد الصمد بن عبد الرحمن الفلمباني، وهو عن الحافظ المسند عاقب بن حسن الدين بن جعفر الفلمباني، وهو عن عمه طيّب بن جعفر الفلمباني، وهو عن أبيه العلامة جعفر بن محمد بن بدر الدين الفلمباني، وهو عن المسند الكبير الشمس محمد بن علاء الدين البابلي المصري الشافعي، وهو عن علي بن يحيى الزيادي، وهو عن علي بن عبد الله الحلبي، وهو عن القاضي زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، وهو عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، وهو عن أبي عبد الله شمس الدين محمد بن عليّ بن محمد بن علي بن ضرغام المعروف بابن سكر التيمي البكري المصري ثم المكي، والشمس أبي أحمد محمد بن علي بن صلاح المصري الحريري الحنفي، كلاهما عن مدرِّس الشبيلية بدمشق عبد الله بن حجاج بن عمر الكاشغري الحنفي، وهو عن

Dipindai dengan CamScanner

حسام الدين الحسين بن علي بن الحجاج السغناقي، وهو عن حافظ الدين محمد ابن محمد بن نصر النسفي البخاري، وهو عن النجم عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان النسفي، وهو عن فقيه بخارى القاضي صدر الإسلام أبي اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوي، وهو عن أبيه محمد بن الحسين، وهو عن جده الحسين بن عبد الكريم النسفي، وهو عن أبيه المفتي أبي محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوي النسفي الحنفي، وهو عن الإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، وهو عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجُوزَجَاني، وهو عن أبي سليمان موسى بن سليمان الجُوزَجَاني، وهو عن القاضي أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي.

(ح) وبالإسناد المتقدم إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الزين أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي المصري، وهو عن الحافظ علم الدين القاسم ابن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي، وهو عن مظفر الدين أحمد بن علي الساعاتي البغدادي الحنفي، وهو عن ظهير الدين أبي المظفر محمد بن عمر النوجاباذي البخاري الحنفي، وهو عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري، وهو عن صاحب الهداية برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني، وهو عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر بن عبد العزيز اليرسوخي، وهو عن صاحب تحفة الفقهاء علاء الدين أبي بكرٍ محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، وهو عن المتكلم الأصولي سيف الحقِّ أبي المُعِين ميمون بن محمد ابن محمد بن معبد بن مكحول النسفي، وهو عن أبي عبد الله الحسين بن علي الألمعي الكاشغري، وهو عن أبي مالك نصران بن نصر الختلي، وهو عن علي بن

Dipindai dengan CamScanner

الحسن بن محمد الغزالي، وهو عن المعمَّر أبي الحسن علي بن أحمد بن موسى الفارسي البلخي، وهو عن نصير بن يحيى، وهو عن القاضي أبي مطيع الحكم ابن عبد الله البلخي، وهو عن الإمام أبي حنيفة النعمان.

سَنَدِي في الوَصِيَّةِ فِي أُصُولِ الدِّين

أرويها سماعًا عن شيخنا الإمام عبد الله الهرري، وهو بالإسناد إلى حسام الدين الحسين بن علي بن الحجاج السغناقي، وهو عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر النسفي الكبير البخاري، وهو عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار بن محمد الكردري، وهو عن برهان الدين الرشداني المرغيناني، وهو عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر اليرسوخي، وهو عن علاء الدين أبي بكرٍ محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، وهو عن المتكلم الأصولي سيف الحق المعين ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول النسفي، وهو عن أبي طاهر المهدي بن محمد الحسيني، وهو عن أبي يعقوب يوسف بن منصور السياري، وهو عن المحدّث أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو السليماني البيكندي البخاري، وهو عن أبي سعيد حاتم بن عقيل بن المهتدي المراري اللؤلئي الجوهري، وهو بإسناده إلى أبي القاضي المعمَّر أبي عبد الله محمد بن سماعة بن عبد الله التميمي الكوفي.

(ح) وبالإسناد إلى الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، وهو عن الفقيه أحمد بن عمران بن موسى البغدادي ثم المصري، وهو عن القاضي محمد

Dipindai dengan CamScanner

ابن سماعة التميمي الكوفي، وهو عن الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وهو عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

سَنَدِي بِالعَالِمِ وَالمُتَعَلِّم فِي أُصُولِ الدِّين

أرويه سماعًا عن شيخنا الإمام عبد الله الهرري رضي الله عنه، وهو بالإسناد إلى الإمام الحجة أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، وهو عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، وهو عن محمد بن مقاتل الرازي، وهو عن أبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي، وهو عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

(ح) وبالإسناد إلى أبي حفص عمر بن محمد النسفي، وهو عن الحافظ القاضي أبي علي الحسن بن عبد الملك بن الحسين النسفي، وهو عن الحافظ أبي العباس جعفر بن محمد بن المعتزّ المستغفِري النسفي، وهو عن أبي عمرو محمد ابن أحمد النسفي، وهو عن الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي الكلاباذي البخاري المعروف بالأستاذ، وهو عن محمد بن يزيد، وهو عن الحسن بن صالح.

(ح) وبالإسناد إلى أبي الـمُعين ميمون بن محمد النسفي، وهو عن أبي طاهر المهدي بن محمد الحسيني، وهو عن أبي يعقوب يوسف بن منصور السياري.

(ح) وأعلى من ذلك بالإسناد إلى أبي حفصٍ عمر بن محمد النسفي، وهو عن أبي يعقوب يوسف بن منصور السياري، وهو عن المحدّث أبي الفضل أحمد

Dipindai dengan CamScanner

ابن علي بن عمرو السليماني البيكندي البخاري، وهو عن أبي سعيد حاتم بن عقيل بن المهتدي اللؤلئي الجوهري، وهو عن أبي الفضل الفتح بن الحسين بن محمد الفزاري القطان المعروف بالفتح بن أبي علوان ومحمد بن يزيد، قالا: أنبأنا الحسن بن صالح عن أبي مقاتل حفص بن سلمٍ السمرقندي.

(ح) وبالإسناد إلى الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلفٍ الدمياطي، وهو عن الأديب أبي الحسن عليّ بن خليل بن علي الدمشقي الحنفي المعروف بابن قاضي العسكر، وهو عن مدرّس الصادرية أبي الحسن برهان الدين علي بن الحسن البلخي ثم الدمشقي، وهو عن أبي الـمُعِين ميمون بن محمد النسفي، وهو عن والده محمد بن محمد بن معبد بن مكحول النسفي، وهو عن المفتي أبي محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوي النسفي الحنفي، وهو عن الإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، وهو عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجُوزَجَاني، ومحمد بن مقاتل الرازي، وهما عن أبي مطيعٍ الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي عصمة عصام بن يوسف البلخي، وهما عن أبي مقاتل حفص بن سلمٍ السمرقندي، وهو عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

سَنَدِي فِي رسالَةِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى عَالِمِ البَصرَة الإِمِامِ عُثمَانَ البَتِّيّ

أرويها سماعًا عن شيخنا الإمام عبد الله الهرري رضي الله عنه، وهو بالإسناد إلى حسام الدين الحسين بن علي بن الحجاج السغناقي، وهو عن حافظ

Dipindai dengan CamScanner

الدين محمد بن محمد بن نصر النسفي الكبير البخاري، وهو عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار بن محمد الكردري، وهو عن برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية أبي الحسن علي بن أبي بكر، وهو عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر الفرغاني اليرسوخي، وهو عن صاحب تحفة الفقهاء علاء الدين أبي بكرٍ محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، وهو عن المتكلم الأصولي أبي المُعِين ميمون بن محمد بن محمد النسفي، وهو عن أبي زكريا يحيى ابن مُطَرِّف البلخي، وهو عن أبي صالح محمد بن الحسين السمرقندي، وهو عن أبي سعيد محمد بن أبي بكر البستي، وهو عن المعمر أبي الحسن علي بن أحمد ابن موسى الفارسي البلخي، وهو عن نصير بن يحيى البلخي، وهو عن القاضي محمد بن سماعة التميمي الكوفي، وهو عن الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وهو عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

سَنَدِي بِكُتُبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ الخَمسَة

أرويها سماعًا عن شيخنا الإمام الهرري رضي الله عنه، وهو بالإسناد إلى الإمام الحجة أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، وهو عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجُوزَجَاني وأبي نصر أحمد بن العباس بن الحسين العياضي الأنصاري الخزرجي السمرقندي الفقيه الحنفي، وهو عن أبي سليمان موسى بن سليمان الجُوزَجَاني، وهو عن الإمامين أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ومحمد ابن الحسن الشيباني، وهما عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

Dipindai dengan CamScanner

(ح) وبالإسناد إلى الإمام الحجة أبي منصورٍ محمد بن محمد الماتريدي، وهو عن نصير بن يحي ومحمد بن مقاتل الرازي، وهما عن أبي مطيع الحكم ابن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن سلم بن مقاتل الفزاري الخراساني السمرقندي، وهما عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه.

إسنادي في الفقه الحنفي ورسائل أبي حنيفة والمسلسل بالفقهاء الحنفيين بسندٍ عالٍ جدًّا

أروي كلَّ ذلك إجازةً عن الشيخ المعمَّر أكثر من مائة وأربعين سنة حسن أستوران مستك الحنفي التركي، وهو عن شيخ الإسلام عارف حكمت، وهو عن الشيخ المحدث المسند محمد عابد السندي الأيوبي، وهو عن عمِّه محمد حسين بن محمد مراد الأنصاري، وهو عن الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي، وهو عن الشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي، وهو عن الشيخ أحمد بن محمد النخلي، وهو عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، وهو عن أبي النجا سالم بن محمد السنهوري، وهو عن النجم محمد ابن أحمد بن علي الغيطي، وهو عن زكريا بن محمد الأنصاري، وهو عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وهو عن أبي عبد الله الجريري محمد بن علي بن صلاح، وهو عن قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن غازي الأتقاني، وهو عن البرهان أحمد بن سعد بن محمد البخاري والحسام

Dipindai dengan CamScanner

حسين بن علي السغناقي، كلاهما عن فخر الحرمين حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري، وهو عن الإمام محمد بن عبد الستار الكردري، وهو عن عمر بن عبد الكريم الدرمكي، وهو عن عبد الرحمن بن محمد الكرماني، وهو عن أبي بكر الحسين بن محمد، وهو عن أبي عبد الله الروزني، وهو عن أبي زيد الدبوسي، وهو عن أبي حفص الأشروسني، وهو عن أبي علي الحسين بن خضر النسفي، وهو عن أبي محمد عبد الله بن محمد ابن يعقوب الحارثي، وهو عن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص الكبير، وهو عن أبيه، وهو عن محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، وهو عن أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

فبهذا السند يكون بيني وبين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه سبعٌ وعشرون واسطة، وهذا من أعلى الأسانيد اليوم ولله الفضل والحمد على ذلك.

Dipindai dengan CamScanner

ترجمة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه

ـ اسمُهُ وكنيتُهُ ونسبُهُ وولادتُهُ وأخلاقُهُ:

هو الإمام العالم الحجَّةُ البارع الورعُ الذي أجمعَ السَّلف والخلفُ على كثرة علمه وورعه وعبادته، ودقَّة مداركه، واستنباط أدلَّته، أبو حنيفة النعمان ابن ثابت.

وقد اتُّفق على أنَّ كنيته: أبو حنيفة، واسمَه: النعمان بن ثابت. **أما اسم جدِّه فقد اختُلِف فيه**، فذهب الصاغانيُّ والفيروزءابادي[1] وابن الأثير الجزري[2] والـمِزِّيُّ[3] إلى القول بأنه زُوطا[4] بن ماه الكوفي. وذهب أبو مطيع البلخي[5] إلى القول بأنه: زوطا بن يحيى بن راشد الأنصاري، والنسفي إلى أنه: طاووس بن هرمز ملك بني شيبان، والخطيب البغدادي[6] إلى أنه النعمان ابن المرزبان. وقد رجَّح الكوثري هذه الرواية كونها موافقةً لما صحَّ عن إسماعيل ابن حمَّاد كما نصَّ عليه مسعود بن شيبة في «التعليم». وعليه فيكون اسمه: **«النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان بن زوطا»**.

---

(١) النافع الكبير، اللكنوي، (ص٤١).

(٢) مقدمة السعاية، اللكنوي، (٢٩/١).

(٣) مقدمة العمدة، اللكنوي، (٣٣/١، ٣٤).

(٤) بضم الزاي المعجمة وفتح الطاء المهملة، وقيل بفتحتين. مقدمة الهداية، اللكنوي، (٥/٢).

(٥) مقدمة السعاية، اللكنوي، (٢٩/١).

(٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٣٢٦/١٣).

Dipindai dengan CamScanner

وكذا اختُلِفَ في أصل جدّه، فقيل من بني شيبان[1]، وقيل من الأنصار العرب كما أشار إلى ذلك أبو مطيع البلخي[2]، وقيل إنه كوفيٌّ من رهط حمزة ابن حبيب الزيات المقرئ كما ذكر ذلك الكردري[3] بإسناده عن أبي صالح، وقيل من أبناء فارس[4]، وقيل من أهل كابُل[5]، وقيل من أهل بابِل[6]، وقيل من أهل الأنبار[7]، وقيل من أهل ترمذ[8]، وقيل من بلدة نساء خراسان[9].

قال طاشكبري[10] وملا علي القاري[11]: «والتوفيق بين نسبة الإمام إلى بلادٍ متعددة يمكن بأن يولد بواحدةٍ ويتوطن بأخرى، ويكون نشأته وتأهله بأخرى، وكل واحدٍ من هذه يصدق عليه أنه وطن، قيل: مَن أقام ببلدة أربع سنين ينتسب إليها، وقيل: من تأهل ببلدة فهو منهم».

---

(١) **النافع الكبير**، اللكنوي، (ص٤١).

(٢) **مقدمة السعاية**، اللكنوي، (٢٩/١).

(٣) **تهذيب الكمال**، المزي، (٤٢٢/٢٩).

(٤) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٣٢٦/١٣).

(٥) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٣٢٦/١٣). **تهذيب الكمال**، المزي، (٤٢٢/٢٩).

(٦) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٣٢٥/١٣). **النافع الكبير**، اللكنوي، (ص٤١).

(٧) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٣٢٥/١٣).

(٨) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٣٢٥/١٣).

(٩) **مفتاح السعادة**، طاشكبري زاده، (١٨٠/٢).

(١٠) **مفتاح السعادة**، طاشكبري زاده، (١٨٠/٢).

(١١) **مناقب أبي حنيفة**، علي القاري، (٤٥٢/٢).

Dipindai dengan CamScanner

وأنشد ابن المكي[1]:

نُعمانُ مِن أبناء فارسَ فارسُ للأُسْد في غابِ المَناقبِ فارسُ

العِلْمُ لَوْ فَوْقَ الثُرَيَّا بَيْتُهُ لاستنزلته من الثُّرَيَّا فارسُ

سَبَقَ الخيولَ عِرابُها لكنَّهُ سبق العِرابَ إذا تحاربَ داعِسُ

ما دارس من كان دارسَ علمِهِ في عُمرِهِ وهو الترابُ الدارسُ

ولد أبو حنيفة رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة، كما قاله حفيده إسماعيل[2] والذهبي[3] والمِزِّيّ[4] والنووي[5]، وقال ابن خِلِّكان: «وهو الأصحُّ»، وقال اللكنوي[6]: «وهو الأشهر»، وقال الموفق المكي[7]: «وهي الصحيح

(١) مناقب أبي حنيفة، ابن المكي، (ص١٣).
(٢) مقدمة السعاية، اللكنوي، (١/٢٧، ٢٨).
(٣) العبر، الذهبي (مُجَسَّم)، (١/٢١٤).
(٤) تهذيب الكمال، المزي، (٢٩/٤٤٤).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، (٢/٢١٦).
(٦) النافع الكبير، اللكنوي، (ص٤١).
(٧) مناقب أبي حنيفة، ابن مكي، (ص١٠).

Dipindai dengan CamScanner

المجمع عليها». وقيل سنة سبعين[1]، وقيل سنة ثلاثٍ وستين[2]، وقيل إحدى وستين[3].

وأما عن أخلاقه رضي الله عنه فكُتُبُ مناقبه رضي الله عنه مليئةٌ بذكرها، إذ ذُكرت فيها فصولٌ في هيئته وصفته وحسن زيِّه ووقاره وورعه وزهده وأمانته وحسن جواره وتهجده بالليل وقيامه وقراءته وتضرعه وسماحته وسخائه وبذله وبرِّه لوالديه وغيرها؛ وسأكتفي بذكر بعض خُلقه رضي الله عنه.

رُوي أن الخليفة الرشيد قال لأبي يوسف ـ وهو أكثر الناس ملازمةً للإمام رضي الله عنه ـ: «صِف لي أخلاق أبي حنيفة رضي الله عنه»، فقال: «كان ـ واللهِ ـ شديدَ الذبِّ عن حرمات الله، مجانبًا لأهل الدنيا، طويل الصمتِ، دائم الفكر، لم يكن مهذارًا ولا ثرثارًا، إن سئل عن مسألة كان عنده بها علمٌ أجاب فيها، وما علمته يا أمير المؤمنين إلا صائنًا لنفسه ودينه مشتغلًا بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدًا إلا بخير»، فقال الرشيد: «هذه أخلاق الصالحين»[4].

---

(١) **التأنيب**، الكوثري، (ص٣٧ ـ ٣٩).

(٢) **مناقب أبي حنيفة**، علي القاري، (٤٥٢/٢).

(٣) **الوفيات**، ابن خلّكان، (٤١٣/٥).

(٤) **مناقب أبي حنيفة**، الذهبي، (ص٦، ٧).

Dipindai dengan CamScanner

ـ طبقته:

اختلف في طبقة أبي حنيفة رضي الله عنه، والصحيح أنه رضي الله عنه من التابعين وعلى ذلك جمٌّ غفيرٌ من العلماء والحفاظ والمؤرخين منهم: ابن حجر العسقلاني في غير «التقريب»[١] والذهبي[٢] والسيوطي[٣].

ومنهم: ابن حجر المكي[٤] وابن الجوزي[٥] والنووي[٦] والدارقطني[٧] وابن سعد.

ومنهم: الخطيب[٨] والولي العراقي[٩] وأكرم السندي في «إمعان النظر في توضيح نخبة الفكر» وأبو معشر[١٠] وحمزة السهمي[١١] واليافعي[١٢].

---

(١) كما في جواب سؤال سئل عنه. **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٦، ٢٩٧).

(٢) **مناقب أبي حنيفة**، الذهبي، (ص٨).

(٣) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٥).

(٤) **الخيرات الحسان**، ابن حجر الهيتمي، (ص٢٩).

(٥) **العلل المتناهية**، ابن الجوزي، (١٣٦/١).

(٦) **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، (٢١٦/٢).

(٧) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٥).

(٨) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٢٠٨/٤).

(٩) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٦).

(١٠) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٧).

(١١) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٦).

(١٢) **مرءاة الجنان**، اليافعي، (٣١٠/١).

Dipindai dengan CamScanner

ومنهم: ابن الجزري في «أسماء رجال القراء» والتوربشتي في «تحفة المسترشدين» والسراج البلقيني صاحب «كشف الكشاف».

ومنهم: الإزنيقي في «مدينة العلوم» والـمِزِّيّ والقسطلّاني وابن كثير. ومن أنكر ذلك فهو محجوجٌ عليه بأقوالهم.

ـ أحاديثُ رواها عن الصَّحَابة:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني[1]: «وقد جمع بعضهم جزءًا فيما ورد من رواية أبي حنيفة رضي الله عنه عن الصحابة رضي الله عنهم، ولكن لا يخلو إسناده من ضعف».

وقال الحافظ السيوطي[2]: «وحاصل ما ذكره ابن حجر وغيره الحكم على أسانيد ذلك بالضعف وعدمِ الصحة لا بالبطلان، وحينئذٍ يسهل الأمور في إيرادها، لأن الضعيف تجوز روايته[3] ويطلقُ عليه أنه واردٌ، كما صرَّحوا».

---

(١) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٧).

(٢) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٥ ـ ٢٩٧).

(٣) قال جمهور علماء أهل السنة والجماعة: «يجوز رواية الحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وفي المغازي، والسير، والتفسير، والتاريخ، ويجوز من باب أولى العمل به إذا كان معناه مما أجمعت الأمة على العمل به، فما كان له أصلٌ موافقٌ من الكتاب أو السنة أو الإجماع فلا إشكال ولا بأس بإيراده والعمل بمعناه، كما قال الإمام أحمد: إذا روينا الحديث في الأحكام تشدَّدنا، وإذا رويناه في الفضائل تساهلنا».

Dipindai dengan CamScanner

فقد روى أبو حنيفة رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)(٢).

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»(٣)(٤).

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ**»(٥)(٦).

---

(١) هذا لفظ حديث مرفوع عن أنس وابن مسعود وابن عباس وأبي سعيد وابن عمر وعلي رضي الله عنهم في **سنن ابن ماجه** (٨١/١)، **والمعجم الأوسط والصغير والكبير** للطبراني (٢٤٥/٤)، (٣٦/١)، (١٩٥/١٠)، **ومعجم الإسماعيلي** (٦٥٢/٢)، **ومسند أبي يعلى** (٢٢٣/٥)، **ومسند الشهاب** (١٣٦/١) وغيرها.

(٢) قال السيوطي: «وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح لأنِّي وقفتُ له على نحو خمسين طريقًا، وقد جمعتها في جزء». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٨).

(٣) **جامع الترمذي**، الترمذي، (٤١/٥). **الأحاديث المختارة**، المقدسي، (١٨٤/٦). **مسند أحمد**، أحمد، (٣٥٧/٥).

(٤) قال السيوطي: «متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وأصله في «صحيح مسلم»، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه بلفظ: «**من دلَّ على الخيرِ فله مثل أجر فاعلِه**». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٨). ومعناه من دلَّ على الخير له ثواب وأجر دلالته على هذا الخير.

(٥) **معجم الشيوخ**، الصيداوي، (١٨٤/١). **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى، (٢٧٥/٧). **شعب الإيمان**، البيهقي، (٢٥٤/٢).

(٦) قال السيوطي: «متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وصححه الضياء المقدسي في «المختارة» من حديث بريدة رضي الله عنه». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٨).

Dipindai dengan CamScanner

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**»(١)(٢).

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيُعَافِيَهِ اللهُ وَيَبْتَلِيَكَ**»(٣)(٤).

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن عبد الله بن أُنَيْس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»(٥)(٦).

---

(١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٤٩٨/٢). **صحيح ابن خزيمة**، ابن خزيمة، (٥٩/٤). **المستدرك**، الحاكم، (١٥/٢). **الأحاديث المختارة**، المقدسي، (٢٩٣/٧). **جامع الترمذي**، الترمذي، (٦٦٨/٤).

(٢) قال السيوطي: «متنه صحيح، ورد من رواية جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٩).

(٣) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٦٦٢/٤). **المعجم الصغير**، الطبراني، (١١١/٤). **مسند الشاميين**، الطبراني، (٢١٤/١). **المعجم الكبير**، الطبراني، (٥٣/٢٢). **مسند الشهاب**، القضاعي، (٧٧/٢).

(٤) قال السيوطي: «أخرجه الترمذي من وجهٍ ءاخر عن واثلة وحسنه، وله شاهد من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩).

(٥) **سنن أبي داود**، أبو داود، (٣٣٤/٤). **مسند أحمد**، أحمد، (١٩٤/٥). **مسند الشاميين**، الطبراني، (٣٤٠/٢). **مسند الشهاب**، القضاعي، (١٥٧/١).

(٦) قال السيوطي: «هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه» من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وأصعب ما هنا أن يقال: إن عبد الله بن أنيس الجهني الصحابي المشهور وذلك قبل مولد أبي حنيفة بدهر، والجواب: أن الصحابة رضي الله عنهم المسمين عبد الله بن أنيس=

Dipindai dengan CamScanner

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا لَوْ كَمِفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»(١)(٢).

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عن عائشة بنت عجرد رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: «**أَكْثَرُ جُنْدِ اللهِ فِي الأَرْضِ الجَرَادُ لَا ءاكُلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ**»(٣)(٤).

وأنشد أبو بكر الحداد قائلًا(٥):

«إِنَّ الإمـام أبا حنيفة قد روى عن سبعة من خير صحب محمد

أنـس وواثـلـة ومعقل جابر وابنا أنيـس جـزء وابـنة عجرد».

=خمسة، فلعل الذي روى عنه أبو حنيفة واحد ءاخر منهم غير الجهني المشهور». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٩).

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، (١٣٤/٢). **سنن الدارمي**، الدارمي، (٣٧٦/١). **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، (٢٤٣/١).

(٢) قال السيوطي: «هذا الحديث متنه صحيحٌ بل متواتر». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٢٩٩).

(٣) **سنن أبي داود**، أبو داود، (٣٥٧/٣). **سنن البيهقي**، البيهقي، (٢٥٧/٩).

(٤) قال السيوطي: «هذا الحديث متنه صحيح، أخرجه أبو داود من حديث سلمان رضي الله عنه وصححه الضياء في «المختارة»». **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٣٠١).

(٥) **أبو حنيفة النعمان**، وهبي غاوجي، (ص٦١).

Dipindai dengan CamScanner

ـ شُيُوخُه وتَلَامِيذُه:

إنَّ اعتناء الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بطلب العلم وتتبع أدلته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسائله الدقيقة المتداولة بين الفقهاء أوصله إلى التردد إلى كثير من العلماء الأعلام للاستفادة، فبلغ شيوخه أربعة ءالاف شيخٍ، فيهم سبعةٌ من الصحابة، وثلاثةٌ وتسعون من التابعين، والباقي من أتباعهم[1].

ولا غرابة في هذا ولا عجب، فقد عاش رحمه الله تعالى سبعين سنةً، وحجَّ خمسًا وخمسين مرةً، وموسم الحجِّ يجمع العلماء في الحرمين الشريفين، وأقام بمكةَ رحمه الله تعالى مدة.

وكانت الكوفة مركز علمٍ وحديث تعجُّ بكبار العلماء، فإذا كان الإمام حريصًا ـ وقد كان كذلك ـ على اللُقِيِّ والاستفادة من العلم وأهله تيسَّر له في خمسٍ وخمسين سنة أن يلتقي بأربعة ءالاف شيخ، وأن يأخذ عنهم ما بين مُكْثِرٍ ومُقِلٍّ ولو حديثًا أو مسألة.

قال أبو حفصٍ الكبير: «عدُّوا مشايخ أبي حنيفة من العلماء والتابعين، فبلغوا أربعة ءالاف»[2].

وقال اللكنوي[3]: «وأما مشايخه في العلم فكثيرون».

---

(١) **أبو حنيفة النعمان**، وهبي غاوجي، (ص٤٨).

(٢) **مناقب أبي حنيفة**، ابن المكي، (ص٣٧).

(٣) **النافع الكبير**، اللكنوي، (ص٤٢).

Dipindai dengan CamScanner

وقال الذهبي[1]: «حدَّث عن عطاء ونافع وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وسلمة بن كهيل وأبي جعفر محمد بن علي وقتادة وعمرو بن دينار وأبي إسحاق وخلقٍ كثير».

وقال طاشكبري[2]: «عُدَّ مشايخهُ فبلغ [عددهم] أربعة آلاف شيخ».

وقال صاحب «قلائد عقود الدرر والعقيان»: «فلا يُنكِر هذا العدد إلا مكابرٌ أو جاهلٌ أو حاسدٌ، ألا يرى إلى ما روي عن الفِربريِّ أنه قال: سمع «الصحيح» من البخاري سبعون ألف رجلٍ، فما بقي أحدٌ يرويه غيري».

وقال محمد السُّنبهلي: «فصل في تراجم شيوخ الإمام بلا واسطة: اعلم أنَّ عامَّة شيوخه في هذا المسند من أجلِّ رجال الصحيحين كمنصور بن المعتمر ومجاهد بن جبر والحكم بن عتيبة ونافع»، ثم قال: وليس في عامة شيوخه ورجال مسنده من اتُّفق على كذبه أو وضعه أو ضعفه، ثم ضعَّف بعض النقَّاد بعضهم كابن لهيعة ومحمد بن السائب الكلبي ومسلم بن كيسان وذكر أسماء لكن لا مضايقة فيه، لأنَّ أحاديثهم لا تنزل من أن تعدَّ متابعاتٍ وشواهد على الصِّحاح، ثم عدَّد الأسماء التي أوردنا تراجم بعضهم باختصار. فمنهم:

- إبراهيم بن محمد المنتشر الكوفي.
- إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي.
- إسماعيل بن حمَّاد بن أبي سليمان الكوفي.
- أيوب السِّختِياني البصري.

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١٦٨/١).

(٢) مفتاح السعادة، طاشكبري زاده، (١٧٨/٢).

Dipindai dengan CamScanner

- الحارث بن عبد الرحمن الهمذانيُّ الكوفيّ.
- ربيعة بن عبد الرحمن المدني المعروف بربيعة الرأي.
- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- سعيد بن مسروق والد سفيان الثوري.
- سليمان بن يسار الهلاليّ المدني.
- عاصم بن كليب بن شهاب الكوفي.
- عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني.
- عطاء بن يسار الهلالي المدني.
- عمرو بن دينار المكي.
- القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
- عبد الكريم بن أبي المخارق البصري، وغيرهم الكثير.

أما في الكلام على تلاميذه رضي الله عنه، فقد أكرمه الله تعالى بتلامذة عظام، كانوا في العلوم جبالًا، يقرِّر معهم المسائل، ويقعِّد القواعد، ويتجنَّب بهم الخطأ لو أوشك أن يقع فيه.

فقد ذكر الخطيب في تاريخه[1] بسنده إلى أبي كرامة قال: «كنَّا عند وكيع ابن الجرَّاح ـ شيخ الإمام الشافعي وأحد شيوخ البخاري بالواسطة رحمهم الله تعالى ـ فقال رجل: أخطأ أبو حنيفة، فقال وكيع: وكيف يقدر أبو حنيفة أن يخطئ ومعه مثل أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر في قياسهم واجتهادهم،

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٣٥٩/١٦).

Dipindai dengan CamScanner

ومثل يحيى بن زكريَّا بن أبي زائدة وحفص بن غياث وحبَّان ومندل ابنا عليٍّ في حفظهم للحديث ومعرفتهم، ومثل القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود في معرفته بالنحو واللغة، وداود الطائي والفضيل بن عياض في زهدهما وورعهما، وعبد الله بن المبارك في معرفته بالتفسير والأحاديث والتواريخ، فمن كان أصحابه وجلساؤه هؤلاء كيف يخطئ وهو بينهم؟! وكلٌّ منهم يثني عليه، لأنَّه إن أخطأ ردُّوه إلى الصواب».

وذكر عبد القادر القرشيُّ في كتابه «الجواهر المضيَّة»[1] في ترجمة يحيى ابن زكريا بن أبي زائدة: قال الطحاوي: «كتب ابن أبي ثور يحدِّثني عن سليمان ابن عمران، حدَّثني أسد بن الفرات قال: كان أصحاب أبي حنيفة الذين دوَّنوا الكتب أربعين رجلًا، وكان في العشرة المتقدِّمين: أبو يوسف وزُفَر وداود الطَّائي وأسد بن عمرو ويوسف بن خالد السَّمتيّ ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وكان هو الذي يكتبها لهم ثلاث سنين».

وقال الموفَّق المكي[2]: «كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى تلامذة كثيرون، منهم من كان يرحل إليه، ويستمع أمدًا، ثم يعود إلى بلده بعد أن يأخذ طريقه ومنهاجه، ومنهم من لازمه، وقد قال ـ أي الإمام رحمه الله ـ: هؤلاء ستة وثلاثون رجلًا، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، وستَّةٌ يصلحون للفتوى، واثنان ـ أبو يوسف وزفر ـ يصلحان لتأديب القضاة وأرباب الفتوى».

---

(١) **الإمام أبو حنيفة النعمان**، وهبي الغاوجي، (ص٥٧).

(٢) **مناقب أبي حنيفة**، ابن المكي، (١٣١/٢).

Dipindai dengan CamScanner

ـ ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيهِ:

قال اللكنوي: «وأما ثناء الناس عليه وشهادتهم له باجتهاده في العبادة وتقواه وورعه ومبلغه في الطاعة وغيرها من المناقب وأوصاف النباهة فقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه[1] والنووي[2] وابن حجر[3] والسيوطي[4] والذهبي[5] واليافعي[6] والشعراني[7] والـمِزِّيّ[8] وغيرهم من ذلك جملة وافرةً، ولو جمعت في مجموع لكان مجلدًا كبيرًا، ولنكتفِ على بعضه، لأنَّ ما لا يدرك كله لا يترك بكماله».

ومن الذين أثنوا عليه:

- **علي بن المدينيّ**، قال: «أبو حنيفة روى عن الثوريّ وابن المبارك وحماد ابن زيد وهشام ووكيع وعباد بن العوام وجعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به».
- **شعبة بن الحجاج**، كان حسن الرأي فيه. وقيل له: مات أبو حنيفة، فقال: «لقد ذهب معه فقه الكوفة، تفضَّل الله علينا وعليه برحمته».

---

(١) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (١٠/١٥٢ ـ ١٦٥).

(٢) **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، (٢/٢١٦ ـ ٢٢٣).

(٣) **الخيرات الحسان**، ابن حجر الهيتمي، (ص٣٧ ـ ٤٢).

(٤) **تبييض الصحيفة**، السيوطي، (ص٣٠٥ ـ ٣٣٤).

(٥) **مناقب أبي حنيفة**، الذهبي، (٩/٣٤).

(٦) **مرءاة الجنان**، اليافعي، (١/٣٠٩ ـ ٣١٣).

(٧) **الميزان**، الشعراني، (١/٦٣ ـ ٧٥).

(٨) **تهذيب الكمال**، المزي، (٢٩/٤٢٢ ـ ٤٤٥).

Dipindai dengan CamScanner

وسئل ابن معين عن أبي حنيفة، فقال: «ثقةٌ، ما سمعتُ أحدًا ضعَّفه، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدِّثَ ويأمره وشعبة شعبة[1]».

قال الكشميري[2]: «فعُلم أنَّ الإمام لم يكن مجروحًا إلى زمن ابن معين رضي الله عنه، ثم وقعت وقعة الإمام أحمد رضي الله عنه في مسألة خلق القرءان وشاع ما شاع وصارت جماعة المحدثين فيه فرقًا، وإلا فقبل تلك الوقعة توجد في السلف جماعة تفتي بمذهبه».

- **يحيى بن سعيد القطَّان**، قال: «ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله». وقال: «وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى مذهب الكوفيين».
- **يحيى بن معين**، قال: «لا بأس به، لم يكن متّهمًا، ولقد ضربه يزيد ابن هبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضيًا». وقال: «الفقه فقه أبي حنيفة رضي الله عنه على هذا أدركت الناس». وقال: «القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة». قال اللكنوي: «وهذا اللفظ من ابن معين رئيس النقاد قائمٌ مقام: ثقة، صرَّح به الحافظ ابن حجر وغيره»[3].
- **الأعمش**، عندما أراد الحجَّ قال لعليِّ بن مُسْهِر: «اذهب إلى أبي حنيفة حتى يكتب لنا المناسك».

---

(١) أي أن شعبة هو من هو.

(٢) **فيض الباري شرح صحيح البخاري**، الكشميري، (١٦٩/١).

(٣) **مقدمة العمدة**، اللكنوي، (٤١/١).

Dipindai dengan CamScanner

- **وكيع**، قال: «كان أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان يؤثر رضاء الله على كلِّ شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتملها». وقال يحيى بن معين: «ما رأيت مثل وكيع، وكان يفتي برأي أبي حنيفة».
- **الغزالي**، قال: «أما أبو حنيفة رضي الله عنه فلقد كان أيضًا عابدًا زاهدًا عارفًا بالله تعالى خائفًا منه مريدًا وجه الله تعالى بعلمه، والعجب من مقلِّدي[1] الشافعي رضي الله عنه كيف يطعنون إمامًا كان يتأدَّب معه الشافعي رضي الله عنه، هل هذا إلا طعنٌ في إمام مذهبه»[2].
- **الإمام الباقر محمد بن علي رضي الله عنه**، قال: «ما أحسن هَدْيه وسمته، وما أكثر فقهه».
- **خالد الواسطي رضي الله عنه**، قال يزيد بن هارون: قال لي: «انظر في كلام أبي حنيفة لتتفقَّه، فإنه قد احتيج إليك أو قال إليه»، وروى عنه خالد الواسطي أحاديث كثيرة.
- **إبراهيم بن عكرمة المخزومي**، قال: «ما رأيت في عصري كلِّه عالمًا أورع ولا أزهد ولا أعبد ولا أعلم من الإمام أبي حنيفة»[3].
- **عبد الله بن المبارك**، قال: «لولا أنَّ الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس». وقال ابن المبارك: «بلغنا عن أبي

---

(١) أي بعضهم.

(٢) مقدمة الهداية، اللكنوي، (٢/٥، ٦).

(٣) تهذيب الأسماء، النووي، (٢/٢٢٠).

Dipindai dengan CamScanner

حنيفة أنه صلَّى الصلوات الخمسَ أربعين سنة بوضوء واحد، وكان نومه جالسًا ينام لحظةً بين الظهر والعصر، وفي الشتاء ينام لحظةً من أول الليل، وكان يجمع القرءان في ركعتين»، وقال: «ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة»، وقال: «أربعة من الأئمة ختموا القرءان في ركعتين: عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة»، وقال: «كان أبو حنيفة يجمع القرءان في ركعتين»، وقال: «كان أبو حنيفة قديمًا أدرك الشعبي والنخعي وغيرهما من الأكابر، وكان بصيرًا بالرأي يُسلَّم له فيه».

- **الفضل بن موسى السِّينانيّ**، قيل له: ما تقول في هؤلاء الذي يقعون في أبي حنيفة؟ قال: «إنَّ أبا حنيفة جاءهم بما يعقلونه وبما لا يعقلونه من العلم، ولم يترك لهم شيئًا فحسدوه».
- **عيسى بن يونس**، قال: «لا تتكلمنَّ في أبي حنيفة بسوءٍ، ولا تصدِّقنَّ أحدًا يسيء القول فيه، فإني واللهِ ما رأيت أفضل منه ولا أورع منه ولا أفقه منه».
- **مالك**، سئل: هل رأيتَ أبا حنيفة؟ فقال: «نعم، رأيتُ رجلًا لو كلَّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجَّته».
- **الشافعي**، قال: «من أراد أن يتبحَّر في الفقه فهو عيالٌ[1] على أبي حنيفة، ومن أراد أن يتبحَّر في المغازي فهو عيالٌ على محمد ابن

---

(١) أي فهو من العيال.

Dipindai dengan CamScanner

إسحاق، ومن أراد أن يتبحَّر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي»، وقال: «الناسُ عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة»، وقال: «من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه»، وقال: «كان أبو حنيفة وقوله في الفقه مسلَّمًا فيه». ومن أَبْيَن البيان وأصرح الصريح وأدل الدليل على تعظيم الشافعي لأبي حنيفة واحترامه واعتقاده فيه أنه من أهل الله ومن أهل المقامات العالية عند الله، وممَّن يُتبرَّك بهم ما رواه الخطيب البغدادي عن الشافعي رضي الله عنه، فقال ما نصه[1]: «أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن محمّد الصيمري، قال: أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ، قال: حدّثنا مكرم بن أحمد، قال: حدّثنا عمر ابن إسحاق بن إبراهيم، قال: حدّثنا عليّ بن ميمون، قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يومٍ - يعني زائرًا - فإذا عرضت لي حاجةٌ صليت ركعتين، وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى». وهذا دليل واضحٌ وقاطعٌ على أنَّ الشافعي لا يكفِّر الإمام أبا حنيفة ولا يرميه بالإرجاء، وإلا فكيف يَتبرَّك به.

- **يزيد بن هارون**، سئل: أيُّهما أفقه أبو حنيفة أو سفيان؟ قال: «سفيان أحفظ للحديث وأبو حنيفة أفقه»، وقال: «أدركتُ الناسَ فما رأيتُ أحدًا أعقلَ ولا أورع من أبي حنيفة».

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١٣٥/١).

Dipindai dengan CamScanner

- **أبو داود**، قال: «إنَّ أبا حنيفة كان إمامًا».
- **أبو عاصم النبيل**، قال: «كان أبو حنيفة يسمَّى الوَتِد لكثرة صلاته».
- **مكي بن إبراهيم**، قال: «كان أعلم أهل الأرض في زمانه»، وقال: «جالستُ الكوفيين، فما رأيتُ أورع من أبي حنيفة».
- **زهير بن معاوية**، قال لرجلٍ: «إن ذهابكَ إلى أبي حنيفة يومًا واحدًا، أنفع لك من مجيئك إليَّ شهرًا».
- **سفيان الثوري**، قال أبو يوسف: «سفيان الثوري أكثر متابعة لأبي حنيفة مِنّي».
- **ابن داود**، قال: «إذا أردتَ الآثار فسفيان، وإذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة».
- **المغيرة بن مِقْسَم الضبِّيُّ**، قال: «يا جرير ألا تأتي أبا حنيفة».
- **الحسن بن عمارة**، غسَّل أبا حنيفة حين توفِّي وقال: «غفر الله لكَ لم تفطِر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينك في الليل منذ أربعين سنة».
- **الفضيل بن عياض**، قال: «كان أبو حنيفة فقيهًا معروفًا مشهورًا بالورع معروفًا بالإفضال على من يطوف به صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار كثير الصَّمتِ قليل الكلام حتى تردَ عليه المسألة».
- **القاسم بن معن**، قال: «إنَّ أبا حنيفة قامَ ليلةً بهذه الآية: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة القمر]، فلم يزل يردِّدُها ويبكي ويتضرَّع».

Dipindai dengan CamScanner

- **أبو يوسف**، قال: «كنت أمشي مع أبي حنيفة، فقال رجلٌ لآخر: هذا أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينام الليل، فقال: واللهِ لا يتحدَّث الناس عنّي بما لم أفعل، فكان يُحيي الليل صلاةً ودعاءً وتضرُّعًا»[1].
- **جعفر بن الربيع**، قال: «أقمتُ على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيتُ أطول صمتًا منه، فإذا سئلَ عن الشيء من الفقه تفتَّحَ وسال كالوادي».
- **حفص بن عبد الرحمن**، قال: «إنه كان يحيي الليل كلَّه بقراءة القرءان ثلاثين سنة في ركعة».
- **أسد بن عمرو**، قال: «صلى أبو حنيفة فيما أحفظُ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامَّة الليل يقرأ جميع القرءان في ركعة، وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عنه أنه ختم القرءان في الموضع الذي توفِّي فيه سبعة ءالاف مرَّة».
- **ابن جريج**، فعن روح بن عبادة، قال: «كنتَ عند ابن جريج سنة [خمسين ومائة]، وأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع، وقال: أي علم ذهب».
- **زائدة**، قال: «صليتُ مع أبي حنيفة في مسجده العشاء، وخرج الناس، ولم يعلم أنَّ في المسجدَ أحدًا، فأردت أن أسأله مسألةً، فقام فافتتحَ الصلاة فقرأ حتى بلغَ هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/١٦٨).

Dipindai dengan CamScanner

ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الطور] فلم يزل يردِّدُها حتى أذَّن المؤذِّن للصبح، وأنا أنتظره».

- **عبد الرزاق الصنعاني**، قال: «ما رأيت أحدًا قَطُّ أَحْلَمَ من أبي حنيفة».
- **زفر بن هذيل**، قال: «بات الإمام أبو حنيفة عندي ليلةً فقام كلَّ ليله بآيةٍ واحدةٍ، وهي قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة القمر]. وروي عنه أنه قام الليل كلَّه بآيةٍ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الطور]. وروي عنه أنه سمع رجلًا يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [سورة الزلزلة] في صلاة العشاء، وهو خلفه، فجلس بعد خروج الناس إلى أن طلع الفجر، وهو ءاخذٌ بلحيته قائمًا يقول: يا من يَجْزِي مثقال ذرةٍ خيرًا خيرًا، ويا من يجزي مثقال ذرةٍ شرًّا شرًّا، أجِرْ عبدك نعمان من النار».
- **سفيان بن عيينة**، قال: «ما قدم مكة في وقتنا رجل أكثر صلاة من أبي حنيفة»، وقال: «أقعدني للحديث بالكوفة أبو حنيفة، أقعدني في الجامع»، وقال: «هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار فحدَّثتهم، وقال: «كان أبو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة».
- **عبد العزيز بن أبي روَّاد**، قال: «النَّاس في أبي حنيفة رجلان: جاهلٌ به وحاسد».

Dipindai dengan CamScanner

- **علي بن عاصم**، قال: «لو وزن عقلُ أبي حنيفة بعقلِ أهل الأرض[1] لرجح بهم».
- **سعيد بن أبي عروبة**، قال: «كان أبو حنيفة عالم العراق».
- **شداد بن حكيم**، قال: «ما رأيتُ أعلمَ من أبي حنيفة».
- **حماد بن زيد**، قال: «واللهِ إني لأحبُّ أبا حنيفة، لِحُبِّه لأيوب». وروى حماد بن زيد عن أبي حنيفة أحاديث كثيرة.
- **مسعر بن كِدام**، قال: «رحم الله أبا حنيفة إن كان لفقيهًا عالمًا»، وقال: «أتيتُ أبا حنيفة فرأيته يصلّي الغداة، ثم يجلسُ للناس للعلم إلى أن يصلّي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلَّى جلس إلى المغرب، فإذا صلَّى المغرب جلس إلى العشاء، فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرَّغ للعبادة لأتعاهدنَّه هذه الليلة، فتعاهدته فلمَّا خرج الناس انتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر، ودخل منزله ولبس ثيابه، وخرج إلى المسجد لصلاة الفجر»، وقال: «دخلت المسجد ليلةً فرأيت رجلًا يصلّي فاستحليت قراءته فقرأ سبعًا، فقلتُ: يركع، ثم قرأ الثلث، ثم النصف، فلم يزل يقرأ حتى ختمه كله في ركعة، فنظرتُ فإذا هو أبو حنيفة».
- **أيوب السِّخْتِياني**، قال لحماد بن زيد: «بلغني أن فقيه أهل الكوفة أبا حنيفة يريد الحجّ، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام».

---

(١) أي في زمانه.

Dipindai dengan CamScanner

- **يحي بن أيوب الزاهد**، قال: «كان أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينام الليل».
- **شريك القاضي**، قال: «كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس».
- **ابن شُبْرُمة**، قال: «عَجَزَتِ النساء أن تلِدَ مثل النعمان».
- **ابن خلّكان**، قال: «مثل هذا الإمام لا يشكُّ في دينه ولا في ورعه وتحفُّظه».

ـ عَقِيدتُهُ:

كانَ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى إمامًا من أئمة السَّلف المقدَّمين في العقيدة، وقد وفَّقه الله تعالى إلى تدوين الفقه فكانَ أوَّل من دوَّنه ورتَّبه أبوابًا، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطَّأ، ولم يسبق أبا حنيفة إلى ذلك أحدٌ[1].

وكان رضي الله عنه أوَّل من ردَّ على الفرق المنحرفة عن الجادة؛ قال الإمام عبد القاهر البغدادي في «أصول الدين»[2]: «وأوَّل متكلِّميهم من الفقهاء وأرباب[3] المذاهب أبو حنيفة والشافعي، فإنَّ أبا حنيفة ألَّف كتابًا في الردِّ على القدريَّة سمَّاه «الفقه الأكبر»».

---

(١) **إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين**، الدمنهوري، (ص٦٥).

(٢) **أصول الدين**، أبو منصور البغدادي، (ص٣٠٨).

(٣) أي أصحاب.

Dipindai dengan CamScanner

وقال الإمام الأصولي أبو المظفر الأسفراييني في «التبصير في الدين»[1]:

«فلينظر فيما صنفه أبو حنيفة رحمه الله في الكلام وهو كتاب [العالم والمتعلم] وفيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة، وقد تكلم في شرح اعتقاد المتكلمين وقرر أحسن طريقة في الرد على المخالفين، وكتاب «الفقه الأكبر»[2] الذي أخبرنا به الثقة[3] بطريق معتمد وإسناد صحيح عن نصير بن يحي عن أبي مطيع عن أبي حنيفة، وما جمعه أبو حنيفة في «الوصية» التي كتبها إلى أبي عمرو عثمان البَتِّي ورد فيها على المبتدعين، ولينظر فيما صنفه الشافعي في مصنفاته فلم يجد بين مذهبيهما تباينًا بحال... وكلُّ ما حكي عنهم خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم فإنما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجًا لبدعته، ومن لا يبالي أن يتدين بما لا حقيقة له في دينه لا يبالي نسبة الخرافات إلى أئمة الدين، لأن من كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يبالي أن يكذب على أئمة المسلمين، وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبَّس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلدًا فيها... فلا يغُرَّنَّك ما ادَّعوه من نسبتها إليه فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه إليه والله تعالى يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلالة. وبالله التوفيق».

---

(١) **التبصير في الدين**، الأسفراييني، (ص١٨٤، ١٨٥).

(٢) وقد وفقنا الله تعالى لتحقيق هذه الرسالة والتعليق عليها وشرحها؛ انظر **النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر**، ولله الفضل والمنَّة.

(٣) وهو شيخه أبو منصور البغدادي.

Dipindai dengan CamScanner

ورسالة الإمام أبي جعفر الطحاويِّ الحنفيِّ المجمع على إمامته في الفقه والحديث «بيان عقيدة فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى» هي رسالةٌ عظيمةٌ تقرِّرُ عقيدةَ السَّلف التي لا خلاف فيها بين أهل السنَّةِ كعقيدةٍ لهم جميعًا، وقد شُرِحت كثيرًا، وبعض شروحها مطبوعٌ متداول.

وقد ارتأيتُ أن أذكر الفقه الأكبر تأليف الإمام العظيم لأبيِّن أصول عقيدته الشريفة، قال رحمه الله تعالى:

«أصل التّوحيد وما يصحّ الاعتقاد عليه يجب[1] أن يقول: ءامنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشرّه من الله تعالى، والحساب، والميزان، والجنّة، والنّار، وذلك حقٌّ كلّه.

والله تعالى واحدٌ لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنّه لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه[2]، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذّاتيّة والفعليّة.

أمّا الذّاتيّة: فالحياة، والقدرة، والعلم، والكلام، والسّمع، والبصر، والإرادة.

وأمّا الفعليّة: فالتّخليق والتّرزيق والإنشاء والإبداع والصّنع، وغير ذلك من صفات الفعل.

لم يزل ولا يزال بصفاته، وأسماؤه صفةٌ له، لم يحدث له صفةٌ ولا اسمٌ، لم يزل عالمًا بعلمه، والعلم صفته في الأزل، قادرًا بقدرته، والقدرة صفةٌ له في

---

(١) أي في قلبه.

(٢) وكل العالم خَلْقُهُ فلا يُشبه شيئًا من الأشياء ولا بوجهٍ من الوجوه.

Dipindai dengan CamScanner

الأزل، وخالقًا بتخليقه، والتّخليق صفةٌ له في الأزل، وفاعلًا بفعله، والفعل صفةٌ له في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفته في الأزل، والمفعول[١] مخلوقٌ، وفعل الله تعالى غير مخلوقٍ[٢]. وصفاته في الأزل غير محدثةٍ ولا مخلوقةٍ، فمن قال إنها مخلوقةٌ أو محدثةٌ أو وقف أو شكّ فيها فهو كافرٌ بالله[٣].

والقرءان[٤] كلام الله تعالى في المصاحف مكتوبٌ، وفي القلوب محفوظٌ، وعلى الألسن مقروءٌ، وعلى النّبيّ عليه الصلاة والسلام منزّلٌ، ولفظنا بالقرءان مخلوقٌ، وكتابتنا له مخلوقةٌ، وقراءتنا له مخلوقةٌ، والقرءان غير مخلوقٍ[٥].

وما ذكره الله في القرءان حكايةً عن موسى وغيره من الأنبياء، وعن فرعون وإبليس، فإنّ ذلك كلّه كلام الله تعالى[٦] إخبارًا عنهم، وكلام الله تعالى

---

(١) المفعول أي الحادث وهو مخلوقٌ لله.

(٢) يعني أن المخلوقات حادثةٌ أما خلقُهُ لها أزليٌّ، أي أن صفةَ التخليقِ القائمةَ بذاتِ الله تعالى أزليةٌ فيخلقُ الحادثاتِ في الوقتِ الذي علِمَ وجودَها فيهِ.

(٣) من وصفَهُ بحياةٍ حادثةٍ أو شكّ في ذلكَ فهو كافرٌ وكذلكَ من اعتقدَ أنّ علمَهُ وقدرتَهُ وكلامَهُ حادثٌ فهو كافرٌ وكذلكَ من شكَّ في ذلكَ ومن توقّفَ أي قالَ: لا أقول إنها ليست قديمةً ولا حادثةً هذا أيضًا كافر.

(٤) هنا معناه اللفظ المنزّل هو المكتوب والمقروء والمحفوظ وهو دليلٌ يدل على الكلام الذاتي.

(٥) القرءانُ غيرُ مخلوقٍ: أي كلامُ الله الذاتيّ الأزليّ الأبديّ الذي ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ولا لغةٍ.

(٦) أي اللفظ المنزل لأنه ليس من تأليف مخلوقٍ وهو عبارةٌ عن كلام الله الذي لا يُشبه كلام المخلوقين.

Dipindai dengan CamScanner

غير مخلوقٍ[1] وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوقٌ، والقرءان كلام الله تعالى فهو قديمٌ[2]، لا كلامهم[3].

وسمع موسى كلام الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[سورة النساء]، وقد كان الله تعالى متكلّمًا، ولم يكن كلّم موسى[4]، وقد كان الله تعالى خالقًا في الأزل ولم يخلق الخلق ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[سورة الشورى]، فلمّا كلّم الله موسى، كلّمه بكلامه الذي هو له صفةٌ في الأزل، وصفاته كلّها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا، ونحن نتكلّم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا حروفٍ ولا آلةٍ، والحروف مخلوقةٌ، وكلام الله تعالى غير مخلوقٍ.

---

(١) أي الكلام الذاتي.

(٢) معناه القرءان هنا أي كلام الله الذاتي وليس اللفظ المنزل.

(٣) أي أنَّ الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء هي عبارةٌ عن كلام الله الذاتي تدلُّ عليه وهي ليست من كلام وتأليف الأنبياء.

(٤) أي أن الله متّصفٌ بصفة الكلام الذاتي أزلًا وأبدًا قبل أن يحصل لموسى سماع كلام الله الذاتي.

Dipindai dengan CamScanner

وهو شيءٌ لا كالأشياء[1]. ومعنى الشيء إثباته بلا جسمٍ ولا جوهرٍ ولا عرضٍ، ولا حدّ له[2]، ولا ضِدّ[3] له، ولا نِدّ[4] له، ولا مثل له، وله يدٌ ووجهٌ ونفسٌ كما ذكره الله تعالى في القرءان، فما ذكره الله تعالى في القرءان، من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفاتٌ بلا كيفٍ، ولا يقال إنّ يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصّفة[5] وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيفٍ، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيفٍ.

---

(١) معناه يجوزُ أن يقالَ: الله شيء أي موجود وهذا معنى الشيء عند أهل السنة وليس معنى الشيء عبارةً عن مخلوق كما يتوهم كثيرٌ من الجهال. ودليل ذلك قول الله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [سورة الأنعام] والله شيء لا كالأشياء أي موجود لا كالموجودات.

(٢) أي ليس له كمية بالمرة، لا صغيرة ولا وسط ولا كبيرة، ومن اعتقده أنه متّسعٌ وممتدٌّ إلى غير نهايةٍ فهو كافرٌ كمن اعتقده أنه حجمٌ صغير، فهو كافرٌ أيضا.

(٣) أي لا مُكره ولا مُغالب ولا نظير له.

(٤) أي ليس له مِثلٌ ولا شبيهٌ ولا مساوٍ له.

(٥) ومراده أنه لا يُطلق بأن اليد هي القدرة دائمًا في كل المواضع وأن القدرة هي النعمة مطلقًا في كل موضعٍ وحال، لأن اليد تأتي بعدة معانٍ، فلا يقال إن اليد ليس لها إلا معنى القدرة في جميع الآيات والأحاديث لئلا يؤدي هذا القول إلى إنكار الصفة كما فعلت المعتزلة قبحهم الله، فإنهم أنكروا الصفات. وليس مراد الإمام أبي حنيفة إنكار التأويل، فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه على اعتقاد أهل السنة والجماعة فهو يُثبت التأويل، وينفي عن الله وعن صفاته الكيفية بدليل أقواله عند تكلمه عن إضافة الوجه والنفس واليد والرضا والغضب «فما ذكره الله تعالى في القرءان مِنْ ذِكْرِ الوَجْهِ واليَدِ والنَفْسِ فَهُوَ لَهُ صِفَةٌ بِلا كَيْفٍ»، وفي أكثر من موضع نفى عن الله تعالى المشابهة والمماثلة لشيء من خلقه. فأبو حنيفة لا ينكر التأويل بل يثبته، وأما ما توهمه بعض الشراح للفقه الأكبر من أن قول المعتزلة الذي نفاه الإمام وباينه=

Dipindai dengan CamScanner

=وخالفه قولًا له، فهذا بعيدٌ من الحق، مباينٌ للواقع. وفي السلف والخلف ما لا يُحصى مِمَّن أولوا تأويلًا تفصيليًا. ولا عبرة بقول المعتزلة: «وَلاَ يُقَالُ إِنَّ يَدَهُ قُدْرَتُهُ أَوْ نِعْمَتُهُ، لأَنَّ فِيهِ إِبْطَالَ الصِّفَةِ». فقولهم هذا معارضٌ بما مرّ من عشرات النصوص المثبتة للتأويلِ، وأبو حنيفة رضي الله عنه حذر من قولهم هذا بعدما قرر عقيدة أهل السنة والجماعة، فليتنبه لذلك وليحذر لئلا يلصق قول المعتزلة بأبي حنيفة، والإمام ذكر كلامهم ثم قال: «وهو قول أهل القدر والاعتزال» في معرض الذم والإنكار له لا في معرض الإقرار ولا على وجه الاستدلال بقولهم، فإن المنصف العاقل لا يترك قول أهل الحق قاطبةً لقول المعتزلة الذين شذوا وانحرفوا. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأبسط: يد الله فوق أيديهم وليست كأيدي خلقه، ليست بجارحةٍ، وهو خالق الأيدي. وجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، وهو حافظ العرش وغير العرش، من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين. وهذا فيه دليل على بطلان قول المعتزلة، ودليل على أن أبا حنيفة أوّل اليد والوجه في حق الله تعالى على غير معنى الجارحة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]. وقال بعض الشّراح: مراد الإمام أبي حنيفة بقوله «ولا يقال إن يده قدرته» عن قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ ﴿٧٥﴾﴾[سورة ص]، فلا يقال اليد هنا القدرة لأن كل المخلوقات وجدت بقدرة الله، فلا يصير لخلق ءادم عليه السلام مزية على غيره. ويجوز أن يقال في اليد هنا بمعنى العناية. وليس مراد الإمام أن اليد لا تأتي بمعنى القدرة ولا أنه لم تأت بهذا المعنى في بعض الآيات، فقد ثبت فيما رواه علي بن أبي طلحة في صحيفته أن الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أوّل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾[سورة الذاريات]، قال: بقوة اهـ والقوة القدرة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[سورة الذاريات]. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْىدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[سورة ص] أي ذا القوة في العبادة، وإلا فإن لم تؤول على هذا النحو لا يكون لداود مزية على غيره، إذ كل البشر مؤمنهم وكافرهم يتصف بالجارحة بالعضو الذي هو اليد.

Dipindai dengan CamScanner

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيءٍ[1]، وكان الله تعالى عالمًا في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الذي قدّر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدّنيا ولا في الآخرة شيءٌ إلّا بمشيئته وعلمه وقضائه[2] وقدره[3] وكتابته في اللّوح المحفوظ، ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم.

والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيفٍ، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدومًا، ويعلم أنّه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودًا، ويعلم أنّه كيف يكون فناؤه، ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائمًا، فإذا قعد علمه قاعدًا في حال قعوده من غير أن يتغيّر علمه، أو يحدث له علمٌ، ولكن التغير والاختلاف يحدث في المخلوقين.

خلق الله تعالى الخلق سليمًا من الكفر والإيمان[4]، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحقّ بِخِذْلان الله تعالى إيّاه، وءامن من ءامن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له.

---

(١) لا من شيء: معناه أخرج الله الماء من العدم من غير أصلٍ سبق، وأما ما بعد الماء فكل الأشياء خلقها الله من أصلٍ هو الماء. وهذا الكلامُ لا يتنافى مع أن الماءَ أصلُ الأشياءِ.

(٢) قضائِهِ: هنا معناهُ خلقُهُ أي إخراجه من العدمِ.

(٣) أما القدرُ فهو التقديرُ ـ القدرُ غيرُ القضاءِ.

(٤) أولُ خروجِهِ مِن العدمِ ما كان يتصورُ شيئًا. بعدَ أن خلقَهُ على الأصلِ جعلَ الإيمانَ في من شاءَ والكفرَ في من شاء. أول خروجه من العدم ما كان يتصور شيئًا، كان خاليًا من تصور الإيمان ومن تصور الكفر، فإن أول ما يوجد ما كان فيه كفر ولا كان شاعرًا بالإيمان.

Dipindai dengan CamScanner

أخرج ذرية ءادم عليه السّلام من صلبه على صور الذّرّ، فجعلهم عقلاء، فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف]، فأقرّوا له بالرّبوبيّة فكان ذلك منهم إيمانًا، فهم يولدون على تلك الفطرة[١]، ومن كفر بعد ذلك فقد بدّل وغيّر، ومن ءامن وصدّق فقد ثبت عليه وداوم.

ولم يجبر[٢] أحدًا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان. ولا خلقهم مؤمنًا ولا كافرًا، ولكن خلقهم[٣] أشخاصًا، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرًا، فإذا ءامن بعد ذلك علمه مؤمنًا في حال[٤] إيمانه، من غير أن يتغيّر علمه وصفته.

وجميع أفعال العباد من الحركة والسّكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها، وهي كلّها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلّها ما كانت واجبةً بأمر الله تعالى وبمحبّته وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره،

---

(١) لما يخرجونَ من البطنِ لا يتصورونَ هذا ولا هذا.

(٢) أي أنّ الإنسان يؤمن أو يكفر باختياره وإرادته تحت مشيئة الله، ولا يكون مسلوب الإرادة بلا اختيار ولا قصد، والله تعالى أمر بالإيمان ونهى عن الكفر ويحصل من العبد ما سبق في تقدير الله الأزلي.

(٣) أي أوجدهم.

(٤) معنى ذلك الله علِمَ في الأزلِ أن هذا العبدَ لما يؤمِنُ أنه مؤمنٌ ثم لما يكفرُ أنه كافرٌ، في الأزلِ علِم هذا وهذا حالَ كونِهِ مؤمنًا وحالَ كونِهِ كافرًا.

Dipindai dengan CamScanner

والمعاصي كلّها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبّته ولا برضائه ولا بأمره.

والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام كلّهم منزّهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح[1]، وقد كانت منهم زلاتٌ وخطيئاتٌ، ومحمّدٌ رسول الله صلى الله عليه وعلى ءاله وسلّم، نبيه وعبده ورسوله وَصَفِيّه، ولم يعبد الصّنم، ولم يشرك بالله طرفة عينٍ قطّ.

وأفضل الناس بعد النبيِّين عليهم الصلاة والسلام: أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه، ثم عمر بن الخطّاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم عليّ بن أبي طالبٍ المرتضى، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، عابدين ثابتين على الحقّ، ومع الحقّ، نتولاهم جميعًا. ولا نذكر الصحابة إلا بخير[2].

---

(١) لعلَّ مراده أن الأنبياء بعدَ النبوةِ منـزهونَ عن الصغائرِ والكبائرِ كما يقولُ الشيخُ أبو الحسنِ الأشعريُ، وهذا خلافُ قولِ الجمهور: أنه تجوزُ عليهم الصغائرُ بعدَ النبوةِ التي ما فيها لا خسةٌ ولا دناءةٌ ـ وهو المعتمد ـ الصغائرُ التي فيها دناءةٌ لا تجوزُ عندَهُ ولا عندَ غيرِهِ. عند من جوز يُحمَلُ على غيرِهِ وهو لعل مرادَهُ بعدِ النبوة، أما ما قبلَ النبوةِ فليس عندَهُ نصٌ أنه لا تحصلُ منهم الصغائرُ التي هي غيرُ صغائرِ الخسة، في كتابهِ هذا عندَهُ لا تجوزُ عليهم. هذا الظاهرُ من عبارتِهِ. ويحتمِلُ أن يكونَ أرادَ ما بعدَ النبوةِ ويكونُ عندَهُ قيدٌ أنه يعني غيرَ صغائرِ الخسةِ.

(٢) هذا معناهُ من حيث الجملة وكذلك لمن كان لهوًى في النفس فليس لنا أن نتكلّم فيهم بغير علمٍ، أما ما تدعو الضرورة إليه لبيان الحكم الشرعي فيجوز أن نقول مثلًا إن الذين قاتلوا عليًّا مخطئون وليس لهم أجرٌ بالمرة بل عليهم وِزرٌ.

Dipindai dengan CamScanner

ولا نكفّر مسلمًا بذنبٍ من الذّنوب[1] وإن كانت كبيرةً إذا لم يستحلّها، ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسمّيه مؤمنًا حقيقةً، ويجوز أن يكون مؤمنًا فاسقًا غير كافرٍ.

والمسح على الخفين سنّةٌ، والتّراويح في شهر رمضان سنةٌ[2].

والصّلاة خلف كلّ برٍ وفاجرٍ من المؤمنين جائزةٌ.

ولا نقول إنّ المؤمن لا تضرّه الذّنوب[3]، وإنّه لا يدخل النّار، ولا إنّه يخلّد فيها وإن كان فاسقًا بعد أن يخرج من الدّنيا مؤمنًا، ولا نقول إنّ حسناتنا مقبولةٌ، وسيّئاتنا مغفورةٌ كقول المرجئة ولكن نقول: من عمل حسنةً بشرائطها خاليةً عن العيوب المفسدة والمعاني المبطلة، ولم يبطلها بالكفر والردة حتى خرج من الدنيا مؤمنًا، فإنّ الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه

---

(١) التي هي دون الكفر. وفي قوله هذا ردٌّ على الخوارج حيث قالوا بتكفير العاصي لمجرد ارتكاب المعصية.

(٢) هذا ينقضُ ما يقولُهُ بعضُ الحنفيةِ: إنّ تركَ التراويحِ إثمٌ، بعضٌ منهم قالوا: تركُ التراويحِ إثمٌ، هذا خلافُ قولِ أبي حنيفةَ.

(٣) في قول أبي حنيفة هذا ردٌّ على المرجئة في قولهم: «لا يضر مع الإيمان ذنب» بمعنى لا يعاقب عصاة المؤمنين في الآخرة، وذلك ردٌّ للنصوص وهو كفر. وأما قول بعض المسلمين: «إذا أحب الله عبدًا لم يضره ذنب»، فليس من ذلك، بل معناه أن العبد المؤمن الكامل ـ وهو من قام بما افترض الله عليه من أداء الواجبات واجتناب المحرمات وأكثرَ من النوافلِ ـ صار من أحباب الله، ومن صار من أحبابه وأوليائه إذا وقع منه ذنبٌ صغيرٌ أو كبيرٌ لا يسلبه الله الولاية ولا يموت إلا على توبة وذلك لقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس].

Dipindai dengan CamScanner

ويثيبه عليها، وما كان من السّيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها حتّى مات مؤمنًا فإنّه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه ولم يعذّبه بالنّار أصلًا[1].

والرياء إذا وقع في عملٍ من الأعمال فإنّه يبطل أجره، وكذلك العجب[2].

---

(١) الفرق بين الكفار وبين عصاة المؤمنين الذين ماتوا بلا توبة أن عصاة المؤمنين الذين ماتوا بلا توبة بعضُهم يدخلون النار جزاءً لهم على ذنوبهم وبعضُهم لا يدخلهم الله النار فضلًا منه. الله تعالى يُنقذ بعضَ هؤلاء من النار فلا يُدخِلُهم النار مهما بلغت ذنوبهم ولا يلزم مِن ذلك الخُلف في كلام الله لأنه لم يَقُل فيما أوحى به إلى الأنبياء إنه لا بد أن يُدْخِلَ كلَّ عصاةِ المسلمين الذين ماتوا بلا توبة النارَ، بل أخبر تبارك وتعالى بأنه يَغفِرُ لمن لم يكفر بالإشراك أو غيرِه من أنواع الكفر يغفر لمن شاء منهم فلا يدخلهم النار وذلك قولُه تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة النساء] ودل على ذلك الحديث الصحيح الذي ثبت عن الرسول ﷺ وذلك قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَغْفِرُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يَقَعِ الحِجَابُ**»، قيل: وما يقع الحجابُ يا رسول الله. قال: «**أَنْ تَمُوتَ النَّفْسُ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ**» رواه ابن حبان وغيره. ومثلُ الشرك سائرُ أنواع الكفر، فلا يغفر الله للكافر المشرك والكافر غير المشرك، فالكافر المشرك هو الذي يعبد غيرَ الله والكافر غيرُ المشرك كمن يَسُب الله أو رسولًا من رسل الله أو يَسُب ملكًا من الملائكة أو يَسُب شيئًا من شعائر الإسلام كالصلاة والصيام، أو ينكر ما أثبته الله في شرعه، أو ينفي ما أثبت الله أو غير ذلك من أنواع الكفر مما ذكره الفقهاء في مؤلفاتهم. وذكروا لذلك قواعدَ وقد أكثر بيانَ ذلك صاحب كتاب أنوار أعمال الأبرار في الفقه الشافعي، والأكثر توسعًا في ذلك فقهاء المذهب الحنفي كبدر الرشيد فإنه أفرد لذلك تأليفًا.

(٢) من معاصي القلب التي هي من الكبائر أن يشهد العبد عبادته ومحاسن أعماله صادرةً من نفسه غائبًا ـ أي غافلًا ـ عن تذكّر أنّها نعمةٌ من الله عليه، أي أنّ الله هو الذي تفضّل عليه=

Dipindai dengan CamScanner

والآيات ثابتةٌ للأنبياء، والكرامات للأولياء حقٌّ، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدّجّال مما روي في الأخبار أنه كان ويكون لهم فلا نسمّيها ءاياتٍ ولا كراماتٍ، ولكن نسمّيها قضاء حاجاتٍ لهم، وذلك لأنّ الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجًا وعقوبةً لهم، فيغترّون ويزدادون طغيانًا أو كفرًا، وذلك كلّه جائزٌ وممكنٌ.

وكان الله خالقًا قبل أن يخلق، ورازقًا قبل أن يرزق. والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنّة بأعين رؤوسهم[1] بلا تشبيهٍ ولا كيفيّةٍ ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافةٌ.

=بها فأقدره عليها وألهمه فيرى ذلك مزيّةً له، وهذا هو العُجب. فالعجب بطاعة الله معناه أن يعجب الإنسان بطاعاته بحيث إنّه يرى تعظيم نفسه وينسى أن الله هو الذي قدّره على هذه الطاعات، غائبًا عن المنّة أي ينسى نعمة الله عليه. والعجب لا يبطل الثواب إلا إذا كان مقارنًا للعمل، أما إذا حصل بعد الانتهاء من العمل فلا يحبط الثواب لكنه حرام. وحكي عن الإمام الشافعي أنه قال: إذا خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي أيّ النعيم ترغب ومن أيّ عقاب ترهب وأيّ عاقبة تشكر وأيّ بلاء تذكر، فإنك إذا فكرت في واحدةٍ من هذه الخصال صغر في عينك عملك. وقد سأل بعض أئمة خراسان الشيخ شهاب الدين السّهروردي فقال: القلب مع الأعمال يداخله العجب ومع ترك الأعمال يخلد إلى البطالة، فأجابه بقوله: لا تترك الأعمال وداوِ العجب بأن تعلم أنّ ظهوره من النفس فاستغفر الله فإن ذلك كفّارته ولا تدع العمل رأسًا.

(١) هذه مهمةٌ، كثيرٌ من الناسِ إذا قيلَ المؤمنونَ يرونَ الله بعدَ دخولِهم الجنةَ بأعينِ رؤوسِهم يتوهمونَ منها الجهةَ أي المقابلةَ إما مع القربِ وإما مع البعدِ وهذا خطرٌ كبير. فالمؤمن وهو=

Dipindai dengan CamScanner

والإيمان هو الإقرار والتّصديق، وإيمان أهل السّماء والأرض لا يزيد ولا ينقص[1]، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتّوحيد[2]، متفاضلون في الأعمال. والإسلام هو التّسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، ففي طريق اللّغة فرقٌ بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون إيمانٌ بلا إسلامٍ، ولا إسلامٌ بلا إيمانٍ[3]، فهما كالظّهر مع البطن. والدين اسمٌ واقعٌ على الإيمان والإسلام والشّرائع كلّها.

=في الجنة يرى الله الموجود بلا جهةٍ ولا مكانٍ ولا مقابلةٍ ولا هيئةٍ ولا صورةٍ ولا كميةٍ، يراه كما عرفهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ فالمكان للمؤمن وهو الجنة، وأما الله فلا مكان له بالمرة.

(١) الإيمانُ لا يزيدُ ولا ينقصُ عندَ أبي حنيفةَ، معناه أصلُ الإيمانِ أما وصفُهُ يزيدُ أي من حيثُ الوصفُ يزيدُ وينقصُ هذا مرادُهُ، هو يفسرُ الآياتِ التي فيها زيادةُ الإيمانِ بزيادةِ الوصفِ ليس الأصلَ، يقولُ الأصلُ لا يزيدُ ولا ينقصُ لأنه لو كانَ الأصلُ ينقصُ لكان كفرًا لأنه إذا نقصَ الأصلُ أي ذهبَ حلَّ الكفرُ محلّهُ هذا مرادُهُ بقولِهِ لا يزيدُ ولا ينقصُ، أما القولُ الآخرُ فهو قول الأكثر، يقولونَ: الإيمانُ يزيدُ وينقصُ باعتبارِ القوةِ والضعفِ.

(٢) أي في الأصل. فالإيمان لما كان هو التصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصله غير متفاوت، وإنما التفاوت في صفته، والتفاضل في الإيمان بين أفراد المؤمنين على حسب تفاضلهم في التقى ومخالفة الهوى والإكثار من النوافل، فمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فمراده أن أصل الإيمان الذي لا يتحقق معناه بدونه لا يزيد ولا ينقص، وقد اختلفت عبارات السلف في ذلك فمنهم من قال هذا وهو أبو حنيفة ومن تبعه، ومنهم من قال: الإيمان يزيد وينقص، وهذا اختلاف لفظي.

(٣) معناهُ لا يكونُ الإسلامُ معتبرًا إلا مع الإيمانِ ولا الإيمانُ معتبرًا إلا مع الإسلامِ.

Dipindai dengan CamScanner

نعرف الله تعالى حقّ معرفته[1] كما وصف نفسه في كتابه وليس يقدر أحدٌ أن يعبد الله تعالى حقّ عبادته كما هو أهلٌ له، لكنّه يعبده بأمره كما أمر. ويستوي المؤمنون كلّهم في المعرفة واليقين والتوكّل والمحبّة والرّضاء والخوف والرّجاء والإيمان في ذلك[2]، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كلّه. والله تعالى متفضّلٌ على عباده، عادلٌ، قد يُعطى من الثّواب أضعاف ما يستوجبه[3] العبد تفضّلًا منه، وقد يعاقب على الذّنب عدلًا منه، وقد يعفو فضلًا منه.

وشفاعة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام حقٌّ، وشفاعة نبينا صلّى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلّم للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين[4] للعقاب حقٌّ ثابتٌ. ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حقٌّ، والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة فإن لم يكن لهم الحسنات، فطرح السّيئات عليهم جائزٌ وحقٌّ. وحوض النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم

---

(١) ومعنى قولِ الإمامِ أبي حنيفةَ «حقَّ معرفتِهِ» أي معرفة ما فرضَ الله على العبدِ معرفتَهُ من الصفاتِ الواجبِ معرفتُها، أي معرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه سبحانه وما يجوز في حقه عزّ وجلّ كخلق شيء وتركه. ولا أحدَ يعرفُ حقيقةَ الله إلا الله. وقالَ الإمامُ عبد الغني النابلسي في كتابه «رشَحاتِ الأقلامِ شرحِ كفايةِ الغلامِ في أركانِ الإسلام»: «العقولُ تعلمُهُ ـ سبحانَهُ ـ من وجهِ كونِهِ موجودًا حقًّا متصِفًا بصفاتِ الكمالِ، منزَّهًا عن صفاتِ النقصانِ، ولا تعلمُهُ من كل وجهٍ فتعرفُهُ معرفةَ تصديقٍ بوجودِهِ وذلكَ مقدارُ ما كُلِّفها بهِ». وقال الإمامُ أحمدُ الرفاعي: «غايةُ المعرفةِ بالله الإيقانُ بوجودِهِ تعالى بلا كيفٍ ولا مكانٍ».

(٢) أي في أصلِ ذلك.

(٣) أي ما يطلب العبد ثبوته له، لا بمعنى أنه يجب على الله إثابته، إذ لا يجب على الله شيء.

(٤) أي المستحقين للعقاب، لا بمعنى أنه يجب على الله معاقبته، إذ لا يجب على الله شيء.

Dipindai dengan CamScanner

حقٌّ، والجنّة والنّار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبدًا، ولا تموت الحور العين أبدًا، ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه، والله تعالى يهدي من يشاء فضلًا منه، ويضلّ من يشاء عدلًا منه، وإضلاله خذلانه، وتفسير الخذلان: أن لا يوفّق العبد إلى ما يرضاه منه، وهو عدلٌ منه، وكذا عقوبة المخذول على المعصية.

ولا يجوز أن نقول: إنّ الشّيطان يَسْلُب الإيمان من عبده المؤمن قهرًا وجبرًا، ولكن نقول: العبد يدع الإيمان فإذا تركه فحينئذٍ يَسْلُبه منه الشيطان.

وسؤال منكرٍ ونكيرٍ في القبر حقٌّ، وإعادة الرّوح إلى العبد في قبره حقٌّ. وضغطة القبر حقٌّ[1]، وعذابه[2] حقٌّ كائنٌ للكفّار كلّهم ولبعض المسلمين[3].

وكلّ ما ذكره العلماء بالفارسيّة من صفات الله تعالى عزّت أسماؤه وتعالت صفاته فجائزٌ القول به، سوى اليد بالفارسيّة[4]، ويجوز أن يقال بروي خدا بلا تشبيهٍ ولا كيفيّةٍ.

---

(١) للكفار ولبعض أهل الكبائر من المسلمين.

(٢) أي في القبر.

(٣) أي أهل الكبائر من عصاة المسلمين.

(٤) بالفارسيةِ كأنّه عندَهُم اليدُ لا تطلقُ إلا على الجارحةِ، أما في اللغةِ العربيةِ: تأتي للجارحةِ ولغيرِ الجارحةِ أي للصفةِ، تأتي بمعنى الجارحةِ والصفةِ، لذلكَ بالعربيةِ جازَ أن يقالَ يدُ الله، أما عندَهم في لغتِهم لا يفهمونَ من ترجمةِ اليدِ التي يستعملونَها إلا الجارحةَ، لذلكَ قالَ بالفارسيةِ لا يجوزُ أن يقالَ يدُ الله بلغتِهم. اليد بالفارسيةِ معناها: «دَسْت».

وعن بعض أهل هذه اللغة قال يوجد لفظان:

١- بَروئي خُدَا (الكلمة الأولى مفخّمة).

٢- بَروي خُدَا (الكلمة الأولى غير مفخّمة). وهي بالفارسية معناها: «لوجه الله».

Dipindai dengan CamScanner

وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ولكن على معنى الكرامة والـهوان، ولكن المطيع قريبٌ منه بلا كيفٍ، والعاصي بعيدٌ عنه بلا كيفٍ. والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي. وكذلك جواره[1] في الجنّة، والوقوف بين يديه بلا كيفٍ[2].

والقرءان منزّلٌ على رسول الله وهو في المصحف مكتوبٌ، وءايات القرءان كلّها في معنى الكلام مستويةٌ في الفضيلة والعظمة، إلا أنّ لبعضها فضيلة الذّكر وفضيلة المذكور مثل ءاية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله وعظمته وصفته، فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر، وفضيلة المذكور، وفي صفة الكفّار فضيلة الذّكر فحسب، وليس في المذكور وهم الكفّار فضيلةٌ، وكذلك الأسماء والصّفات كلّها مستويةٌ في الفضيلة والعظمة لا تفاوت بينهما.

ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مات على الإيمان، ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الفطرة[3] وأبو طالبٍ عمّه وأبو عليّ مات كافرًا، وقاسمٌ وطاهرٌ

---

(١) أي حفظه.

(٢) يعني أليسَ شاعَ القولُ: إن العبدَ يقفُ بينَ يدي الله، هذا ليسَ معناهُ أنّ العبدَ يكونُ عند الحسابِ قريبًا منه بالمسافةِ لأنّ القربَ والبعد المسافي لا يجوزُ عليهِ تعالى والمقابلةُ لا تجوزُ على الله لأنه ليسَ حجمًا، لا بد أن يُبينَ للناس، يقال لهم وقوفُ العبادِ للحسابِ في ذلكَ الموقفُ هو معناهُ الوقوفُ بين يدي الله، ليسَ معناه أن الله ينزلُ إلى الأرضِ والعبادُ على الأرضِ فيقابلونَهُ فيكلمهُم كما يتصورُ بعضُ الناسِ، الله ليس حجمًا متحيزًا في جهةٍ من الجهاتِ لا في العرشِ ولا في غيرِهِ ولا هو متحيزٌ في كلِ الأماكنِ والجهاتِ.

(٣) أي على الإسلام. وفي بعض النسخ (ووالدا رسول الله ماتا على الكفر) وهو خلاف الحق. وفي بعضها (ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر) وهو باطلٌ وغير صحيح.

Dipindai dengan CamScanner

وإبراهيم كانوا بني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلّم، وفاطمة وزينب ورقيّة وأمّ كلثومٍ كنّ جميعًا بنات رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلّم ورضي الله عنهنّ.

وإذا أشكل على الإنسان شيءٌ من دقائق علم التّوحيد فينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصّواب عند الله تعالى، إلى أن يجد عالمًا فيسأله، ولا يسعه تأخير الطّلب، ولا يعذر بالوقف فيه، ويكفر إن وقف[1].

---

(١) قال أبو منصور السمرقندي في تفسيره كلام أبي حنيفة رضي الله عنه ما نصه: وإذا أشكل على الإنسان أي المؤمن شيء، أي مسألة من دقائق، أي من مسائل علم التوحيد، والصفات مما لا يؤدي إلى إنكار صفة من الصفات الثلاث عشرة ولا الشك فيها، ولا شك في عصمة الأنبياء فإنه يسأل عن التفصيل الذي يحتاجه من غير شكٍّ ولا ترددٍ في مثل هذه المسائل، أما إن وصل إلى الشك أو الإنكار أو التردد فإنه يكفر ـ، فإنه ينبغي له، أي يجب عليه أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى بأن يقول مثلًا إن ما أراد الله منه حقٌّ واقع، أو يقول اعتقدت ما هو الصواب عند الله تعالى، وهذا القدر يكفي ـ مع قيد أن يكون معتقدًا للتنزيه والإيمان بالجملة ولم يحصل منه ما يناقض ذلك ـ إلى أن يجد عالمًا يعلم مسائل التوحيد والصفات، فيسأله ما أشكل عليه، ولا يسعه أي لا يجوز له، تأخير الطلب، أي تأخير طلب ما أشكل عليه من دقائق علم التوحيد، وتأخير طلب العلم الذي هو فرضٌ عليه، هو علم الإيمان وعلم ما يزول له الإيمان ويحصل به الكفر، وعلم ما يكون به من معتقد أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾[سورة محمد] وقال الله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾[سورة الأنبياء]، وقال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» أي ومسلمة، وروي عنه عليه الصلاة والسلام: «**اطلبوا العلم ولو بالصين**». ولا يعذر بالوقف فيه، أي لا يكون معذورًا بالتوقف فيما أشكل عليه من الاعتقاديات، ويكفر إن وقف فيما أشكل عليه إذا كان من ضروريات الدين لأن التوقف-

Dipindai dengan CamScanner

وخبر المعراج حقٌّ[1]، فمن ردّه فهو ضالٌّ مبتدعٌ.

وخروج الدّجّال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشّمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السّلام من السّماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصّحيحة حقٌّ كائنٌ. والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم» انتهى.

وقد ألَّف الإمام أبو حنيفة كتبه «الفقه الأكبر»، و«الرسالة»، و«الفقه الأبسط»، وكتاب «العالم والمتعلّم»، و«الوصية»، ونُسِبَت إلى الإمام رضي الله عنه، واختُلِف في نسبتها إليه كثيرًا، فمنهم من ينكر عزوها إلى الإمام مطلقًا ويزعم أنها ليست من عمله، ومنهم من ينسبها إلى محمد بن يوسف البخاري المكنى بأبي حنيفة وهذا قول المعتزلة لما فيها من إبطال نصوصهم الزائفة وادعائهم كون الإمام منهم كما في «المناقب الكَردَريَّة»، وهذا كذب على الإمام فإنه رضي الله عنه وصاحبيه أول من تكلم في أصول الدين وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة

=في المؤمَن به كفرٌ لأن التوقف يمنع التصديق، وإذا قال ءامنت بالله واعتقدت ما هو الحق عن الله تعالى، يثبت به إيمانه الإجمالي ـ هذا على تفصيل القيد التالي أنه من شك أو أنكر أو تردد أو توقف فيما لا يعذر به أمرٌ من الناس مهما بلغ به الجهل، فإنه يكفر حينئذٍ. أما ما لم يكن من هذا القبيل، أي ما كان من فروع مسائل العقيدة أو زيادة تفصيلٍ، فإن الأمر فيها أيسر وأهون من القسم الأول الذي تقدم.

(١) خبرُ المعراجِ ليسَ دليلُهُ قطعيًّا كالإسراءِ، الإسراءُ جاءَ في القرءانِ بلفظٍ صريحٍ لذلك منكرُهُ يكفُرُ، ثم هو أكثرُ شيوعًا عندَ المسلمين من المعراجِ لكنّ المعراجَ أيضًا منكره يكفرُ إن كانَ علِمَ أن المسلمينَ هذا اعتقادُهم، أما إذا لم يعتقد أن هذا عقيدةُ المسلمين فأنكرَهُ لا يكفُر، لكن يكون عليه ذنب من الكبائر، يكون فاسقًا.

Dipindai dengan CamScanner

الأولى، قال الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء[1]: «ففي «التبصرة البغدادية» أول متكلمي أهل السنة من الفقهاء أبو حنيفة ألَّف فيه «الفقه الأكبر» و«الرسالة» في نُصرة أهل السنة. وقد ناظر فرقة الخوارج والروافض والقدرية والدهرية وكانت دُعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيّفًا وعشرين مرة وفَضَّهُم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام أي علم التوحيد إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام واقتفى به تلامذته الأعلام».

وفي «مناقب الكردري»: عن خالد بن زيد العمري أنه قال: كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمدٌ وزفر وحماد بن أبي حنيفة قد خَصَمُوا بالكلام الناس أي ألزموا المخالفين وهم أئمة العلم.

وعن الإمام أبي عبد الله الصَّيْمري[2] أن الإمام أبا حنيفة كان متكلّم هذه الأمة في زمانه وفقيههم في الحلال والحرام.

وقد عُلم مما تقدم أن هذه الكتب من تأليف الإمام نفسه والصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذه الكتب من أمالي الإمام التي أملاها على أصحابه كحمَّاد وأبي يوسف، وأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن سَلْمٍ السمرقندي، فهم الذين قاموا بجمعها وتلقاها عنهم جماعة من الأئمة كإسماعيل ابن حمَّاد، ومحمد بن مقاتل الرازي، ومحمد بن سَمَاعة، ونُصَيْر بن يحيى البلخي، وشداد بن الحكم وغيرهم، إلى أن وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبي منصور الماتريدي. فمن عزاهنّ إلى الإمام صح لكون تلك المسائل من إملائه، ومَن عزاهن

---

(1) إتحاف السادة المتقين، الزبيدي، (٢/١٤).

(2) إتحاف السادة المتقين، الزبيدي، (٢/١٤).

Dipindai dengan CamScanner

إلى أبي مطيع البلخي أو غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح لكونها من جمعه. ذكره الفقيه المحدث الحافظ اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي خاتمة الحفاظ واللغويين[1].

فشُدَّ عليها يَدَيك ولا تلتفت إلى من يطعن في نسبتها إلى الإمام أبي حنيفة لما فيها من تنزيه الله عن الجسمية والتحيُّز وإثبات خلق الأفعال وهم المشبّهة الذين يعتقدون في الله الجسمية والتحيُّز في المكان والمعتزلةُ الذين يعتقدون أن الله ليس خالقًا لأفعال العباد.

وسيأتي البيان مفصَّلًا في الكلام على رمي الإمام العظيم أبي حنيفة بالإرجاء والكفر كذبًا وزورًا، وعلى غلط من سمَّاه مرجئًا من مرجئة أهل السنة، وبالله العصمة.

ـ مِحَنه:

ابتُلِي أبو حنيفة رضي الله عنه بمحنٍ عديدة في حياته فبقي صابرًا معتصمًا بحبل الله، ومنها:

المحنة الأولى: كان ذلك سنة ١٢٧هـ أيام الخليفة مروان بن محمد الأموي حين احتل الخوارج الكوفة بقيادة الضحاك بن قيسٍ الشيبانيِّ، فقد دخل الضحَّاك ومعه جماعةٌ على الإمام رحمه الله تعالى، وطلب منه أن يتوب، فقال له الإمام: «ممَّ أتوب»؟ وأعاد عليه الضحَّاك الأمر بالتوبة، فقال له الإمام: «مِمَّ

---

(١) إتحاف السادة المتقين، الزبيدي، (١٣/٢).

Dipindai dengan CamScanner

أتوب»؟ قال: «من رضاك بالتحكيم بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما»، فقال له الإمام: «هل لك أن تناظرني»؟ قال: «نعم»، فقال الإمام: «إذا اختلفنا فمن نجعل بيننا»؟ قال: «فلانًا»، فقال له الإمام: «أترضى به أن يكون حكمًا بيننا»؟، قال: «نعم»، فقال الإمام للضحاك: «قد رضيت بالتحكيم»، فانقطع الضحَّاك.

قال عليٌّ القاري: «وهذا الذي نُقِل في روايات الثَّلبِ[1] في الإمام أنه استُتيب مرَّتين، إنما كان ذلك من الخوارج، الذين كفَّروا عليًّا وكرام الصحابة رضوان الله عليهم وقاتلوهم».

المحنة الثانية: ودخل عليه وفدٌ من الخوارج تلك الأيام وقد شهروا سيوفهم فقالوا له: «هاتان جنازتان بباب المسجد، أما إحداهما فجنازةُ رجلٍ شرب الخمر حتَّى كظَّته وحشرج بها فمات، والأخرى: امرأةٌ زنت حتَّى إذا أيقنت بالحبل قتلت نفسها»، قال: «من أيِّ الملل كانا؟ من اليهود»؟ قالوا: «لا»، قال: «فمن النصارى»؟ قالوا: «لا»، قال: «فمن المجوس»؟ قالوا: «لا»، قال: «من أيِّ الملل كانوا»؟ قالوا: «من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله»، قال: «فأخبروني عن هذه الشهادة، أهي من الإيمان ثلثٌ أو ربعٌ أو خمسٌ»؟، قالوا: «إنَّ الإيمان لا يكون ثلثًا ولا ربعًا ولا خمسًا»، قال: «فكم هي من الإيمان»؟ قالوا: «الإيمان كلُّه»، قال: «فما سؤالكم إياي عن قومٍ قد زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين»، قالوا: «دعنا عنك، أمن أهل الجنة هما أم

---

(١) أي الطَّعن.

Dipindai dengan CamScanner

من أهل النار»؟ قال: أما إذا أبيتم، فإني أقول فيهما ما قال إبراهيم عليه السلام في قومٍ كانوا أعظمَ جرمًا منهما ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة إبراهيم]، وأقول فيهما ما قاله عيسى عليه السلام في قومٍ كانوا أعظم جرمًا منهما ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة]، وأقول فيهما ما قال نبيُّ الله نوحٌ عليه السلام إذ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة الشعراء]، وأقول ما قال نوحٌ عليه السلام ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة هود] وعندما سمع الخوارج هذه ألقوا السلاح.

ولو أنه رحمه الله تعالى أجابهم أول الأمر بأنهما مؤمنان لقتلوه لأنهم يكفِّرون المؤمن بفعله الذنب.

المحنة الثالثة التي مات فيها: كان ذلك سنة مائةٍ وثلاثين، وإمامنا رحمه الله في الخمسين من عمره وقد استتم الأمر من جديدٍ لبني أمية، وأمير الكوفة يومئذٍ عمر بن هبيرة.

وروى الموفَّق بسنده قال: كان ابن هبيرة واليًا على الكوفة في زمان بني أمية، فظهرت الفتن بالعراق فجمع فقهاء العراق ببابه فيهم ابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن أبي هند، فولَّى كلّ واحدٍ منهم صدرًا من عمله، وأرسل إلى أبي حنيفة فأراد أن يجعل الخاتم في يده ولا ينفذ كتابٌ إلا من تحت يد أبي حنيفة، ولا يخرج من بيتِ المال شيءٌ إلا من تحت يد أبي حنيفة، فامتنع أبو حنيفة.

Dipindai dengan CamScanner

فحلف ابن هبيرة إن لم يقبل أن يضربه، فقال له هؤلاء الفقهاء: «إننا نَنْشُدُكَ اللهَ ألا تهلك نفسك فإنَّا إخوانك، وكُلُّنا كارهٌ لهذا الأمر، ولم نجد بدًّا من ذلك»، فقال أبو حنيفة: «لو أرادني أن أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل في ذلك، فكيف وهو يريد مني أن يكتب دم رجل يضرب عنقه، وأختم أنا على ذلك الكتاب، فواللهِ لا أدخل في ذلك أبدًا»، فقال ابن أبي ليلى: «دعوا صاحبكم، فهو المصيب وغيره المخطئ».

فحبسه صاحب الشرطة، وضربه أيامًا متتالية. فجاء الضارب إلى ابن هبيرة وقال له: «إنَّ الرجل ميِّتٌ»، فقال ابن هبيرة: «قل له تخرجنا من يميننا»؟ فسأله، فقال: «لو سألوني أن أعدَّ له أبواب المسجد ما فعلتُ»، ثم اجتمع الضارب مع ابن هبيرة، فقال: «ألا ناصحٌ لهذا المحبوس أن يستأجلني فأؤجله»، فأخبر أبو حنيفة بذلك، فقال: «دعوني أستشير إخواني وأنظر في ذلك»، فأمر ابن هبيرة بتخلية سبيله، فركب دابته وذهب إلى مكة، وكان هذا سنة مائة وثلاثين، وأقام بمكة حتى صارت الخلافة العباسية، فقدم أبو حنيفة الكوفة في زمنِ أبي جعفرٍ المنصور.

لقد ضُربَ رحمه الله تعالى في هذه المحنة مائة سوطٍ على عشرة أيام، في كل يومٍ عشرة أسواط، في رأسه ووجهه وسائر جسمه، وهو في كلِّ ذلك صابرٌ لا يشكو، حتى إذا بدت ءاثار الضرب على وجهه حزن لذلك حزنًا عظيمًا خشية أن تراه أمه فتغتم لذلك.

وإنَّما عَفَّ أبو حنيفة رضي الله عنه عن القضاء لشدَّة تقواه وورعه، ولعلمه بما كان من الظلم في زمن أبي جعفر، وإلَّا فهو أهلٌ للقضاء، كيف لا

Dipindai dengan CamScanner

وهو من خرَّج الفقهاء، وكافِيكَ منهم أبو يوسف رضي الله عنه وهو أوَّل من سمِّي بقاضي القضاة، فقد روي عنه أنه قال: «اجتمعنا عند أبي حنيفة في يومٍ مطيرٍ في نفرٍ من أصحابه منهم: داود الطّائيّ والقاسم بن معنٍ وعافية بن يزيد وحفص بن غياثٍ ووكيع بن الجرّاح ومالك بن مغولٍ وزفر فأقبل علينا بوجهه»، وقال: «أنتم مسارّ قلبي، وجلاء حزني... ما منكم واحدٌ إلا وهو يصلح للقضاء، فسألتكم بالله وبقدر ما وهب الله لكم من جلالة العلم ما صنتموه عن ذُلِّ الاستئجار»[1].

ـ وَفَاتُهُ:

روى الموفَّق بسنده إلى عبد الله بن واقد قال: غسل الحسن بن عمارة أبا حنيفة وكنت أصبُّ الماء عليه، فرأيت جسمهُ جسمًا نحيفًا قد أذابه من العبادة والجهد، فلمَّا فرغ الحسن من غسله مدح أبا حنيفة وذكر بعض خصاله، وتكلَّم بكلماتٍ أبكى الجميعَ، فلمَّا رفعت جنازته لم أرَ باكيًا أكثر من يومئذٍ[2].

وكانت الكلمات التي تكلَّم بها الحسن ـ كما روى الموفَّق في مناقبه ـ: «رحمك الله وغفر لك، لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة».

---

(١) **مناقب أبي حنيفة**، الذهبي، (ص٢٨).

(٢) **مناقب أبي حنيفة**، ابن المكي، (١٨٥/٢).

Dipindai dengan CamScanner

وكان رحمه الله تعالى قد أوصى أن يُدفنَ بأرض الخيزران فحملَ إليها، وحضر جنازته جمٌّ غفيرٌ، قُدِّر بخمسين ألف رجلٍ، وصُلِّيَ عليه ستَّ مرَّاتٍ، ءاخرها صلاة ولده حمَّاد.

وجاء المنصور فصلَّى على قبره، ومكث الناس يصلُّون على قبره أكثر من عشرين يومًا. ولمَّا بلغ المنصور أن أبا حنيفة أوصى بأن يدفن هناك حيث دفن قال: من يعذرني منك حيًّا وميتا[1].

وروى الموفَّق بسنده إلى أبي يوسف قال: «مات أبو حنيفة في النصف من شوال سنة خمسين ومائة رحمه الله تعالى».

وكانت وفاته سنة ١٥٠هـ[2] في رجبٍ وهو ساجدٌ في السجن، وأوصى أن يُدفَنَ بمقابر الخيزران فدُفِنَ فيها[3].

---

(١) **مناقب أبي حنيفة**، ابن المكي، (٢/١٨٠).

(٢) **مناقب أبي حنيفة**، الذهبي، (ص٢١).

(٣) **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**، الصيمري، (ص٨٧، ٨٨).

Dipindai dengan CamScanner

ترجمة تلميذ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه
الفقيه يوسف بن خالد السَّمتِي

ـ اسمه ولقبه:

هو أبو خالد يوسف بن خالد بن عُمير السَّمتي[1] البصريّ، مولى صخر بن سهل بن صخر الليثيّ.

وسهلُ بن صخر هذا معدودٌ في الصحابة رضوان الله عليهم.

والسَّمتي نسبة إلى السَّمتِ وهو الهدي والدلّ، فقد كان جميل السمت والهدي. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ: «قيل ليوسف بن خالد: السمتي للحيته وسمته»[2].

ـ ولادته:

ولد يوسف بن خالد السمتي في البصرةِ سنة ١٢٠هـ

ـ شيوخه:

أخذ العلمَ عن عددٍ من كبارِ علماء عصره، منهم: الإمام أبو حنيفةَ النعمان رضي الله عنه، ويقول عن ذلك ابن أبي الوفاءِ القرشي الحنفي: «أحد

---

(١) بفتح السين المهملة وسكون الميم وفي ءاخرها التاء المنقوطة باثنتين من فوقها، هذه النسبة إلى السمت والهيئة. **الأنساب**، السمعاني، (٢١١/٧).

(٢) **الأنساب**، السمعاني، (٢١١/٧).

Dipindai dengan CamScanner

أصحاب الإمام أبي حنيفة، قال الصيمري: كان قديم الصحبة لأبي حنيفة كثير الأخذ عنه»[1]. ومنهم: إسماعيل بن أبي خالد وهو من رجال صحيح البخاري، وخالد الحذَّاء وعاصم الأحول وموسى بن عقبة وغيرهم كثير[2].

ـ صحبته لأبي حنيفة رضي الله عنه:

يذكر عن نفسه سبب صحبته لأبي حنيفةَ رحمه الله تعالى فيقول[3]: «كان سبب لزومي أبا حنيفة أني كنت يومًا بالكوفة على بابِ الأعمش، وكانت لي مسائل أعاني بها أصحاب الحديث، فكلَّمني رجلٌ منهم، فسألته عن بعض تلك المسائلِ فقال لي: هاهنا من هو أعلمُ بهذه المسائل منكَ، قلت: من هو؟ قال: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، قال: وما سمعت بذكره قبل ذلك الوقت، قلت: وأين ينزل؟ قال: في بني حرام، فأتيت بني حرام، فوجدته إمامهم، وهو يصلي بهم العصر، فلمَّا صلَّى انحرفَ، فسألته عن تلك المسائلِ التي كانت معي، فجعل يجيبني فيها حتى نفدت، وكان ـ والله أعلمُ ـ بما في قلبي مني بها، فقلت له: أنت صاحبي، وأخبرته خبري، فأقمت عليه حتى كنتُ أمرُّ بنادي القومِ، فمن كثرةِ مروري بها صاروا لي أصدقاء، ثم توفَّوا فصار أولادهم لي أصدقاء، ثم استأذنته في الرجوع إلى أهلي بالبصرةِ، فأذنَ لي».

---

(١) **الجواهر المضية**، ابن أبي الوفاء، (٢/٢٢٧).

(٢) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المزي، (٣٢/٤٢١).

(٣) **فضائل أبي حنيفة وأخباره ومناقبه**، ابن أبي العوام، (ص٣٧٤).

Dipindai dengan CamScanner

ـ تلاميذه:

أخذ عن الإمام يوسف كثيرون منهم: ولده خالد بن يوسف وخليفة بن خياط صاحبِ التاريخ المشهور وأحمد بن موسى الضبي ونصر بن علي الجهضمي وغيرهم.

ـ اتهامه بالزندقة والإرجاء:

لم يسلم السَّبتي من الطَّعن، وقد حذَّره أبو حنيفةَ رضي الله عنه في وصيته حيث قال له: «كأني بكَ وقد دخلتَ بَصْرةَ، وأقبلتَ على المناقضةِ مع مخالفيكَ، ورفعتَ نفسَك عليهم، وتطاولتَ بعلمِك لديهم، وانقبضتَ عن معاشرتهم ومخالطَتِهم، وهَجَرْتَهم فَهَجروكَ، وشَتَمْتَهُم فَشَتَموكَ، وضلَّلتَهُم فضلَّلُوك، وبدّعتَهم فبدَّعوك، واتَّصَلَ ذلك الشَّيْنُ بنا وبكَ، واحتجتَ إلى الهربِ، والانتقالِ عنهم، وليس هذا برأيي! فإنَّه ليس بعاقلٍ مَنْ لم يدار من ليس له من مداراتِهِ بُدٌّ، حتى يجعلَ الله تعالى له مخرجًا».

فرماه يحي بن معين بالزندقة، فقال ما صورته: «كذَّابٌ زنديقٌ، لا يُكتَب حديثه»، وقال أيضًا: «كذَّابٌ خبيثٌ، عدوُّ الله عزَّ وجلَّ، رجل سوءٍ، رأيته بالبصرة لا يُحدِّثُ عن أحدٍ فيه خير». وقال عنه أبو داود: «كذَّاب»، وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال عنه البخاري في «التاريخ الكبير»: «سكتوا عنه» إلى غير ذلك من ألقاب الجرح. وقد روى ابن أبي حاتم عن أبيه قال: «سمعت أبي وسألته عن يوسف بن خالد السمتي فقال: أنكرت قول يحي بن معين فيه:

Dipindai dengan CamScanner

أنه زنديق حتى حمل إلى كتاب قد وضعه في التجهم بابًا بابًا ينكر الميزان في القيامة».

ومن جملة ما رُمِيَ به السبتي الإرجاء، وكذا اتُّهِمَ أبو حنيفة بذلك، وقد مكَّننا الله تعالى من دفع ذلك عن أبي حنيفة رضي الله عنه برسالة وسمناها بـ: «الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة».

ـ دفع التُّهَمِ عن السَّبتي:

إنَّ اعتقادنا أنَّ هذا الكتابَ الذي فيه إنكار الميزان والقيامة موضوعٌ على يوسف السّمتي، فمثلُ هذا الفقيهِ لا يؤلِّف كتابًا في التهجُّم.

بالإضافة إلى أنَّ ابن معينٍ لمَّا جرحه لم يذكر أمر هذا الكتاب، بل لم يذكر سبب جرحه أصلًا، ولو كانَ مثل هذا الكتابِ سبب جرح ابن معين له لذكرهُ وما سكتَ عنه. والأمرُ أنَّ هذا الكتابَ نُسِبَ إليه للحطِّ من شأنِه رحمه الله، لأنَّه من أتباعِ أبي حنيفةَ رضي الله عنه وكان ذا جدلٍ مع المبتدعة وغيرهم.

أضِف إلى ذلك أنَّ أبا حنيفةَ نفسه من أكبرِ الذين ردُّوا على الجهمية، بل يُروى أنَّ أبا حنيفةَ ناظرَ جهمًا وقال له: «اخرج يا كافر». ولن يؤلِّفَ مثلُ هذا الفقيه كتابًا مثل هذا وكان يجلسُ إليه علي بن المديني وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأعلام.

وكيفَ يؤلِّف السمتي مثل هذا الكتاب وقد قال الشافعي واسع الاطِّلاع رضي الله عنه فيه: «كان يوسف بن خالد رجلًا من الخيارِ، وفي حديثه ضعفٌ».

Dipindai dengan CamScanner

فكيفَ يُدَّعى بعد ذلكَ أن يوسف السمتي تلميذ أبي حنيفة ألَّف كتابًا على مذهب الجهم؟

وقد ذكر هذا المعنى الإمام بدر الدين العيني رحمه الله تعالى في كتابه «مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال المعاني والآثار»[1] فقال: «يحتمل أن يكون ما نقله أبو حاتم الرازى من وضعه كتابا فى التجهم مفتعلا عليه، أو يكون قبل اصطحابه بأبى حنيفة، لأن صحبته مع أبي حنيفة تنافي هذا الأثر، لأن الجهمية عند أبى حنيفة كالكفرة[2]، ولذلك قال لجهم: اخرج عنى يا كافر. وكيف يكون يصطحب مع مثل أبي حنيفة معتقدًا لدينه وأمانته ثم يضع له مذهبا يرده الحق؟ وهذا بعيد من هذا الرجل، على أنه ينقل عنه ورع عظيم، وحسن صلاة، وعبادة والله أعلم».

وكم من عالمٍ هو إمامٌ في فنِّه، ضعَّفوه في فنٍّ ءاخر، وراجع أقوالَ أهل الجرح والتعديل. فالسَّمتي إمامٌ في الفقهِ والكلام، ولكنَّه ضعيفٌ في الحديثِ والرواية على ما ذكره الإمام الشافعي رضي الله عنه.

غير أنَّ هذا الضعفَ ليس شديدًا إلى الحدِّ الذي وصفهُ ابن معين وابن أبي حاتم رحمهما الله تعالى، ويؤكِّد هذا ظفر التهانوي في «إعلاء السنن»[3] بقوله: «وفي «الجواهر المضية» قال الحاوي: سمعت المزني يقول: سمعت الشافعي يقول: كان يوسف بن خالد رجلًا من الخيار، وفيه تأييدٌ لما قلنا: إنَّ السمتي فيه

---

(١) **مغاني الأخيار**، بدر الدين العيني، (٣/٢٦٤).

(٢) وأبو حنيفة يكفِّرهم، وقوله هنا: "كالكفرة" أي كالكفرة المعلنين.

(٣) **إعلاء السنن**، ظفر التهانوي، (٨/٧٤).

Dipindai dengan CamScanner

ضعفُ يسيرٌ، وأكثر ما نقموا عليه الإغراق في الرأي والجدل، وإلا فالرجلُ في نفسه من الخيار، ولهذا ليَّنهُ الحافظُ ولم يضعِّفه».

وأما بالنسبة لقولِ ابن معين: «إنَّه لا يحدِّثُ عن أحد فه خير»، فقد ذكر الشيخ عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى في كتابه «الرفع والتكميل في قواعد الجرح والتعديل»[1]: «وَقَالَ السخاوي فِي «فتح المغيث»: قسَّم الذَّهَبِيّ من تكلَّم فِي الرِّجَال أقسامًا:

- فقسم تكلمُوا فِي سَائِر الروَاة كَابْن معِين وأبي حَاتِم.
- وَقسم تكلمُوا فِي كثير من الروَاة كمالك وَشعْبَة.
- وَقسم تكلمُوا فِي الرجل بعد الرجل كَابْن عيينه وَالشَّافِعِيّ.

قَالَ: وَالكل على ثَلَاثَة أقسامٍ أيضًا:

قسم مِنْهُم متعنت فِي الجرْحِ، متثبت فِي التَّعْدِيل، يغمز الرَّاوِي بالغلطتين وَالثَّلَاث، فَهَذَا إذا وثَّق شخصًا فعُضَّ على قَوْله بنواجذك، وَتمسك بتوثيقه، وإذا ضعَّف رجلًا فَانْظُر هَل وَافقه غَيره على تَضْعِيفه، فإن وَافقه وَلم يُوَثَّق ذَلِك الرجل أحْدٌ من الحذاق فَهُوَ ضَعِيف، وإن وَثَّقَهُ أَحْدٌ فَهَذَا هُوَ الَّذِي قَالُوا فِيهِ: لَا يقبل فِيهِ الْجرْح إلا مُفَسَّرًا، يَعْنِي لَا يَكْفِي فِيهِ قَول ابْن معِين مثلًا: ضَعِيف، وَلم يبيِّن سَبَب ضعفه ثمَّ يَجِيء البُخَارِيّ وَغَيره يوثقه، وَمثل هَذَا يخْتَلف فِي تَصْحِيح حَدِيثه وتضعيفه».

---

(١) الرفع والتكميل، اللكنوي، (ص٢٨٢ ـ ٢٨٤).

Dipindai dengan CamScanner

فقول ابن معينٍ غير مسلَّمٍ به، وذلك أنَّ بتتبُّعِ شيوخ السمتي رحمه الله تجد منهم أهل العلم والرواية والإسناد الذين لا مطعنَ فيهم بحال من الأحوال، فرأسهم الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، ومنهم إسماعيل بن أبي خالد البَجَلي وهو من رجال الإمام البخاري الذي قال فيه ابن حجر في «التقريب»: ثقةٌ ثَبْت، ومنهم إسماعيل بن مسلم المكي الذي قال عنه في «التقريب»: صدوق، ومنهم والده خالد بن عمير البصري الذي قال فيه: مقبول مخضرم، ومنهم سليمان الأعمش الذي قال فيه: ثقة حافظ عارف بالقراءات، ومنهم عاصم الأحوال الذي قال فيه: ثقة، ومنهم مسلم بن قعنب والد القعنبي الذي قال فيه: ثقة، وغيرهم.

ولعلَّ حقيقة الأمر تتضح بما نقله ابن سعدٍ في «الطبقات»[1]: «وكان له بصر بالرأي والفتوى والكتب والشروط. وكان الناس يتقون حديثه لرأيه». وما ذكره ابن حجرٍ في كتابه «تهذيب التهذيب»[2]، فقد قال بعد نقلِ كلام الطاعنين فيه: «وقال الساجي: ضعيف الحديث كثير الوهم، كان صاحب رأي وجدل في الدين، وهو أول من وضع كتاب الشروط وأول من جلب رأي أبي حنيفة إلى البصرة، كذَّبه يحي بن معين، وأحسب أنه حمل عليه لأنه قيل إنه ناظر نصرانيًّا فقطعه ثم قال له: أنقلد[3] قولك وتناظرني، فأحسب أن ابن معين غلط أمره من هذا الطريق».

---

(١) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، (٢١٤/٧).

(٢) **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (٤١٢/١١).

(٣) وهذا في معرضِ التهكم والإنكار.

Dipindai dengan CamScanner

وبهذين النصينِ السابقين نستطيع أن نفهمَ حملَ ابن معين على السمتي لما في كلام السمتي من خطورةٍ قد تبدو من أوَّل وهلةٍ، إلا أنَّ هذا ليس من الدواعي التي يُجرَحُ من أجلها الرجال، ويتركون ويرمون بالزندقة. وقد وضَّح الحافظ ابن حجرٍ مقولة ابنِ سعدٍ السابقة الذكر كما مرَّ.

إذًا فإنَّ الفقيه يوسف السمتي هو إمامٌ في الرأي، وهو أول من أدخل فقه أبي حنيفة إلى البصرة، وما ورد في حقِّه طعنٌ قد أوضحنا سببه وبينَّا ما وراءه.

ـ وفاته:

اختلف في وفاته على قولين، أحدهما أنه توفي سنة ١٨٩ وهو قول الكثيرين من المؤرِّخين، والثاني أنه توفي سنة ١٩٠ وهذا ما أرخه به تلميذه خليفة خياط في تاريخه[١].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، خليفة خياط، (ص٤٥٩).

Dipindai dengan CamScanner

نُبذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشَّارِح

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرةَ رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمٍ التقى ـ وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ ـ بعلَّامة العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكفله.. ورأى فيه فارسًا من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه ولا يترك مدارسة العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه حتى حضر مع الشيخ في إقراء وشرح كتبه وكتب غيره من العلماء في شتى العلوم والفنون، وسمع منه ءالاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ كثيرًا ما يُعطي الدرسَ ثم يأمر المؤلفَ بإعادته، فشبَّ ينهل المعارف ويسلك

Dipindai dengan CamScanner

سبل السلام متمسكًا بمنهاج شيخه متخلِّقًا بأخلاقه، ءامرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصرًا لقضايا الأمة.

وفي سنة ١٩٧٩ر استلم الـخَطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتَفَّت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم الناس ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلماؤها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

- الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي.
- الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي.
- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر الـمُعَمَّر عبد الكريم محمد المدرس بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي.
- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني الأندنوسي ثم المكي.
- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.
- المحدّث المعمَّر الفقيه عبد الرحمٰن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.

Dipindai dengan CamScanner

- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق بن الشيخ محمد الطاهر النّيفر.
- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.
-المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم ـ كراتشي ـ.
- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني.
- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.
- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.
- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.
- الشيخ المعمَّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.
- الشيخ الفرضي نور الدين خزنه كاتبي الدمشقي.
- الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.
- الشيخ الفقيه المعمَّر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله بن الشيخ إبراهيم الجذبه.
- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.
-المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.
- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.

Dipindai dengan CamScanner

-الشيخ المعمَّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.

-الشيخ محمد رجائي بن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.

-الشيخ يحيى بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.

-الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملّا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.

- الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.

-الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمَّر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.

- المعمَّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.

- الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.

- الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.

- المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.

- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كَسر شيخ نحاة الحبشة.

- المعمَّر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأوروي.

- المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.

- الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي.

- العلّامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.

- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأوروي الشافعي.

Dipindai dengan CamScanner

- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمٰن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
- الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
- الشيخ المعمَّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
- الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.
- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.
- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب.
- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.
- الشيخ المسند الرابغي عبد القادر البخاري.
- الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحليم الداري.
- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.
- العلامة الفقيه عبد الرحمٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمٰن البخاري.
- الشيخ المعمر محمد طاهر ءايت علجت الجزائري.
- الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.

Dipindai dengan CamScanner

- الشيخ العلّامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.
- الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.
- الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وبالإجمال فإجازاته فاقت السبعمائة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ فلينظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي».

وفي سنة ١٩٨٥ر تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد محمدًا والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة ١٩٩٥ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري:
  - الدليل القويم على الصراط المستقيم.
  - متن الصراط المستقيم.

Dipindai dengan CamScanner

- الشرح القويم على الصراط المستقيم.
- إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.
- المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية.
- المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
- العقيدة المنجية.
- صريح البيان في الرد على من خالف القرءان.
- بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب (١ـ٢).
- شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله.
- التحذير الشرعي الواجب.
- رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي.
- رسالة في الرد على قول البعض: إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله.
- الغارة الإيمانية في ردِّ مفاسد التحريرية.
- الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية.
- صفوة الكلام في صفة الكلام.
- قواعد مهمة.

- رسائل السنوسي الأربعة:
  - العقيدة الكبرى.
  - العقيدة الوسطى.
  - العقيدة الصغرى (أم البراهين).

Dipindai dengan CamScanner

- المقدمات في التوحيد.

- الخريدة البهية للدردير.
- جوهرة التوحيد للقاني.
- الاعتقاد والهداية للبيهقي.
- رسائل أبي حنيفة الخمس:
  - الفقه الأكبر.
  - الفقه الأبسط.
  - العالم والمتعلم.
  - رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.
  - رسالة الوصية المسماة وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد.
- بدء الأمالي للفرغاني.
- عقيدة العوام للمرزوقي.
- كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفضالي.
- رسائل القشيري الثلاث:
  - لمع في الاعتقاد.
  - بلغة المقاصد.
  - الفصول في الأصول.
- قواعد العقائد للغزالي.
- إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري، وغيرها.

Dipindai dengan CamScanner

الكتب الحديثية:

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن أبي داود.
- جامع الترمذي.
- سنن النسائي.
- سنن ابن ماجه.
- موطأ مالك بالروايات الثلاث: رواية يحي بن يحي الليثي، ورواية أبي مصعب الزهري المدني، ورواية محمد بن الحسن الشيباني.
- صحيح ابن خزيمة.
- الأدب المفرد للبخاري.
- المسند للدارمي.
- سنن أبي داود الطيالسي.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.
- عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.
- مكارم الأخلاق للطبراني.
- شمائل الترمذي.
- الأربعون النووية.
- عقد الجوهر الثمين للعجلوني.
- الأوائل الحديثية المائة، أوائل مائة كتاب من كتب الحديث

Dipindai dengan CamScanner

بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفيها.

- الأوائل السنبلية لمحمد سنبل.
- الأذكار للنووي.
- رياض الصالحين للنووي.
- الأربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا للفاداني.
- الأربعون البلدانية، أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين بلدًا للفاداني.
- الأربعون البلدانية المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين للسلفي.
- المعجم الصغير للطبراني.
- عمل اليوم والليلة للنسائي.
- إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.
- الروائح الزكية في مولد خير البرية للهرري.
- الأربعون الهررية.
- جياد المسلسلات للسيوطي.
- الجامع الصغير للسيوطي، وغيرها.

مصطلح الحديث:

- شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
- معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.

Dipindai dengan CamScanner

- شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية.
- ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
- المنحة الربانية شرح المنظومة البيقونية لمحمد سراج.
- ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة في علوم الحديث.
- شرح ألفية العراقي للسيوطي.
- التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.
- نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي.
- شرح التبصرة والتذكرة للعراقي.

الآداب:

- تذكرة السامع والمتكلِّم في ءاداب العالم والمتعلِّم لابن جماعة.

الفقه الشافعي:

- شرح التنبيه للسيوطي.
- المهذب للشيرازي.
- منهاج الطالبين للنووي.
- تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.

Dipindai dengan CamScanner

- عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.
- الحاوي الصغير للقزويني.
- شرح متن أبي شجاع للغزي.
- شرح متن الزبد للهرري.
- المقدمة الحضرمية للحضرمي.
- فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للمليباري.
- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لزكريا الأنصاري.
- الإقناع للخطيب الشربيني.
- المنهاج القويم بشرح مسائل التعليم للهيتمي.

مجموعة كتب الإمام الشافعي:

- كتاب الأم.
- كتاب الرسالة.
- كتاب اختلاف العراقيين، وهو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.
- كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود.
- كتاب اختلاف مالك والشافعي.
- كتاب جماع العلم.
- كتاب بيان فرائض الله.
- كتاب صفة نهي رسول الله.
- كتاب إبطال الاستحسان، وهو الردُّ على محمد بن الحسن الشيباني.

Dipindai dengan CamScanner

- كتاب سير الأوزاعي.
- مختصر البويطي.
- مسند الإمام الشافعي.

علوم القرءان:

- تفسير النسفي.
- تفسير جزء عم للهرري.
- تفسير جزء تبارك للهرري.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
- الإتقان في علوم القرءان للسيوطي.

أصول الفقه وقواعده:

- الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر الأهدل.
- قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للرعيني.
- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي.
- الأشباه والنظائر للسيوطي.

وغيرها الكثير في شَتّى العلوم والفنون. ويبلغ عدد الكتب التي تلقاها قراءةً أو سماعًا أكثر من مائتي جزءٍ ومجلد.

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد

Dipindai dengan CamScanner

من الجمعيات منها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في بيروت ـ لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوِّي للمجسِّم ابن تيمية الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس ـ المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا ولله الحمد والمنة.

وهو مجازٌ بالطرق كلها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندنوسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في

Dipindai dengan CamScanner

المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

أولى اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من ءاثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[1].

---

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي:

+٩٦١٣٢١٥٣١٦

+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨

sh.jamil.halim@gmail.com

https//:www.facebook.com/Sheikh.Jameel

Dipindai dengan CamScanner

نَسَبُ الشَّارح إِلَى رَسُولِ الله ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحليم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسمٰعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى بن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد ابن السيد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين[1].

---

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ر ـ ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص١) ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في-

Dipindai dengan CamScanner

مُقدِّمةُ الكِتَاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا ببعثة محمدٍ خير الأنام، وجعلنا من أهل ملَّته ودينه الإسلام، والصلاة والسلام على النبيِّ المصطفى خير إمام، ورضي الله عن صحابته السادة الأعلام، وأزواجه وأهل بيته الكرام، والأئمة القادة العظام، الذين جاهدوا في الله ورفعوا للدين الأعلام، وأنقذوا الجهلاء من الفساد والظلام، وكانت إرشاداتهم نجاة لمن عمل بها على مر الأيام.

أما بعد، فمن هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام المجتهد التابعي الجليل الصوّام القوّام البكّاء من خشية الله في الليالي الظلماء أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه وأرضاه، ولأهمية وعلوِّ قدر وعظيم تَمكّن هذا الإمام اخترنا أن نشرح وصيّته التي جعلها منهاجًا ونِبراسًا وطريقًا للدعاة الذين يريدون النجاح والفوز، والتي جاء فيها ما يَحتاج إليه من أراد العمل في الدعوة إلى الله، ومن يريد تربية الطلاب والأتباع، والتي خصَّ بها فقيهًا في العلمِ وهو أبو خالد يوسف بن خالد بن عُمير السَّمتي.

فإنْ عَمِل القائمون على التربية والدعوة والتعليم وتنشئة الأجيال وتهذيب الأبناء بمضمون هذه الوصية فازوا وربحوا ونجوا في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى، فينبغي على كلِّ من له عملٌ في هذا المجال أن يعتني بهذه الوصية وبمضمونها مع الإخلاصِ ومحاسبة النفس.

=نسب السّادة العريضية (ص٤٣٣، ٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

Dipindai dengan CamScanner

ونرجو الله تعالى أن يجعل في هذا الشرح ـ والذي هو بحسب علمنا إلى الآن أول شرحٍ بعد هذه القرون المتطاولة ـ الخير العميم والنفع العظيم لنا ولأبنائنا ولأحبتنا وإخواننا وأخواتنا ولكلِّ مخلصٍ يريد خدمة الدين والعمل على نشر الإسلام.

Dipindai dengan CamScanner

وَصِيَّةُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ لِيُوسُفَ بنِ خَالدٍ السَّمْتِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصيةُ الإمامِ أبي حنيفةَ رحمه الله عليه لتلميذه يوسفَ بنِ خالدٍ السَّمْتيِّ البصريِّ.

وصَّىَ بها حين استأذنه الخروجَ إلى وطنهِ البصرةَ. فقال: لا، حتى أتقدمَ إليك بالوصيةِ فيما تحتاجُ إليه في معاشرةِ الناسِ، ومراتبِ أهلِ العلمِ، وتأديبِ النفسِ، وسياسةِ الرعيَّةِ، ورياضةِ الخاصَّةِ والعامَّةِ، وَتَفَقُّدِ أمرِ العامَّةِ. حتَّى إذا خرجتَ بعلمِكَ كان معكَ آلةٌ تَصْلُحُ لك وتَزِينُكَ ولا تَشينُكَ.

واعلم أنَّك متى أسأتَ عِشْرةَ النَّاسِ صاروا لك أعداءً، ولو كانوا أمهاتٍ وآباءً، ومتى أحسنْتَ عِشرةَ الناسِ من أقوامٍ ليسوا لك أقرباءَ صاروا لك أقرباءَ. ثم قال لي:

اصبر يوما حتى أفرِّغَ لك نفسي، وأجمعَ لك هِمَّتي، وأعرِّفك من الأمر ما تحمدُني، وتجعلَ نفسك عليه، ولا توفيقَ إلا باللهِ.

فلما مضى الميعادُ، قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا أكشِفُ لك عمَّا عزمتَ عليه.

كأني بكَ وقد دخلتَ بَصْرةَ، وأقبلتَ على المناقضةِ مع مخالفيكَ، ورفعتَ نفسَك عليهم، وتطاولتَ بعلمِك لديهم، وانقبضتَ عن معاشرتهم ومخالطَتِهم، وهَجَرْتَهم فَهَجروكَ، وشَتَمْتَهُم فَشَتَموكَ، وضلَّلتَهُم فضلَّلُوك، وبدّعتَهم فبدَّعوك،

Dipindai dengan CamScanner

واتَّصَلَ ذلك الشَّيْنُ بنا وبكَ، واحتجتَ إلى الهربِ، والانتقالِ عنهم، وليس هذا برأيي! فإنَّه ليس بعاقلٍ مَنْ لم يدار من ليس له من مداراتِهِ بُدٌّ، حتى يجعلَ الله تعالى له مخرجًا، قال السَّمتيُّ: ولقد كنتُ مُزْمِعًا على ما قال.

ثم قال أبو حنيفةَ رحمه الله: إذا دخلتَ البصرةَ واستقبَلَكَ الناسُ، وزاروكَ وعَرَفوا حقَّك، فأنزِلْ كلَّ رجلٍ منهم مَنْزِلَتَه، وأكْرِمْ أهلَ الشَّرفِ، وعظِّم أهلَ العلمِ، ووقِّر الشيوخَ، ولاطِفِ الأحداثَ، وتقرَّبْ مِنَ العامَّةِ، ودارِ الفجارَ، واصْحَبِ الأخْيَارَ، ولا تتهاوَنْ بالسُّلطانِ، ولا تحقِرنَّ أحدًا يقصِدُك، ولا تقصِّرنَّ في إقامةِ مودَّتِكَ إياهُم، ولا تخرجنَّ سِرَّك إلى أحدٍ، ولا تثقنَّ بصحبةِ أحدٍ حتى تمتحنه، ولا تُخَادِمْ خَسيسًا، ولا وضيعًا، ولا تقولنَّ من الكلام ما يُنكَرُ عليكَ في ظاهرِهِ.

وإياكَ والانبساطَ إلى السُّفهاءِ، ولا تجيبنَّ دعوةً، ولا تَقْبَلنَّ هديةً، وعليك بالمداراة والصبرِ والاحتمالِ وحُسنِ الخلُقِ وسَعةِ الصَّدرِ.

واستَجِدَّ ثيابكَ، وأكثرِ استعمالَ الطيبِ، وقرِّب مَجلِسَك، وليكن ذلك في أوقاتٍ معلومةٍ.

واجعل لنفسك خَلوةً ترمُّ بها حوائِجَكَ، وابحث عن أخبارِ حشَمِك، وتَقدَّم في تقويمهِم وتأديبهِم، واستَعْمِلْ في ذلك الرِّفْقَ ولا تُكْثِرِ العَتَبَ فيهونَ العَذْلُ ولا تلِ تأديبَهم بنفسِكَ، فإنَّه أبقى لمائِك، وأهْيَبُ لك.

وحافِظْ على صلواتِكَ، وابذُل طعامك، فإنه ما سادَ بخيلٌ قطُّ، وليكنْ لكَ بِطانةٌ تُعرِّفُكَ أخبارَ الناسِ، فمتى عَرَفْتَ بفسادٍ بادرتَ إلى صلاحٍ، ومتى

Dipindai dengan CamScanner

عرفْتَ بصلاحٍ فازْدَدْ رغبةً وعنايةً في ذلك، واعمَدْ في زِيارةِ مَنْ يَزورُك ومن لا يَزورُك، والإحسانِ إلى من أحسن إليكَ، أو أساءَ.

وخذِ العفوَ وأمُرْ بالمعروفِ، وتَغافَلْ عمَّا لا يَعْنِيكَ، واتْرُكْ كلَّ من يؤذيكَ، وبادر في إقامةِ الحقوقِ.

ومن مَرِضَ من إخوانِكَ فَعُدْهُ بنفسِك، وتعاهَدْهُ برُسُلِك.

ومن غابَ منهم فتفقَّدْ أحواله.

ومنْ قعدَ منهم عنْك، فلا تقعُدْ أنت عنه.

وصِلْ مَنْ جفاكَ، وأكرِمْ مَن أتاك، واعفُ عمَّن أساءَ إليكَ. ومَن تكلَّمَ منهم بالقبيحِ فيك فتكلَّم فيه بالحَسَنِ الجميلِ. ومن ماتَ قضيتَ له حقَّهُ، ومن كانَتْ له فَرْحَةٌ هنَّيتَهُ بها ومن كانت له مصيبةٌ عزَّيتَهُ عنْهَا.

ومن أصابَهُ همٌّ فتوجَّعْ له بهِ.

ومَنِ استنْهضَكَ لأمرٍ من أمورِهِ نهضْتَ لهُ، ومن استغاثَكَ فأغِثْهُ.

ومَنِ استنْصَرَكَ فانصُرْهُ.

وأظهِرِ التودُّدَ إلى الناسِ ما استطَعْتَ.

وأفشِ السلامَ، ولو على قومٍ لئامٍ.

ومتى جمعَكَ وغيرَكَ مَجْلسٌ، أو ضمَّك وإيَّاهم مسجِدٌ، وجرتِ المسائلُ، وخاضوا فيها بخلافِ ما عِنْدَك لم تُبْدِ لهم منك خلافًا.

فإن سُئِلْتَ عنها! أجبتَ بما يَعْرِفُهُ القومُ، ثم تقولُ: وفيها قولٌ ءاخر كذا، وحُجَّته كذا، فإذا سَمِعوا مِنْكَ عَرَفُوا قدْرَكَ ومِقْدَارَك، وإن قالوا: هذا قول مَنْ؟ فقلْ: قولُ بعضِ الفقهاءِ.

Dipindai dengan CamScanner

وإن استقرُّوا على ذلك، وألِفوهُ، وعَرَفوا مِقدارَك وعظَّموا محَلَّكَ، فأعطِ كلَّ مَنْ يختلِفُ إليك نوعا من العلمِ ينظرونَ فيهِ، ويأخذُ كلٌّ منهم بحظٍّ شيءٍ مِنْ ذلك. وخذهُم بجليِّ العلمِ دونَ دَقيقِهِ.

وءانِسْهُمْ ومَازِحْهُم أحيانًا، وحادِثْهُم، فإنَّها تجلُبُ المَوَدَّةَ وتستديمُ به مواظبةَ العلمِ، وأطعِمْهُم أحيانًا، واقضِ حوائجَهُم، واعرِفْ مقدارَهم، وتغافلْ عن زلَّاتِهم، وارفقْ بِهم وسَامِحْهُم.

ولا تُبدِ لأحدٍ منهم ضيقَ صدرٍ أو ضَجَرًا، وكن كواحدٍ منهم.

وارضَ مِنْهُم ما ترضى لنفْسِكَ.

وعاملِ الناسَ مُعَامَلتَك لنفسِكَ.

واستعِنْ على نفسِك بالصيانةِ لها، والمراقبةِ لأحوالها.

ولا تضجَر لمن لا يضجَرُ عليك.

ودعِ الشَّغَبَ، واستمِع لمنْ يستَمِعُ مِنْكَ، ولا تكلِّفِ الناسَ ما لا يكلِّفوكَ، وارضَ لهم ما رَضُوا لنَفْسِهِم، وقدِّمْ حُسْنَ النيَّةِ، واستعملِ الصِّدْقَ، واطرحِ الكِبْرَ جانبًا.

وإيَّاكَ والغَدْرَ، وإنْ غَدَروا بك، وأدِّ الأمانةَ، وإن خانوكَ.

وتمسَّكْ بالوفاءِ، واعتصِمْ بالتقوى.

وعاشِرْ أهلَ الأديانِ حسَبَ معاشرتِهم لكَ، فإنَّك إن تَمسَّكْتَ بوصِيَّتي هذه رَجَوْتُ أن تَسْلَمَ، وتعيشَ سالمًا إن شاءَ اللهُ تعالى.

ثمَّ إنَّه لَيَحْزُنُني مُفَارَقَتُك، وتؤنِسُني مَعْرِفَتُك، فَواصِلْني بِكُتُبِكَ، وعَرِّفْني بحوائِجِكِ، وكنْ لي كابنٍ فإني لك كأبٍ.

Dipindai dengan CamScanner

قال يوسفُ بنُ خالدٍ السَّمْتيُّ:

ثم أخرج إليَّ دنانيرَ وكِسْوةً وزادًا وخَرَجَ معي، وحمَّلَ ذلك حمَّالًا، وجمعَ أصحابَهُ حتى شيَّعوني، وركِبَ مَعَهُم حتى بَلَغْنَا الى شطِّ الفُراتِ، ثمَّ ودَّعوني وودَّعتُهم.

وكانت مِنَّةُ أبي حنيفةَ رحمهُ الله تعالى بوصيتِهِ إليَّ وبِرِّه أعظمَ من كلِّ مِنَّةٍ تقدَّمتْ عليَّ.

وقَدِمْتُ البصْرَةَ، فاستعلمتُ ما قالَ، فما مَرَّتْ عليَّ أيَّامٌ يسيرةٌ حتى صاروا كلُّهم لي أصدقاءَ، وانْتَقَضْتُ المجالسَ، وظهرَ بالبصرةِ مذهَبُ أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى، كما ظهرَ بالكوفةِ، وسقطَ[1] مذهبُ الحسنِ، وابنِ سيرينَ رضي الله عنهما، فما زالتْ كتبُ أبي حنيفة تَجيئُني إلى أنْ ماتَ رحمه الله تعالى.

فهنيئا لك من معلِّمٍ صالحٍ وأستاذٍ صالحٍ.

فمنْ لنا مِثْلُه رضيَ الله عنه.

---

(١) أي انقرض.

Dipindai dengan CamScanner

شَرْحُ وَصِيَّةِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «إذا دخلتَ البصرةَ واستقبَلَكَ الناسُ، وزاروكَ وعَرَفوا حقَّك، فأنزِلْ كلَّ رجلٍ منهم مَنْزِلَتَه».

الشرح: أوصاه رضي الله عنه بهذه الوصية لِمَا عرف من حاله أنه مسافرٌ وقادمٌ على أناسٍ غرباءَ عنه لا يعرف عاداتهم، فردَّه إلى ءاداب الإسلام التي هي ساداتُ العادات وبذلك يتألَّفُهم ويتألَّفُونَه.

وليس بجديدٍ على الإمام الاقتباس من الأحاديث النبوية في وصاياه، فعين هذه الوصية عند أبي داود، فقد روى في السنن[1] أنَّ عائشة مرّ بها سائلٌ فأعطته كسرةً، ومرّ بها رجلٌ عليه ثيابٌ وهيئةٌ فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك فقالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**».

وهذا الهدي المحمديُّ جمع من قوام الأدب الشيء الكثير لاسيما أنه قد شاعَ اليومَ بين كثير من المسلمين ما ينافي الأدب ويخالف الاحترام في تعاملاتهم.

وهذا الحديث لا شك أنه قاعدةٌ عظيمةٌ في هذا الباب، إذ يبيِّن لنا أن الكبير له معاملةٌ، والصغيرَ له معاملةٌ، والجاهلَ له معاملةٌ، والعالمَ له معاملةٌ، والرجلَ له معاملةٌ، والمرأةَ لها معاملةٌ، وهَلُمَّ جَرًّا.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٦١)، حديث ٤٨٤٢.

Dipindai dengan CamScanner

ولذلك قال الإمام مسلم في مقدمة الصحيح[1]: «فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يُرفَعُ مُتَّضِعُ القدرِ في العلم فوق منزلته، ويُعطَى كلُّ ذي حقٍّ فيه حقه».

فلا شك أن المقربين عند الله تعالى هم الذين يحبونه ويعبدونه ويقيمون حقوقه ويراعون حدود الشرع ويؤدون العبادات التي أمروا بها، فهؤلاء لهم مكانتهم نحبهم ونقربهم ونحترمهم ونعترف بفضلهم وبأعمالهم، فننزِّلهم منزلةً رفيعةً.

كذلك العلماء نحبُّهم أيضًا ونقربهم ونجالسهم ونؤانسهم ونطمئن إليهم ونركن إليهم ونثق بهم ونعرف لهم حقَّهم ومكانتهم.

ولا تنس أيها المسلم في معاملة الكبير والصغير قولَه صلى الله عليه وسلم «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[2]، أي ليس على ءادابنا وطريقتنا الكاملة، وقولَهُ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**»[3]، أي من تعظيم الله احترام المسلم الكبير ذي الشيبة وتوقيره لأن الله أمرنا بذلك.

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٥/١).

(٢) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٣٢١/٤)، حديث ١٩١٩.

(٣) **سنن أبي داود**، أبو داود، (٢٦١/٤)، حديث ٤٨٤٣.

Dipindai dengan CamScanner

قال الإمام الهرري رضي الله عنه: «من ءاداب الإسلام تقديم المسلم الكبير في المجلس والكلام لقوله عليه الصلاة والسلام: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**»[1] أي قدم الكبير ليتكلم قبلك».

وانظر إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع والد أبي بكر رضي الله عنه، فقد روى أحمد في المسند[2] عن أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما أنها قالت: لمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة، ودخل المسجد، أتاه أبو بكرٍ بأبيه، فلمّا رءاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا ءاتِيهِ فِيهِ**». قال أبو بكرٍ: يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «**أَسْلِمْ**»، فأسلمَ.

قال الغزالي في الإحياء[3]: «وينبغي أن يُعوَّدَ ـ أي الصبيُّ ـ أن لا يبصُق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيرهُ ولا يضع رجلًا على رجلٍ... ويُعوَّد أن لا يتكلمَ إلا جوابًا، وبقدرِ السؤال، وأن يحسنَ الاستماع مهما تكلّم غيرُه[4] ممّن هو أكبر منه سنًّا، وأن يقوم لمن فوقه ويوسّع له المكان ويجلس بين يديه».

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٠١/٤)، حديث ٣١٧٣.

(٢) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، (٥١٨/٤٤)، حديث ٢٦٩٥٦.

(٣) **إحياء علوم الدين**، الغزالي، (٧٣/٣).

(٤) أي فيما يوافق الشرع ومما فيه خيرٌ أو نفع أو إرشاد لهذا الصبي ولغيره، وأمَّا إن جرى في المجلس ما هو محرَّمٌ مخالفٌ للدين فإنَّ الصبيَّ أو المرأة أو العبد المملوك لهم أن يبيِّنوا الصوابَ

Dipindai dengan CamScanner

وإياك أن تفهم كلام الغزالي على غير وجهه، فالصبيُّ إن كان ذا علمٍ قُدِّمَ وقُرِّبَ، وعليه عَمَلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابن عباس رضي الله عنهما حيث كان يدعوه للمعضلات، وحَوْلَهُ أهل بدر من المهاجرين والأنصار فيتحدث ابن عباس ولا يجاوز عمر قوله. فقد روى أحمد عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه أنه قال: كان عمر بن الخطّاب يأذن لأهل بدرٍ، ويأذن لي معهم، فقال بعضهم: يأذن لهذا الفتى معنا، ومِن أبنائنا مَن هو مثله؟ فقال عمر: إنّه ممّن قد عَلِمتُم. قال: فأذن لهم ذات يومٍ، وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السّورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١]، فقالوا: أمر الله نبيّه صلّى الله عليه وسلّم إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه. فقال لي: ما تقول يا ابن عبّاسٍ؟ قال: قلت: ليست كذلك، ولكنّه أخبَر نبيَّه عليه الصّلاة والسّلام بحضور أجله، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [سورة النصر] فتح مكّة، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [سورة النصر]، فذلك علامة موتك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[سورة النصر]. فقال لهم: «كيف تلوموني على ما ترون».

ونختم بما يروى في إجلال الشافعي رضي الله عنه للإمام أحمد رضي الله عنه، وهذا من توقير الأئمة لبعضهم وأن لا يؤخذ في محبتهم العصبية المنتنة:

ويقولوا الحقَّ بدليلِ قوله عليه الصلاة والسلام: «**قل الحقَّ وإن كانَ مرًّا**»، وما رواه سعيد ابن منصور والبيهقي والحافظ ابن حجر العسقلاني في ردِّ الصحابية الأنصارية على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في مسألة مهور النساء، والحقُّ أحقّ أن يتبع، وكائن من كان الذي قاله يُشكَر عليه صغيرًا كان أو كبيرًا أو امرأةً أو عبدًا.

Dipindai dengan CamScanner

قَـالُـوا يَـزُورُك أَحْمَـدُ وَتَـزُورُهُ قُلْت الْفَضَـائِلُ لَا تُفَارِقُ مَنْزِلَهْ

إنْ زَارَنِي فَبِفَضْـلِهِ أَوْ زُرْتُهُ فَلِفَضْـلِهِ فَالْفَضْـلُ فِي الْحَالَيْنِ لَهْ

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأَكْرِمْ أهلَ الشَّرفِ، وعظِّم أهلَ العلمِ».

الشرح: هذه جملةٌ من نصائح الإمام رضي الله عنه تدور حول موضوعٍ واحدٍ أو تُبَوَّب تحت عنوانٍ واحدٍ وهو علاقة العالِم بغيره، وإنما كرر وأعاد الإمام للتأكيد ولبيان أهميتها والحث على التخلُّقِ بها والتأدُّبِ بهذه الخصال الحميدة.

وليتضح وينجلي معنى هذه النصيحة نذكر معنى الإكرام والشرف. فمن معاني الإكرام التعظيم، ومن معاني الشرف العلو والمجد. ولا يتشرف الإنسان إلا بالإسلام وءادابه والتقوى وسبيلها، ولهذا قال سيدنا عمر رضي الله عنه فيما رواه الحاكم[1]: «**إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ**».

وقال الإمام عبد الله الهرري رحمه الله رحمة واسعة: «ليس الشرف شرف المال، الشرف شرف الدين».

وفي مُقدَّمِ أهل الشرفِ العلماءُ، فلا يخفى على ذي عقلٍ سليمٍ أن للعلم والعلماء مكانةً في الدين، وفضلًا كبيرًا لا يُنكر. فقد جاءت نصوص الشريعة

---

(١) **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، (١/١٣٠)، حديث ٢٠٧.

Dipindai dengan CamScanner

متوافرةً متعاضدةً تعزز من مكانتهم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران].

قال المفسِّر القرطبي رحمه الله[1]: «في هذه الآية دليلٌ على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنّه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء». ومراد القرطبي أن العلماء الأتقياء أشرف وأفضل من عامة الناس. فيكفيهم شرفًا أن الله رفع من شأنهم، فهم أهل خشيته من بين خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر]. أي إن العلماء الأتقياء هم أشدُّ خشيةً لله من غيرهم، وليس كما قال بعض الزنادقة من المتسترين بالمشيخة والتصوف كرجب ديب السوري: «إن الله يعتذر من العلماء يوم القيامة»، والعياذ بالله من هذا الكفر الصريح.

وأبى الشرع التسويةَ بينهم وبين الجَهَلَة فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر]، ورفعهم الله درجات فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة المجادلة].

وورد في السنة[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ**

---

(١) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي، (٤١/٤).

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٣١٧/٣)، حديث ٣٦٤١.

Dipindai dengan CamScanner

لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[1]. فيا له من فضلٍ كبيرٍ وشرفٍ عظيم.

ثم اعلم أيها القارئ أن توقير العلم والعلماء من إجلال الله وتعظيمه وتعظيم شريعته، فقد قال صلى الله عليه وسلم[2]: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْءانِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ».

وهذا الصحابي الجليل ترجمان القرءان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب أُبَيِّ بن كعب، فقيل له: أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذ بركاب رجل من الأنصار، فقال: إنه ينبغي للحَبرِ أن يعظم

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٥/٥٠)، حديث ٢٦٨٥.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٦١)، حديث ٤٨٤٣.

Dipindai dengan CamScanner

ويشرف. ذكرها الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وءاداب السامع»[1].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يتقربون إلى الله بالعلماء العاملين بلا غلو ولا جفاء، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته عقيدة أهل السنة قاطبة: «وعلماء السلف السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».

وكلامه رضي الله عنه محمولٌ على ذكرهم أو ذكر ما حصل من بعضهم لا من باب بيان الحكم الشرعي ولا من باب التحذير أو النصيحة بل من باب التشهي، وعليه نقول: إنَّ القول بأن مقاتلي الخليفة الراشد الذي انعقدت بيعته الشرعية باتفاق أهل الحل والعقد علي بن أبي طالب بغاة لا يدخل تحت قول الطحاوي، إذ هذا ما شهد به النبي صلى الله عليه وسلم والقرءان وهل بعد شهادتهما شهادة؟ فهذا كتاب الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [سورة النساء]، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**»[2]، وقال للزبير

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وءاداب السامع، الخطيب البغدادي، (١٨٨/١).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٩٧/١)، حديث ٤٤٧.

Dipindai dengan CamScanner

رضي الله عنه[1]: «لَتُقَاتِلَنَّهُ[2] وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ». وقد نهى صلى الله عليه وسلم أمته عن الخروج على الإمام العادل إلا أن يروا كفرًا بواحًا[3].

وبعد هذا لا عبرة بقول البعض:

وما جرى بين الصَّحاب نسكتُ عنه وأجرَ الاجتهادِ نُثبتُ

فكيف يُجتهد مع وجود النص ـ وهو الآيات والأحاديث المارة ـ، وكيف يكون في المعصية أجرٌ؟! والعجيب أن قائل هذا البيت هو نفسه قال:

ولم يجز في غير محض الكفرِ خروجنا على وليِّ الأمرِ

ثم انظر إلى قول الجُرجَاني عبد القاهر في كتاب «الإمامة»[4]: «وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقَيِ الحديث والرأي منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين أن عليًّا مصيبٌ في قتاله لأهل صفين كما هو مصيبٌ في أهلِ الجمل، وأنَّ الذين قاتلوه بغاةٌ ظالمون له».

وقال الإمام أبو منصور في كتابه «الفرق بين الفرق»[5]: «وَقَالُوا ـ أي أهل السُّنَّة ـ: إنَّ عليًّا كَانَ على الْحق فى قِتَالهم، وأصحاب الْجمل كَانُوا عصاةً مخطئين فى قتال علي».

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٣/٤١٣)، حديث ٥٥٧٥.

(٢) أي عليًّا.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٩/٤٧)، حديث ٧٠٥٦. صحيح مسلم، مسلم، (٣/١٤٧٠)، حديث ١٧٠٩.

(٤) ذكره القرطبي في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، (١٠٨٩).

(٥) الفرق بين الفرق، أبو منصور البغدادي، (١/٩٦).

Dipindai dengan CamScanner

وبالعودة لموضوعنا الأول نختمه بقولنا: إن محبة علماء الشريعة الربانيين ومعرفة قدرهم وحفظ مكانتهم والذب عن أعراضهم والانتصار لهم ممن بغى عليهم منهج السلف الصالح ودليل الهدى والاتِّباع، وفي هذا يقول أبو حاتم الرازي: «إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة».

حفظ الله لنا علماء الأمة وأعلى ذكرهم وزادهم من فضله ونفع بهم خلقه ورد عنهم قالة السوء. ونحن بتوفيق الله نحذِّر من الطعن فيهم، قال الحافظ ابن عساكر[1] رحمه الله: «إِن لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة اللَّه عَلَيْهِم مَسْمُومَة وَعَادَة اللَّه فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة» أي ينتقم منهم، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براءٌ أمرٌ عظيمٌ، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيمٌ.

وهنا يجب التحذير من الوهابية التي تعمل على تكفير علماء الأمة وأوليائها كأبي حنيفة الإمام المجتهد المطلق والتابعي الجليل، حيث قام مشايخ الوهابية بطباعة كتابٍ مُحَرَّفٍ سُمِّيَ بكتاب «السنة» كذبًا وزورًا، وقد ألصق بعبد الله بن أحمد بن حنبل، وفيه يقولون: إنَّ أبا حنيفة ارتد عن الإسلام وهو زنديق، وإنَّ أبا حنيفة أضرُّ على الإسلام من الشيطان، ضرب الله طوقًا من نار على قبره وأنه يبيع الخمر، إلى ما هنالك من صفات الذَّمِّ والقدح التي تقشعر لها جلود الذين ءامنوا، وهي عائدة على الوهابية وزعمائها لا على أبي حنيفة، فأبو حنيفة يكفيه شرفًا ومدحًا أن الأمَّة على مدحه من القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، وقد سجَّل بعض مشايخ الوهابية بالصوت والصورة في بعض مواقع

---

(١) تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص٢٩).

Dipindai dengan CamScanner

الإنترنت، فقالوا عن الإمام الجليل: «أبو حنيفة الخبيث والذين يدافعون عنه كفار» والعياذ بالله تعالى، فاعجبوا من وقاحةِ وخبث الوهابية. وقد منَّ الله علينا ووفَّقنا إلى تأليف كتابٍ دحضنا فيه شبهاتهم ومزاعمهم ودافعنا فيه عن الإمام العظيم أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي، وقد وسمناه بـ «الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة» رضي الله تعالى عنه، ولله الحمد والمنَّة.

فالعجب كُلُّ العجب من وقاحة وخبثِ الوهابية، إذ لم يسلم منهم لا نبيٌّ ولا إمامٌ عالمٌ ولا ولي.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وَوَقِّرِ الشُّيوخَ».

الشرح: هذه النصيحة قد مَرَّ الكلام عليها سابقًا لكن أردنا طالما أن الإمام أعادها أن نخصَّ بالشيوخ الوالدين، فنقول: إن الإحسان يتأكد أكثرَ في حق الوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء].

فأحسن أيها الابن وأيتها البنت معاملة والديكما وخاصَّةً عند الكبر، فهما في حالة ضعفٍ وعجزٍ، وتذكَّرا أنهما عندكما في ءاخر العمر كما كنتما عندهما عاجزين أول العمر، فلا تقل ولا تقولي لهما ما يكون فيه أدنى تضجر، وأحسنا إليهما بفعلكما وقولكما الكريم، وتواضعا لهما وادعوا لهما بخيرَي

Dipindai dengan CamScanner

الدنيا والآخرة، فإنَّ الإنسان إذا فعل ذلك فقد نال الأجر العظيم عند الله، فهنيئًا لمن أكرمه الله ببِرِّ والديه أو أحدهما عنده وانتهز الفرصة بالخيرات، وقام بالبر والإحسان إليهما وخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

وفي الحديث[1]: «وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ يَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ».

ولقد نال أويس بن عامر القرني منزلةً عظيمةً ببركة برِّه لأمه ورعايته لها، ولما لقيه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»[2]، فقال له سيدنا عمر: استغفِرْ لي فاستغفَرَ له.

ملاحظة: سيدنا عمر أفضل من أويس رضي الله عنهما، إلا أنَّ هذا دليل على تواضع أمير المؤمنين رضي الله عنه.

ولقد قال ابن عباس رضي الله عنهما[3]: «لا تنفُضْ ثوبَك فيصيبَهما الغُبَار». وقال عروة: «لا تمتنع عن شيء أحبَّاه» أي من المباحات، وبالغْ في إكرامهما ولو غرقت في بحر من المكروهات جبرًا لخاطرهما.

فدائمًا أيها الشاب اذكر الآية المارة وتأملها وتفكر فيها، فلا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك إلا إن كان حرامًا.

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، (٦/٢٤١)، حديث ٦٢٩٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٤/١٩٦٩)، حديث ٢٥٤٢.

(٣) البر والصلة، ابن الجوزي، (ص٤٣).

Dipindai dengan CamScanner

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ لينًا لطيفًا أحسن ما تجد كما يقتضيه حسن الأدب، أو هو أن تقول: يا أبتاه ويا أمتاه ولا تَدعُهُمَا بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب معهما إن كان على هيئةٍ يتأذَّيان منها أو يحصل لهما انزعاج.

وأَلِنْ لهما جانبك متذلِّلًا لهما من فرط رحمتك إياهما وعطفك عليهما ولكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ أي مِثلَ رحمتهما إياي في صغري حتى ربياني، فلا تكتَفِ برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاءً لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك.

وهذه الوصية تشمل شيوخ العلم الأجلاء وكبار السن من المسلمين ويدخل فيهم الأمهات والآباء في الجملة. ويناسب هنا أن نحذر من معصية عقوق الوالدين لما نرى من حال كثير من الشباب الوقوعَ في هذه الكبيرة.

قال بعض العلماء: «بر الأمهات والآباء بركةٌ في الدنيا والآخرة، ومن أراد أن تكون عاقبته حميدة فليبر أبويه ومن لم يبر أبويه فعاقبته وخيمةٌ، والعاقُّ لأبويه الذي هذا دأبه ويموت على ذلك الله لا يبارك فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة». وقال بعض الشافعية: «عقوق الوالدين هو ما يتأذى به الوالدان أو أحدهما تأذِّيًا ليس بالهين في العرف».

Dipindai dengan CamScanner

وقال صلى الله عليه وسلم: «رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالدَّيُّوثُ، وَرَجُلَةُ النِّسَاءِ»[2]. وهذا إن لم يتوبوا وأما إن تابوا فقد قال صلى الله عليه وسلم: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[3].

اللَّهُمَّ ارحم اباءنا المسلمين.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولاطفِ الأحداثَ».

الشرح: ذكّره رضي الله عنه بوصيةٍ عظيمةٍ في تعامله مع غيره ينبغي التخلق بها لاسيَّما فيمن هو بصفة العالم ومن هو محل اقتداء. ومُفَاد هذه النصيحة الرحمة والرفق بالغير والتلطف والتودد إليهم سيما إن كان ذلك الغير حديثَ السن أو صغيرًا، فهذا من خُلُق وهدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولقد ضرب لنا سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم خير أمثلة في ذلك كيف لا وقد وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم]. فكان الاقتداء به والتأسي بأخلاقه الكريمة المباركة شرفًا يفتخر به الإنسان.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الاهتمام بالأطفال ولذلك فقد دعا إلى تأديبهم وغَرْسِ الأخلاق الكريمة في نفوسهم وحث على رحمتهم والشفقة

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (٢٤٦/١٠)، حديث ٧٤٤٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (١٤٤/١)، حديث ٢٤٤.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (١٤١٩/٢)، حديث ٤٢٥٠.

Dipindai dengan CamScanner

عليهم فقال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[1]، أي ليس على هدينا الكامل.

وكان يوصيهم بالخير ويُعلِّمهم التوحيد والدين فلم يكن رِفقُهُ وشَفَقَتُهُ العظيمة عليهم بمانعةٍ له من نُصحِهِم وإرشادهم وإصلاحهم، فقد أوصى ابنَ عباس رضي الله عنهما كما أخرجه الترمذي.

وإليك أيها القارئ نماذج جليَّة ومواقف شريفةً وأساليب حكيمةً مِن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال، وكيف كان تواضعه وحُبُّه لهم ورحمته بهم وشفقته عليهم.

فمن تلك النماذجِ الـمُشرِقَةِ ما يلي:

ـ تبريكهم وتحنيكهم:

كان صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بالصِّبيَان فيُبرِّك عليهم ويحنِّكُهُم[2]. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[3]: «ومن فوائد هذا الحديث الرفق بالأطفال والصبر على ما يحدث منهم وعدم مؤاخذتهم لعدم تكليفهم».

ـ السلام عليهم:

لقد كان صلى الله عليه وسلم على عظيم قدره وعلوِّ منزلته يبدأ الأطفال بالسلام حُبًّا ورفقًا بهم وتلطفًا معهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٣٢١/٤)، حديث ١٩١٩.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٢٣٧/١)، حديث ٢٨٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٤٣٤/١٠).

Dipindai dengan CamScanner

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على غلمان يلعبون فسَلَّم عليهم[1]، وكان أنس يفعله ويقول: النبي كان يفعله.

- مسحه صلى الله عليه وسلم رؤوس الصغار والدعاء لهم:

فعن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح برؤوسهم ويدعو لهم[3].

- ملاطفته للصغار:

وقف بين يديه ذات مرة محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين فمجَّ صلى الله عليه وسلم في وجهه مجَّةً من ماءٍ من دلوٍ يمازحه بها[4]، فبعدما وضع الماء في فمه الزكي الطيب الطاهر صار مباركًا من فمِ وريق النبيّ مجّه في وجه محمود على هيئة الملاطفة والمداعبة من غير أدنى إيذاء فملأ له قلبه بالفرح والسرور بذلك مع حصول البركة. وفعله صلى الله عليه وسلم هذا مع محمود إما مداعبةً

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٤٥٢)، حديث ٥٢٠٢.

(٢) المستدرك، الحاكم، (٣/٣١٥)، حديث ٥٢١٥.

(٣) السنن الكبرى، النسائي، (٧/٣٨٦)، حديث ٨٢٩١.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (١/٢٦)، حديث ٧٧.

Dipindai dengan CamScanner

منه أو ليبارك عليه بها. قال ابن حجر[1]: «وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم جواز إحضار الصبيان مجالس الحديث وزيارة الإمامِ أصحابَهُ في دُورِهم ومداعبته صبيانَهم»، وفي ذلك أجرٌ وثوابٌ لأنَّهُ بنية إدخال السرور إلى قلوبهم.

ـ رحمته صلى الله عليه وسلم بهم:

عن أنس قال: «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم»[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يصلّي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما فلمّا صلّى وضعهما في حجره ثمّ قال: «**مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذِيْنِ**»[3].

ـ تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم للصغار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابسٍ التّميميّ جالسًا، فقال الأقرع: إنّ لي عشرةً من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ قال: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٧٣/١).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٨٠٨/٤)، حديث ٢٣١٦.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى، (٢٥٠/٩)، حديث ٥٣٦٨.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٧/٨)، حديث ٥٩٩٧.

Dipindai dengan CamScanner

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح[1]: «وفي جواب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم للأقرع إشارةٌ إلى أنّ تقبيل الولد وغيره من الأهل المحارم وغيرهم من الأجانب إنّما يكون للشّفقة والرّحمة».

- حمله صلى الله عليه وسلم الأطفال:

عن أبي قتادة الأنصاريّ أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يصلّي وهو حاملٌ أمامة ـ بنت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي العاص ابن ربيعة بن عبد شمسٍ ـ فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها[2].

- المسابقة بينهم وإكرامهم:

عن كثير بن عبّاسٍ قال: «كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يجمعنا أنا وعبد الله وعبيد الله وقثمًا فيفرِّج يديه هكذا فيمدّ باعه ويقول: «**مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا**»[3].

- مزاحه صلى الله عليه وسلم ولا يكون إلا حقًّا:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٤٣٠/١٠).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٠٩/١)، حديث ٥١٦.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٢٦٣/٥).

Dipindai dengan CamScanner

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: إن كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليخالطنا، حتّى يقول لأخٍ لي صغيرٍ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**»[1]. والنُّغير طيرٌ كان يلعب به ثم مات.

وقد ذكر الحافظ ابنُ حجر أن في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا منها:

- جواز الممازحة وتكرير المزح.
- وأن ممازحة الصبي الذي لم يميّز جائزة.
- ترك التكبر والترفع.
- التلطف بالصديق صغيرًا كان أو كبيرًا.
- جواز تكنية من لم يولَد له.
- جواز لعب الصغير بالطير.
- جواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به.
- معاشرة الناس على قدر عقولهم.
- جواز مواجهته أي الصغير بالخطاب[2].
- مسح رأس الصغير للملاطفة.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (٣٠/٨)، رقم الحديث ٦١٢٩.

(٢) إذا فهم الخطاب وكان في ذلك فائدة ولو بالتأنيس له، وكذا في تعليمه الحكم الشرعي عند قصد تمرينه عليه من الصغر.

Dipindai dengan CamScanner

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**»[1]، على أنَّ ذلكَ لم يكن عادةً له بل في بعض الأحوالِ بما فيه فائدة ومصلحة أو تخفيف عن مسلمٍ أو لإدخال السرور إلى قلبه وهو في الحالات الأقل.

وفي الختام نتلو عليكم قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ١٥٩﴾ [سورة آل عمران]، فما أعظمك يا محمد.

وقد رأيت شيخنا الإمام الهرري رضي الله عنه ونحن حوله وقد دخلت عليه ابنته ـ وكانت في الرابعة من عمرها ـ فأخذت بيده وقالت: تعال، فقام معها فأخذت بيده إلى الغرفة الثانية، وهذا من عظيم تواضعه وحسن خلقه وملاطفته لابنته الطفلة وهو شيخ الإسلام مجدّد عصره إمامٌ مجتهدٌ، لم يتردّد في الانقياد لها، وهذا من عظيم تأديبه لنفسه، وعدم الالتفات إلى حظها، فلم يكن فيه شيء من الترفّع، وبهذا ترى بعينك معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**»[2].

وقد كان من عادته رحمه الله ورضي عنه أنه يتبسّم للأطفال ويلاطفهم ويوزّع لهم بيده نوعًا من الحلوى يسميه السكر الأبيض، ويمسح بيده على رؤوسهم، وأحيانًا يحملهم ويقبّلهم ويَرْقِيهم، وكان في بعض الأوقات عندما يُقَدَّمُ له الطعام يُطعمهم منه. وأذكُر ليلةً من الليالي وقد نمنا في بيته وكنا صغارًا

---

(١) **المعجم الصغير**، الطبراني، (٢/٥٩)، حديث ٧٧٩.

(٢) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، (١/١٦)، حديث ٤٣.

Dipindai dengan CamScanner

استيقظ لصلاة الفجر وصار يُمرّ يده بلطف على خدّي: وهو يقول باسم الله باسم الله، فاستفقت وعرفت أنه يريدنا أن نتهيأ للصلاة. كما أنه كان يدور على الأولاد في المدارس والمساجد وقد حضرت معه مرات عديدة في هذه المجالس بعد تدريسه إياهم يلقّنهم الطريقة الرفاعية.

ومن شدة اهتمامه وعنايته بالأطفال والأحداث قال له بعض مشايخ بيروت: لماذا تجلس مع هؤلاء الصغار؟ هؤلاء يتعبونك، فقال رضي الله عنه: الصغار يكبرون، وهذا الذي حصل فإن الدعوة المنتشرة اليوم في البقاع والأصقاع يديرها دكاترة ومشايخ وأساتذة ودعاة كانوا قبل ثلاثين سنة أطفالًا فكبروا وصارت الدعوة في أيديهم بعد شيخهم رضي الله عنه وأرضاه.

وهذا من ثمرات الاهتمام بالأطفال أن يحملوا الدعوة ويعملوا على خدمتها في البلاد.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وتقرَّبْ مِنَ العامَّةِ».

الشرح: تواضعٌ وانكسارٌ، رأفةٌ ورحمةٌ وتلطفٌ، همةٌ عاليةٌ ومداراةٌ ومفتاحُ دَعَوِيٍّ، كلُّ هذا بل وأزيدُ هو ما يوصي به الإمام. نعم، فالتقرب من العامّة يحملك على هذه الصفات الكريمة، فالتعامل مع العامّة يحتاج إلى كثيرِ عنايةٍ ومراقبةٍ للنفس في أفعالها وتصرفاتها وأقوالها، ودائمًا تحتاج إلى أن تلاحظ الحكمة والحنكة في ذلك كله.

Dipindai dengan CamScanner

وإليكَ بعضُ الإرشَادَاتِ في ذلك:

- التواضع لهم ويكون معيار تقديرك لأي شخص هو دِينه فلا تستصغر أحدًا تفَكُّهًا فتهلك، فإنك لا تدري لعله خيرٌ منكَ وأطوع لله منك، وفي الوقت نفسه لا تنظر إليهم بعين التعظيم في دنياهم ولأجلها فإنّ الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما من فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا[1].
- النهي عن الطمع فيهم فتصغر في أعينهم، فلا يكن همك الانتهال من دنياهم، ولا تطمع فيما في أيديهم من دنياهم، ففي الحديث[2]: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**».
- النهي عن معاداتهم إلَّا ما كانَ فيه معصيةٌ لله من أفعالهم ومع ذلك تنظر إليهم بعين الشفقة والرحمة وتعمل على نصحهم ما استطعت لإخراجهم من المعصية وإرجاعهم إلى الطاعة.
- النهي عن معاداتهم عند رفضهم مساعدتك في أغراضك الخاصّة وأمورك الدنيوية، فلا تذمهم فتكتسب عداوتهم بل تَذَكَّرِ الإحسانَ والإكرامَ معهم.
- الوعظ: عِظْهم وانصحهم إذا رأيت فيهم أثر القبول لئلَّا يعاديك بعضهم ولا يسمع منك.

---

(١) وقد ورد هذا في حديث، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». **سنن الترمذي**، الترمذي، (٥٦١/٤)، حديث ٢٣٢٢. وقال شيخنا الحافظ الهرري: «وفي إسناده ضعفٌ».

(٢) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، (١٣٧٣/٢)، حديث ٤١٠٢.

Dipindai dengan CamScanner

يقول ابن الجوزي في «صيد الخاطر»[1] ملخِّصًا هذه المسألة: «ومجالسة العوام فتنة للدين[2] إلا أن يحترز في مجالسهم، ويمنعهم من القول[3]، فيقول هو، ويكلفهم السماع، ثم يستوفز للبعد عنهم. ولا يمكِّن الانقطاع الكلي إلا بقطع الطمع، ولا ينقطع الطمع إلا بالقناعة باليسير، أو يتجر بتجارة، أو أن يكون له عقار يستغله؛ فإنه متى احتاج تشتت الهم ومتى انقطع العالم عن الخَلْقِ، وقطع طمعه فيهم وتوفر على ذكر الآخرة فذاك الذي ينفع وينتفع به[4]، والله الموفق».

فينبغي للعالم أن لا ينعزل عن العامّة بل يخرج إليهم ويعمل على إصلاحهم وتربيتهم وتغيير حالهم فإنه لا يدري من ينقلب عالمًا منهم فإنهم مفتاحٌ دعويٌّ لمن عرف كيف يستغله. ويؤكد هذا المعنى ما جاء في قصة نبي الله نوح، فقد دعا قومه تسعمائة وخمسين سنة وما كَلَّ صلى الله عليه وسلم مع ما لاقاه من الأذى، ومع ذلك لم يؤمن به إلا نحو ثمانين شخصًا.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ودارِ الفجارَ».

الشرح: أمرَهُ رضي الله عنه بحسنِ الخُلُقِ وذكَّره حبَّ الخير للغير، وقبل البدء ببيان بعض الشرح نَوَدُّ طرحَ بعض الأسئلة من باب التوعية:

---

(١) **صيد الخاطر**، ابن الجوزي، (ص٣٥٤).

(٢) أي لمن انجرف مع من هو غارقٌ منهم في ملاذ الدنيا والعصيان.

(٣) أي القبيح.

(٤) أي الانتفاع الكامل.

Dipindai dengan CamScanner

- كيف أتعامل مع المسلم الفاسق؟
- كيف أتعامل مع المؤمن الفاجر؟
- لو رأيتَ غريقًا هل تغض الطرف عنه؟
- لو رأيت حريقًا هل تتركه؟
- لو شتمك إنسان بم تبادله؟
- لو كنت أنت الشاتم كيف تحب أن يعاملك الناس؟

أسئلةٌ نتخذها جسرًا للخوض في شرح هذه الوصية.

فنصحٌ ورشدٌ، تحذيرٌ وتخويفٌ، وعظٌ وذكرٌ بها تكون مداراة الفاجر، لا تعامٍ وانجرارٌ، ولا رضًى وتصفيقٌ، ولا فرحٌ وقبولٌ.

وهاك بيانًا لكيفية مراحل التعامل مع الفاجر:

فمن وجد إنسانًا سواءٌ كان صديقًا أو غيرَه على معصية الله فعليه أن ينصحه ويخوِّفَهُ اللهَ وعقابَهُ، وهذا واجبٌ حسبَ القدرةِ لأنَّهُ من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن كان للآمر عليه سلطانٌ فليمنَعْهُ ولو بالقوة، فإن لم يكن له عليه سلطانٌ وطَمِعَ في استجابة العاصي ورجوعه إلى الصواب فلا يهجره حينئذٍ وليداومْ على تذكيره ونصحه بالتي هي أحسن وأقوم لكن بشرط ألا تظهر منه موافقةٌ على باطِلِهِ ولا مجالسةٌ للإيناس له على فسقه، فإن لم يرتدع ولا تقبّل النصح أعلمه أنه مفارق له ومهاجِرُهُ علَّهُ يَكُفُّ عن فسقه. قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ**

Dipindai dengan CamScanner

يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1]، أي أقل ما يلزم الإنسان عند العجز.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[2]. فمن معاصي البدن هجرُ المسلمِ أخاه المسلم فوق ثلاث إذا كان بغير عذرٍ شرعيٍّ، وأما العذر الذي يبيح الهجر فكأن يكون هجره لفسق فيه كترك صلاة أو شرب خمر أو نحو ذلك فإنه يجوز هجره حتى يتوبَ ولو إلى الممات، ويعلمه سبب الهجر لأجل أن يعودَ إلى الطاعة. قال الحافظ ابن حجر في الفتح[3]: «لأن عموم النهي مخصوص بمن لم يكن لهَجْرِهِ سببٌ مشروعٌ فتبيّن هنا السبب المسوِّغ للهجر وهو لمن صدرت منه معصيةٌ فيسوغ لمن اطَّلَعَ عليها منه هَجْرُهُ عليها ليكف عنها».

فاللطف اللطف في التعامل مع الفجار، أخي لو كنت أنت على الفسق وغارقًا في أمواج وظلمات العصيان، ألا تحب أن تبقى يد العون ممدودة لك دائمًا وصدور إخوانك مفتوحةً لك؟ فاعمل بهذا.

اللّٰهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللّٰهُمَّ يا مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٦٩/١)، حديث ٧٨.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٢١/٨)، حديث ٦٠٧٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٤٩٧/١٠).

Dipindai dengan CamScanner

فائدة في الحذر من أهل البدع والأهواء:

إن تنفير الناس من أهل البدع والأهواء واجب. وهنا يناسب أن نبين للناس فنقول: قد ظهر أناس عبر التاريخ ضالُّون مُضِلُّون شغلوا ليلهم ونهارهم في الرد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والطعن بهما أو بالمخاصمة بالتأويلات البعيدة فيهما أو بتسليط رأيهم على ما لا يوافق مذهبهم بالشبهات المخترعة الركيكة حتى يتفق بزعمهم الكتاب والسنة مع مذهبهم وهيهات أن يتم لهم ذلك. قومٌ محرومون مخذولون وعن الخير مصروفون، فهذه حالتهم إذا نشطوا للمحاورة في الكتاب والسنة. قومٌ لم يتدينوا بمعرفة ءاية من كتاب الله في تلاوةٍ أو درايةٍ ولم يتفكروا في معنى ءاية، فيعدُّ هؤلاء الجهلة كتاب الله وسنة رسوله حشوًا وتقليدًا كأمثال المجسمة والمشبهة والوهابية والقدرية والمرجئة والحشوية وغيرهم.

فحث العلماء وأمروا المسلمين بمجانبتهم ونَهَوْهُم عن مكالمتهم والاستماع إليهم والاختلاط بهم لسلامة دينهم، وشهّروا بهم لأجل ما انتحلوه من ءارائهم الحديثة ومذاهبهم الخبيثة خوفًا على العامة من مكرهم لئلَّا يُضِلُّوا مسلمًا عن دينه بشبهةٍ وامتحانٍ أو بزخرفِ قولٍ من لسان.

فاقتضى ذلك منا التحذير والتنفير من هؤلاء وليس هذا بغيبةٍ محرمة.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واصْحَبِ الأَخْيَارَ».

الشرح: نصيحةٌ تحوي في طيَّاتها الكثير من المعاني والجليل من أبكار الفوائد وفي معناها نخوض وفي شرحها نقول:

Dipindai dengan CamScanner

إن التشبه بأهل الخير والتقوى والإيمان والطاعة أمرٌ حسنٌ ولهذا يُشرَعُ الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وءادابه وأخلاقه وذلك مقتضى المحبة الصحيحة فإن المرء مع من أحب.

فمما يُراد من صحبة الأخيار إصلاح الأعمال والأحوال والاقتداء بهم في ذلك، والانتقال من الغفلة إلى اليقظة ومن البطالة إلى العمل ومن الشبهات إلى الورع ومعرفة النفس وءافاتها؛ فالجليس الصالح يأمر بالخير وينهاك عن الشرِّ ويسمعك العلم النافع والقول الصادق والحكمة البليغة ويذكرك نِعَمَ الله عليك وءالاءه ويعرفّك عيوبَ نفسِكَ ويشغلك عما لا يعنيك. وإن كان قادرًا سدَّ خَلَّتك[1] وقضى حاجتك، إن ذكَّرته بالله رجا ثوابه وإن خوَّفته من عذابه ترك الإساءة. يجهد نفسه في تعليمك وإصلاحك إذا غفلت عن ذكر الله وإذا أهملت أنذرك.

فالجليس الصالح لا تملُّ قُربَهُ، تُسَرُّ بحديثه إذا حضر، يشهد معك مجالس العلم وحلق الذكر وبيوت العبادة، ويشجِّعك على الطاعة ويُنفِّرك من المعصية، ولا يزال ينفعك حتى يكون كبائع المسك وأنت الجليس أو المشتري.

الجليس الصالحُ إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أصابتك فاقةٌ أعانك إن قدر، وإذا رأى منك حسنةً عدّها وإذا رأى سيئةً كتمها وسترها ونصحك.

---

(١) أي حاجتك.

Dipindai dengan CamScanner

الجليس الصالح هو من خير مكاسب الدنيا، زينةٌ في الرَّخاء، وعدَّةٌ في الشدة، ومعونةٌ على المعاش والمعاد، فلا تَصحَب من إذا حدَّثك كَذَبَ، وإذا ائتمنته خانك، وإذا ائتمنك اتهمك.

أخي الحبيب، إن في مصاحبة الصالحين ثمراتٍ منها:

- **أنت مع من أحببت**: فقد أخرج البخاري[1] عن أنسٍ أن رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا**»، قال: لا شيء إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَهُ، فقال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فما فَرِحنا بشيء فَرَحنا بقول النبي: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فأنا أحب النبي وأبا بكرٍ وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحُبِّي إياهم.
- **الانتفاع بدعائهم بظهر الغيب**: فشتان بين من يقول: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، وبين من يتخاصمون في الدنيا ثم في نار جهنم، قال تعالى حكايةً عن الكفار الأعداء: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأعراف].
- **محبة الله**: ففي الحديث القدسي[2]: «**وَجَبَتْ**[3] **مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**». وفي الحديث

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٢/٥)، حديث ٣٦٨٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (١٨٦/٤)، حديث ٧٣١٤.

(٣) أي ثبتت، وليس معناه الوجوب الذي تقول به المعتزلة خذلهم الله، فقولهم باطل، إذ لا يجب على الله شيء ألبتة.

Dipindai dengan CamScanner

الشريف[1]: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»، الحديث. وهذه المحبة الصادقة الصافية في الله سببٌ لعلوِّ المنزلة ورفعة الدرجة يوم القيامة، ففي حديث[2] السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ».

- **بركة المجالس والخير الذي يعم**: فقد جاء في الحديث[3] الطويل في فضل مجالس الذكر: «فَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا لَيْسَ مِنْهُم، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، فيقول الله للملائكة: هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُم».
- **التأثر بهم**: ففي الحديث[4]: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ[5]، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». فالصداقة المتينة والصحبة الصالحة لا تحل في نفسٍ إلَّا هذَّبت أخلاقها الذميمة، فإذا كان الأمر كذلك فحريٌّ باللبيب أن يبحث عن إخوانٍ ثقاتٍ حتى يُعينوه على كل خيرٍ، ويقصروه عن كل شرٍّ. وقد صدق الناس في قولهم: «الصاحب ساحب إما إلى الرّقي وإما إلى الحضيض»، وقولهم: «الصاحب ساحبٌ إما إلى الجنّة وإما إلى النّار»، فهو من

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٢/١)، حديث ١٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٣٣/١)، حديث ٦٦٠.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٨٦/٨)، حديث ٦٤٠٨.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، (٥٨٩/٤)، حديث ٢٣٧٨.

(٥) أي على سيرته وعادته أي غالبًا ما يتأثر به.

Dipindai dengan CamScanner

الكلام الحسن الذي تقوله العامة وليس حديثًا مرفوعًا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم.

فهنيئًا لمن وجد جليسًا وصديقًا صالحًا، فإنه في هذه الأزمنة من أندر النادر، فيا فوز ويا سعد من حصّله فلزمه وانتفع به وعمل بهَديه.

فابحَث عن الجَليس الصَّالح، واهجر الفاسق فإنه خرابٌ وقد يودي بك إلى الضلال والمهالك والعواقب الوخيمة.

وفي الختام نذكركم بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزخرف]، فماذا بعد قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تتهاوَنْ بالسُّلطانِ».

الشرح: إن الإمامَ أبا حنيفة رضي الله عنه صاحبُ ذهنٍ متّقد، ورؤيةٍ حَكِميةٍ فبعد أن دلَّهُ على كيفية التعامل مع العلماء والعامة والفجار انتقل إلى نصيحةٍ ذات أهميةٍ كبيرةٍ محوَرُهَا التعامل مع السلطان، وهو أمرٌ يحتاج إلى عنايةٍ شديدة.

فالبداية مع ما رواه مسلم في الصحيح[1] عن تميمٍ الداريِّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٧٤/١)، حديث ٩٥.

Dipindai dengan CamScanner

وقد قال بعض الشراح في قول النبي صلى الله عليه وسلم «**وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»: «هم الخلفاء ونوابهم بطاعتهم فيما يوافق الحق كالصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم إن طلبوها أو كانوا عادلين، وترك الخروج عليهم وإن جاروا، والدعاء بالصلاح لهم، ومعاونتهم على ترك الظلم، وتنبيههم وتذكيرهم بالله وأحكامه وحكمه ومواعظه لكن برفقٍ ولطفٍ، وإعلامهم بما غفلوا عنه أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين وتأليف قلوب الناس لطاعتهم وعدم إغرائهم بالثناء الكاذب عليهم».

وعن عياض بن غنم الأشري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُكَلِّمُهُ بِهَا عَلَانِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ، وَلْيَخْلُ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ وَالَّذِي لَهُ**».

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أُسمِعُكُم؟ واللهِ لقد كلمتُه فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فَتَحه[2].

قال النووي رحمه الله موضحًا قصد أسامة رضي الله عنه قوله: «أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من افتتحه» ما نصه[3]: «يعني المجاهرةَ بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه، وفيه الأدب مع الأمراء واللّطف بهم، ووعظهم سرًّا».

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٣/٣٢٩)، حديث ٥٢٦٩.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٢٩٠)، حديث ٢٩٨٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، (١٨/١١٨).

Dipindai dengan CamScanner

وقال القاضي عياض في «الإكمال»[1] ما نصه: «يعني فى المجاهرة بالنكير والقيام بذلك على الأمراء، وما يُخشى من سوء عقباه»، ثم قال: «وفيه التلطف مع الأمراء، وعرض ما ينكر عليهم سرًّا».

فيُختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد وذلك عند التماس أثر القبول منه والمصلحة في ذلك ولم تدع الحاجة إلى الجهر.

ويناسب هنا ذكر مسألة الخروج على الإمام ومبايعته، فنقول وبالله العصمة: يحرم الخروج على الخليفة ومن يقوم مقامه، فقتاله حرام وإن كان جائرًا لما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه، ولأننا تحت طاعته في أمره ونهيه ما لم يخالف حكم الشرع. أما لو طرأ على وليّ الأمر كفر فإنه يخرج عن حكم الولاية وتسقط طاعته ويجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمامٍ عادلٍ إن أمكنهم ذلك[2].

تنبيه: الطاعة التي أمر الله بها المؤمنين لأولي الأمر هي الطاعة في طاعة الله ليس في معصية الله. فقد روى مسلم في صحيحه[3] أن عبد الرحمن ابن عبد الكعبة قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: إن ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا

---

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض، (٥٣٨/٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (٢٢٩/١٢).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١٤٧٢/٣)، حديث ١٨٤٤.

Dipindai dengan CamScanner

﴿تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة النساء]. فسكت عبد الله ابن عمرو ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله.

تحذيرٌ مهم: إن مما ابتُلِيت به الأمة المحمدية على رسولها أفضل الصلاة والسلام جماعة سموا أنفسهم حزب التحرير، فمن جملة تحريفاتهم أنهم يقولون: إن الذي يكون في زمنٍ ليس فيه خليفة كهذا الزمن إذا مات تكون ميتته ميتة جاهلية، مع إيهامهم أن ذلك لمن لم يتكلم معهم في أمر الخليفة كما هم يتكلمون بألسنتهم.

يقال لهم: إنَّ هذا الحديث الذي تحتجون به ـ وهو حديث مسلم[1] والذي فيه: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» ـ قد حرّفتموه، حيث إنكم تذكرون للناس الجملة الأخيرة منه فقط وتكرّرونها، ومعنى الحديث ليس كما يزعمون، وإنما معناه أن الذي يتمرد على الخليفة ويتركه بالخروج عن طاعته ويستمر على ذلك إلى الممات تكون ميتته ميتة جاهلية، وليس معناه أنه يموت على الكفر بل هذا تشبيه بميتة عُبَّاد الأوثان، فلعظم ذنبه شُبِّهَ بميتة أولئك.

ويدل على ذلك حديث البخاري[2] عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٤٧٨/٣)، حديث ١٨٥١.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٤٧/٩)، حديث ٧٠٥٤.

Dipindai dengan CamScanner

فلتنظر التحريرية إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ**»، فإنه صريح في أن الذي يموت ميتة جاهلية هو الذي يأتيه الموت وهو متمرد على السلطان. ويدل عليه أيضًا حديث[1] أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، وخير ما يفسر به الحديث الحديث، فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تعني أن الذي يموت متمردًا على طاعة الخليفة مع قيام الخليفة هو الذي يموت ميتة جاهلية، وليس الذي يموت ميتة جاهلية المسلم الذي يموت في زمنٍ ليس فيه جماعة ولا إمام للمسلمين كما زعمت جماعة حزب التحرير بدليل حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه البخاري[2] ومسلم[3] أن حذيفة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**».

ثم إن محاولتكم أيها التحريرية تطبيق حديث ابن عمر على المسلمين في هذا الوقت محاولة صعبة، فاتقوا الله، فما ذنب المسلمين في هذا الزمن الذي لا يستطيعون فيه أن ينصبوا خليفة والله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]. فكلامكم هذا مؤداه أن الأمة الإسلامية اليوم ءاثمون ويستثنى منهم جماعتكم فقط والعياذ بالله تعالى.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٤٧٦/٣)، حديث ١٨٤٨.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٥١/٩)، حديث ٧٠٨٤.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١٤٧٥/٣)، حديث ١٨٤٧.

Dipindai dengan CamScanner

ولهذه الفرقة ضلالات أخرى منها أنهم يزعمون أنه يجوز عزل خليفة المسلمين بالفسق، حيث قالوا: إن مجلس الشورى له حق أن يعزل الخليفة بسببٍ أو بدون سبب[1].

الرد: هذا الكلام مخالف لأحاديث تؤكد أمر الخليفة، فهو يخالف الحديث المار: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ**»، الحديث، والحديث المار: «**وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا**».

قال النووي في شرح الحديث[2]: «ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم. وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين[3] وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق».

وهؤلاء التحريرية جعلوا الخليفة ملعبة كالكرة بين أيدي اللاعبين، فالخليفة لا يُقلع بالمعصية لكن لا يطاع فيها، وإن كان يأمر بالخير والشر مهما

---

(١) دستور حزب التحرير، (ص٦٦).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (٢٢٩/١٢).

(٣) وهذا الموافق لظاهر النصوص الواردة في هذه القضية، وأما من خالف في ذلكَ كبعض الحنفية أو بعض الشافعية فقال: «إنه قول الجمهور» فهذا على حسب رأيهم، ولم يفهموا أنه معارضٌ للنصوص الواردة في هذه القضية. والمسألة فيها تفصيل واسعٌ يطلب من مصادره.

Dipindai dengan CamScanner

فسق لا يرفع عليه سلاح لأن الفتنة التي تتسبب عن خلعه أعظم من المعصية.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تحقِرنَّ أحدًا يقصِدُك».

الشرح: الكلام في هذه النصيحة من جانبين:

- إغاثة الملهوف، وقد أشار إليها الإمام رضي الله عنه بقوله: «يقصدك».
- عدم التكبر على عباد الله المعبّر عنها في كلام الإمام رضي الله عنه بقوله: «لا تحقرنّ أحدًا».

أما الأولى فسنتكلم عليها ههنا باختصار لنبسط الأمر إن شاء الله فيما بعد عند قول الإمام رضي الله عنه: «وأكرم من أتاك».

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ**[1] **إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»[2].

إن إغاثة الملهوف ومساعدة المكروب وإعانة أهل الحاجات عمل إسلامي رفيع وخُلُق نبوي قديم تقتضيه الأخوّة الصادقة وتدفع إليه المروءة ومكارم الأخلاق. فهذا الملهوف لمَ قصدك وطرق بابك دون غيرك؟ أليس لأنه يرجو الخير منك ويحسن ظنه بك فتجيبه، فينبغي أن لا تخيبه ولا ترده صفر اليدين،

---

(١) أي مِن أحبِّها إلى الله عزَّ وجلّ.

(٢) **المعجم الصغير**، الطبراني، (١٠٦/٢)، حديث ٨٦١.

Dipindai dengan CamScanner

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليّ، ولو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت[1].

وقد كانت حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير مثال يحتذى به في كل شيء ولا سيما إغاثة الملهوف وتقديم العون لكل من يحتاج إليه.

فما أغلاها من فرصةٍ وما أعلاها من درجةٍ وما أسعد من اصطفاه الله لمنفعة الناس ببشارة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام حيث قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[2]. وفي الحديث دليل على جواز الاستعانة بغير الله.

وما أهنأهم من بين أهل المواقف وما أربح سعيهم في ذلك اليوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**[3]، **فَلْيُيَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ أَوْ لِيَضَعْ عَنْهُ**»[4].

وأما النصيحة الثانية فنقول:

---

(١) **مختصر تاريخ دمشق**، ابن منظور، (٣٢٧/١٢).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٢٠٧٤/٤)، حديث ٢٦٩٩.

(٣) أي ظلُّ عرشه، وليس معناه أنَّ الله له ظلّ، تعالى الله عن ذلك.

(٤) **المعجم الكبير**، الطبراني، (٣٠٤/١)، حديث ٨٩٩.

Dipindai dengan CamScanner

إنَّ من معاصي القلب ـ التي هي من الكبائر ـ التكبرَ على عباد الله، وهو رد الحق على قائله مع العلم بأن الصواب مع القائل لنحو كون القائل صغير السن فيستعظم أن يرجع إلى الحق من أجل أن قائله صغير السن، أو لأنه من الخاملين ـ أي غير المشهورين ـ والمردود عليه من المشهورين البارزين ونحو ذلك.

واستحقار الناس أي ازدراءهم كأن يتكبر على الفقير وينظر إليه نظر احتقار، أو يعرض عنه، أو يترفع عليه في الخطاب. وقد نهى الله عباده عن التكبر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[سورة لقمان]، أي ولا تعرض عنهم متكبرًا، والمعنى أقبِل على الناس بوجهك متواضعًا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴿١٨﴾﴾[سورة لقمان] أي ولا تمش لأجل المرح والأشر، أي لا تمش مِشية الكبر والفخر.

وروى مسلم[1] من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا**[2] **وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢١٩٨)، حديث ٢٨٦٥.

(٢) أي متواضعًا.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٥٧٧)، حديث ٢٣٥٢.

Dipindai dengan CamScanner

وروى مسلم[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**».

وقال بعض الأكابر: «كن أرضًا تكن لله أرضى».

وقد ورد في الحديث الذي رواه البخاري في «الأدب المفرد»[2] بأن المتكبرين يُحشَرُونَ يوم القيامة كأمثال الذر أي النمل الأحمر الصغير، يطؤهم الناس بأقدامهم.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: «ما لابن ءادم والفخر أوله نطفة وءاخره جيفة». والجيفة هي الجسم الذي لا روح فيه.

إنَّ التواضعَ من خِصَالِ الـــمُتَّقِي وبِـهِ الـتَّـقِـيُّ إلى المَـعَـالي يـرتَـقِـي

وقد روى الحافظ ابن حجر في الأمالي بإسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[3]: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**». ومعنى الحديث أن التواضع من أعظم العبادات عند الله، فالتواضع مطلوب مع الكبار والصغار والأغنياء والفقراء لوجه الله، وهو يدعو للتآلف.

وأما التكبر فهو مذمومٌ في وجه المؤمن وغير المؤمن لأن الأنبياء لَمَّا دعوا الكفار إلى الدين ما كانوا متكبرين عليهم، لأنهم لو كانوا متكبرين في وجوه الكفار لنفروا منهم، فطوبى لمن اعتبر.

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٤/٢٠٠١)، حديث ٢٥٨٨.

(٢) **الأدب المفرد**، البخاري، (ص١٩٦)، حديث ٥٥٧.

(٣) **الأمالي**، ابن حجر العسقلاني، (ص٩٦).

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تقصِّرنَّ في إقامةِ مودَّتِكَ إياهُم».

الشرح: قد شمل كلام الإمام ضمن طيَّاته هذه النصيحة، فهي تُفهَم من عدة نصائح تقدمت وقد بسطنا الكلام قبل وشرحناه، ولكن لما كانت لهذه النصيحة مزيةٌ أكَّدَ الإمام وحرصَ على الالتزام والتخلُّق بها، فمن الآداب التي تتقوى بها أواصر الألفة والمحبة والأخوة في الله:

ـ أن يتجنب الشخصُ الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، وأن يراعي حقوق الأخوة، فعن أبي هريرة[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قيل: ما هُنَّ يا رسول الله؟، قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

ـ أن يتلطف بالنصح له، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر].

وروي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال[2]: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ زَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ». وذلك إذا كانت المصلحة تتحقق بالسر وكانت النصيحة في العلن تؤدي إلى مفسدة.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٧٠٥/٤)، حديث ٢١٦٢.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (١٠٤/١٠)، حديث ٧٢٣٥.

Dipindai dengan CamScanner

ـ المشاركة الوجدانية: وذلك بالتواصل والتزاور في الله ومشاركته أفراحه وأتراحه وإظهار الحرص عليه فيفرح لفرحه ويحزن لحزنه، يسأل عنه إن غاب ويتفقد أحواله، فإن كان مريضًا عاده أو كان ناسيًا ذكَّره، يرحِّب به إذا دنا ويوسع له إذا جلس، ويصغي إليه إذا تحدث، ويواسيه بماله إذا احتاج إليه، ويعينه على قضاء حاجته، ويؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة.

ـ أن يسمعه من الكلام الطيب ما يحب، فلا يؤذيه بكلامٍ قبيحٍ وإن كان مازحًا بل يثني عليه ويدعوه بأحب أسمائه إليه، ويخبره أنه يحبه في الله وذلك من أسباب تقوية العلاقة بينهما وتمكين هذه المحبة وزيادتها، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: مرّ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ، فقال رجلٌ: إنّي لأحبّه في الله عزّ وجلّ. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «**أَأَعْلَمْتَهُ؟**» قال: لا. قال: «**فَأَعْلِمْهُ**». قال: فلقيت الرّجلَ فأعلمته. فقال: أحبّك الله الّذي أحببتني له[1].

ـ ويستقبله بالبَشاشة والابتسامة الحنون التي تترك أثرها الطيب في القلب مع احتساب الأجر، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ**[2]**، وَبَصَرُكَ**

---

(١) المستدرك، الحاكم، (١٨٩/٤)، حديث ٧٣٢١.

(٢) أي إن كان ضائعًا في الطرقات.

Dipindai dengan CamScanner

لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[1].

ـ أن لا يحاول التطلع إلى خباياه وأموره الخاصة ليستكشف أسراره، فلا ينبغي للمؤمن أن يتجسس أو يتحسس ولا يجادل في باطل ولا يسيء الظن ولا يغتاب ولا يكثر العتاب فيمله ولا يلح عليه في السؤال فيحرجه. فعن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»[2].

ـ أن لا يحقر ولا يهزأ ولا يطعن ولا يلعن فإن هذا ليس من صفات المؤمن الكامل وذلك إن فعل هذه الأشياء لغير سبب شرعي. فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ»[3]. فيكف عنه لسانه فلا يذكر له عيبًا في غيبته أو حضوره، ويشكره إن أحسن، ويكظم غيظه إن أساء. وأن يبتعد عن الغيبة والنميمة والقذف، وعن النفاق والرياء والحقد والحسد، وأن يحسن الظن، ويستر العيوب، ويعفو

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٣٣٩/٤)، حديث ١٩٥٦. صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢٨٧/٢)، حديث ٥٢٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٢٠/٣)، حديث ٢٤٠٨.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٣٥٠/٤)، حديث ١٩٧٧.

Dipindai dengan CamScanner

عن الزلات، ويتغاضى عن الهفوات مع النصح. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ»[1].

- الهدية مع عدم التكلف، فقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا»[2].

- حفظ وقت الأخ في الله والحرص على عدم إضاعته، وذلك بمراعاة أوقات الزيارة والاتصال لِيُعِينَهُ على قضاء حاجاته الخاصة، فلا يحرجه مع أهل بيته أو يشغله بغير ضرورةٍ، وخاصةً إذا كان عالمًا أو طالبًا للعلم.

- الوفاء وحسن العهد، وإظهار الحرص عليه، والدفاع عنه إذا اقتضت الضرورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المُؤْمِنُ مِرْءَاةُ أَخِيهِ المُؤْمِنِ».

- التروي والنظر في عواقب الأمور، والحذر من الشهوات والشبهات والفتن والمعاصي وتقلب القلوب، فقد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»[3]. وعن أنس[4] رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فقلت: يا رسول الله، آمنّا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٧١/٩)، حديث ٧١٧٩.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (٣٠١/١١)، حديث ٨٥٦٨.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٧٢/١)، حديث ١٩٩.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، (٤٤٨/٤)، حديث ٢١٤٠.

Dipindai dengan CamScanner

يَشَاءُ». والحديث لا بد له من تأويل إذ حَمْلُهُ على الظاهر يُضَادُّ الدينَ فإن الجارحة في حقه تعالى مستحيلة. والمعنى: إنَّ القلوبَ مِلكه وتحت مشيئته، يقلب القلوب كيف يشاء، هو متصرفٌ بها.

ـ الدعاء له بخير ولمن يحب حيًّا أو ميتًا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحشر]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[1].

أسأل الله تعالى أن يجمعنا على منابر من نور يوم القيامة مع المتحابين بجلاله إنه على ما نسأله قدير.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تخرجنَّ سِرَّك إلى أحدٍ».

الشرح: قال أَبُو حاتم بن حبان[2]: من حصَّن بالكتمان سره تم له تدبيره وكان له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر، والحازمُ يجعل سره في وعاء ويكتمه عن كل مستودَعٍ، فإن اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقل الناصح له، لأن السر أمانةٌ وإفشاءه خيانة. والقلب له وعاؤه، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع ومنها ما يتسع لما استودع.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٨٩/٢)، حديث ١٥٣٤.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، (ص١٨٩).

Dipindai dengan CamScanner

وقال بعضهم: «كتمانك سرك يعقبك السلامة، وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة، والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على إفشائه».

وروي عن الراغب الأصفهاني: «إذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر وتوصف به ضعفة الرجال والصبيان والنساء».

وعن المدائني قال: «كان يقال: أصبر الناس[1] الذي لا يُفشِي سرَّه إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشيه».

وقال بعضهم: «ما أقبح الإنسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص فيخفيه ويُمكِّن عدوه من نفسه بإظهار ما في قلبه من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره، فلا يلومن إلا نفسه إن لم يستقم له».

وقيل في ما مضى: «كان يقال أملك الناس لنفسه[2] من كتم سره من صديقه وخليله». قال أبو عبيدة معلقًا على هذا القول: «أحسب ذلك للنظر في العاقبة ألا يتغير الذي بينهما يومًا ما فيفشي سره».

وينسب للماوردي أنه قال: «وكم من إظهار سرٍّ أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته ءامنًا وفي عواقبه سالمًا ولنجاح حوائجه راجيًا».

وروي عن أكثم بن صيفي قال: «إن سرك من دمك فانظر أين تريقه».

وعن الأعمش: «يضيق صدر أحدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول: أُكتمه علي».

---

(١) أي من أصبرهم.

(٢) أي من أملكهم.

Dipindai dengan CamScanner

وقال الإمام الهرري: «وقد صدق من قال: صدور الأحرار قبور الأسرار».

ونختم بقول الشاعر:

لا تفش سرك إلا عند ذي ثقة أو لا فأفضل ما استودعت أسرارًا

صدرًا رحيبًا وقلبًا واسعًا صمتا لم تخشَ منه لما ا ستودعت إظهارًا

تحذير: إن الإنسان الذي اطلع على سر مسلم وكان في إفشائه لحوق ضررٍ فأفشاه حَرُمَ ذلك لإلحاقه الضرر بالمسلم ولما قد يجر من الفساد والإيذاء، وربما أدى إلى إراقة الدماء وحصول المفسدة بين الناس وما يتبع ذلك من الخراب. فليتق الله امرؤٌ عرف سِرَّ أخيه من صديقٍ وصاحبٍ، وليكتمه عليه، ولا يعمل على إشاعته وإذاعته لئلَّا يكون سببًا في هلاكه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تثقنَّ بصحبةِ أحدٍ حتى تمتحنه».

الشرح: إن أبا حنيفة رضي الله عنه رأس أئمة أهل الرأي في زمانه وعالمٌ كبيرٌ بالأصول وبمناسبة هذا نقول إن هذه النصيحة هي من المطلق المقيد وبيان ذلك سيأتي.

ففي شرح هذه النصيحة لنا وجهان:

أما الأول: فإن الإنسان قد يصحب في حياته من عرف منه الخير ومن لم يَخْبَرْهُ بعد. وكلام الإمام رضي الله عنه لا يُحمل على الأول أي من قد سبق

Dipindai dengan CamScanner

لك معرفة به وخبرت حاله من تقوى وصلاح والتزام، بل يُنزَّل على الثاني وهو من لم تَخْبَرْهُ بعد، ولهذه النصيحة حكم وفوائد منها:

- أنه سيصير هذا الإنسان مستودع أسرارك.
- أنه ستدخله بيتك.
- أنه سيجالس أهلك.
- أنه سيصير خليلك.

فتخيل معي لو ظهر لك منه فيما بعد خبث، أو بعد ذلك تبيَّنْتَ فسقه ومكره وخداعه فلاتَ ساعة مندم، فلا سرُّك يبقى سرًّا ولا عوراتك تبقى محفوظة في الغالب. هذا إن لم تتغيَّر أنت بصحبة هذا الإنسان، فالمرء على دين خليله، أي سيرته وعادته.

وهنا تنبيه: احذر أيها المطالع من أن تفهم كلام الإمام على غير وجهه، فليس المراد أن تسيء الظن بالمسلمين وتضمر العداوة لمن لا تعرف منهم، فديننا الإسلام يدعو إلى تحسين الظن والابتعاد كل البعد عن سوء الظن بهم، فسرائر الناس ودواخلهم لا يعلمها إلا الله فهي غيب عنا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات].

فسوء الظن يؤدي إلى الخصومات والعداوات وقطع الصِلات. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النجم].

وفي الحديث[1]: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**».

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٤/٤).

Dipindai dengan CamScanner

فكم أوقع سوء الظن السيئ من فراق بين المتحابَين وقطيعة بين المتواصلين.

ومما يؤكد أن الإمام لم يرد بذلك إساءة الظن بالمسلمين أنه سيقول فيما بعد: «وأظهِرِ التودُّدَ إلى الناسِ ما استطَعْتَ، وأفشِ السلامَ، ولو على قومٍ لئامٍ». وقال في نصيحته ليعقوب تلميذه: «ولا تستخف بالناس ووقّر نفسك ووقّرهم».

والوجه الثاني: أن كلام الإمام محمولٌ على الأكمل والأحسن لا الحُرمة وعدمِ الجوازِ، فيكون حينئذٍ هذا الكلام كما ورد في الحديث: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»[1].

فكما لا يُفهم من الحديث تحريم صحبة غير المؤمن وإنما الأحسن والأولى والأكمل أن تصاحب المؤمن الصالح كذلك يحمل كلام الإمام على الاختبار قبل الاختيار.

فاختبر وتحقق وسل قبل الإقدام على اختيار الصديق فإنك إن أجدت في اختيارك تكون اتخذت لنفسك كنزًا وإلا فقد تكون عاقبتك وخيمة، فاختيار الصحبة سيف ذو حدين.

فكم من إنسانٍ كان على الخير والصدق والأمانة وحسن الخلق وملازمة الشريعة ثم تغيّر حاله من الحسن إلى السيئ، من الطيب إلى الخبيث، ومن الصالح إلى الطالح بسبب جليس السوء والصاحب الخبيث والصديق الفاجر

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٦٠٠)، حديث ٢٣٩٥.

Dipindai dengan CamScanner

والخليل الجهول، فبدل أن يجرهم إلى الخير جرّوه إلى الشر، فابحث عن صديق يدلك على ما ينفعك ويرفعك في الدنيا والآخرة، وحافظ على صحبته لو بذلت في ذلك كل أموالك، واحذر من أكثر الناس اليوم إذ مصاحبتهم في الغالب خسارة وندامة.

ولقد قيل:

إذا المَرءُ لا يَرعاكَ إلّا تَـــكَلُّفًا ... فَـدَعـهُ وَلا تُكثِر عَلَيـهِ التَـأَسُّـفـا

فَفِي النَّاسِ أبْدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحـةٌ ... وفي القلبِ صـــبرٌ للحبيبِ ولو جَفَا

فَمَـا كُـلُّ مَنْ تَـهْوَاهُ يَـهْوَاكَ قلبـهُ ... وَلا كلُّ مَنْ صَـــافَيْتَه لَكَ قَدْ صَـــفَا

إذا لم يكن صـــفوُ الوداد طبيعـة ... فـلا خـيرَ في ودٍ يجـيءُ تـكـلُّـفـا

ولا خـيرَ في خـلٍّ يخـونُ خـليـلـهُ ... ويلقـاهُ من بعـدِ الـــــمَوَدَّةِ بالجفـا

وَيُنْكِرُ عَيْشًـــا قَـدْ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ ... وَيُظْهِرُ سِـــرًّا كـان بِالأَمْسِ قَـدْ خَفَـا

سَـــلامٌ عَلَى الدُّنْيَا إذا لَمْ يَكُنْ بِهَا ... صَـدِيقٌ صَـدُوقٌ صَـادِقُ الوَعْدِ مُنْصِـفَا

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُخَادِمْ خَسيسًا، ولا وضيعًا».

الشرح: يدخل هذا في علاقة العالم بغيره واتصاله مع الناس والخلطة بهم، فبعد أن أجمل الإمام كلامه في معاونة الغير، والإحسان إليهم، وتفريج كربهم، وتفريح قلبهم، والتلطف بهم، وإغاثتهم، ومتابعة أخبارهم وأحوالهم،

Dipindai dengan CamScanner

بدأ الإمام بالتفصيل في كيفية التعامل مع أصناف الناس لما في ذلك من المحافظة على هدف تلميذه يوسف وهو نشر الدين وجمع الناس على الطاعة والخير، والكلام في هذه النصيحة هو على الخدم.

فقسم الإمام الخدم قسمين: خدم خسيس وضيع، وخدم متواضع مترفع عن الخسة والوضاعة.

وحذر رضي الله عنه من الخادم الخسيس فقال: «ولا تخادم» أي لا تتخذه خادمًا. وليس مراد الإمام بذلك التكبر عليهم، وعدم الإحسان إليهم، وترك الشفقة في التعامل معهم، وأن ينظر إليهم نظرة نقص وازدراء وفوقية، وأن لا يحفظ لهم حقًّا، وأن يضربهم، ويشدد عليهم ظلمًا، كيف والإمام قد أمر بالإحسان إلى الغير وإن كان ظالمًا.

وما كلام الإمام رضي الله عنه إلا من باب درء المفاسد وتوقي المهالك والبعد عن المتاعب، فإن الخادم الخسيس الشأن الوضيع القدر الذي عن التُّقى بعيدٌ، ومن الفسق قريبٌ، وللفجور مديمٌ، لا يُؤمَن جانبه، ولا يُؤتَمَنُ على بيتٍ ولا منزلٍ ولا مالٍ ولا أهلٍ ولا عوراتٍ ولا نفسٍ، فكيف ستطمئن على أهلك إن خلا بهم، وكيف ستأمن على نفسك من غدره، بل قد يقتلك، فالذي لا يخاف الله خَفْ منه واحذره، فقد تُسَوِّل له نفسه مكرًا، وقد يضمر لك عداوة ويمكر بك غدرًا، والقصص والأمثلة على هذا محشوة بها بطون كتب التاريخ، فكم سمعنا من عبدٍ قتل سيده.

وكم نرى ونسمع في هذه الأيام مما يعمله بعض الخدم ويقومون به من المفاسد والمضار، فلقد حصل من بعضهم أن قتلوا أولاد مستخدميهم بل

Dipindai dengan CamScanner

وقتلوا مستخدميهم أيضًا، وحصل من بعض الخادمات أن فضت بيدها بكارة طفلة انتقامًا من أهلها، ومن بعضهم السرقة أو الخيانة، فلذلك يُتَأَكَّد على من يريد أن يستخدم إنسانًا أن يبحث عن الدَيِّن الأمين الذي يخاف الله.

وهاك يا من أراد استقدام عامل لخدمته بعض الأحكام والآداب العامة:

ـ **حسن المعاملة**: وذلك من خلال التعامل بأدبٍ ولُطفٍ والتزام الأخلاق الحسنة التي يأمر بها الشرع، وتجنب ذميم الأخلاق من سبٍّ وشتمٍ وسخريةٍ وغيرها. والقدوة التامة في كل ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أنسًا رضي الله عنه يقول: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَا[1] صَنَعْتَ»[2].

ـ **إعطاؤه أجرته كاملة**: أي حسب ما تم الاتفاق عليه، فيجري معهم عقد إجارة صحيحًا على ما يوافق الشرع ولا يكتفي بعبارة «لا نختلف»، فإن الشرع أصَّل لنا أصولًا، وأسس لنا قواعد ما إن التزمنا بها درأنا عن أنفسنا المفاسد. قال صلى الله عليه وسلم: «**قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي[3] ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**»[4].

---

(١) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَى هَلَّا.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٤/٨)، حديث ٦٠٣٨.

(٣) وفي رواية: «أَعْطَى بي العَهْدَ».

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٨٢/٣)، حديث ٢٢٢٧.

Dipindai dengan CamScanner

- **رحمتهم والشفقة عليهم**: فمهمٌّ التجاوز عن زلاتهم والعفو عن هفواتهم وترك تحقيرهم وإذلالهم أو الاعتداءِ عليهم بالضرب ونحوه، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة ءال عمران].

- **الحرص على تعليمهم أحكام دينهم وءاداب الشريعة**: خاصةً أمر العقيدة والتوحيد، وبيان الشرك وخطره، ومن ذلك الحرص على تعويدهم التزام الأحكام الشرعية كالصلاة والصيام والتزام الخادمة بالحجاب الشرعي.

- **عدم تكليفهم ما لا يطيقون**: قال صلى الله عليه وسلم: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(١).

ولا يجوز إيذاؤهم بالضرب والسب والإهانة أو بالتجويع بغير سببٍ شرعي، وإن مرضوا يُعتَنَى بهم ويُخدمونَ ويقدم لهم الطعام والشراب، ولا يمنعون من الراحة كالنوم وقت الحاجة أو الاستراحة بل ينبغي أن يبالغ الإنسان في الإحسان إليهم وبرحمتهم، فلا يتركهم قيامًا وقت جلوس أهلِ البيت للطعام بلا حاجةٍ، بل ربما فعله بعض الناس تكبرًا فهذا من الكبائر، والأمر مع الخدم مبني على الرحمة والإحسان والصبر عليهم وعدم التقصير في إعطائهم حقوقهم وفي إرشادهم ونصحهم.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١/١٥)، حديث ٣٠.

Dipindai dengan CamScanner

وقد حصل مع شيخنا الهرري رضي الله عنه أن دعي إلى وليمة كبيرة، وبعد أن استقر الناس المدعوُّون على المائدة لتناول الطعام رفع شيخنا رضي الله عنه وعاء مليئًا بالطعام، وقال لأحد إخواننا: قل لهذا الخادم ليقعد ويأكل هذا الطعام. فانظروا إلى رحمة شيخنا واستحضار قلبه وأخلاقه العظيمة الراقية حيث انتبه لهذا الخادم وأحسن إليه في الوقت الذي لم يلتفت إليه أحد في ذلك الوقت، وكان شيخنا الهرري رضي الله عنه عارفًا برضا صاحب الدعوة.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تقولنَّ من الكلام ما يُنكَرُ عليكَ في ظاهرِهِ».

الشرح: نصيحة تُنبِئُ عن فَهْمٍ عميقٍ ودراسةٍ كبيرةٍ من إمامٍ جليلٍ قد خبر الناسَ والتعاملَ معهم، ودرى مفاتيحَ الدخول إلى قلوبهم ووعى كلام الأكابر في هذا المقام.

فليعلم أنَّ الدعوة إلى الله من قوامها الحكمة والموعظة الحسنة، ومن الحكمة معرفة ما يُلقى على من يُلقي، والداعية الحكيم لا يقول كل ما يعرف لكل من يعرف، وهو يتعامل مع العقول بحسب مقدرتها لا بحسب مقدرته، ولا يحملها فوق طاقتها.

Dipindai dengan CamScanner

وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة ءال عمران]، فقال: كونوا حلماء فقهاء. وقال البخاري: «ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[١].

والبدء بصغار العلم مرجعه مراعاة العقول لئلا ينفر البعض. قال الحافظ ابن حجر[٢]: «والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله وبكباره ما دق منها».

وقد بوَّب البخاري لذلك في صحيحه[٣] فقال في كتاب العلم: «باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه». وكذا في موضعٍ ءاخر[٤] فقال: «باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا».

وقال علي رضي الله عنه[٥]: «حَدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله».

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[٦]: «ويستفاد من بعض الأحاديث ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة».

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٢٤/١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٦٢/١).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٣٧/١).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٣٧/١).

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (٣٧/١)، حديث ١٢٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٣٧/١).

Dipindai dengan CamScanner

وقال أيضا[1]: «المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامّة. ومثله قول ابن مسعودٍ: ما أنت محدّثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنةٌ. رواه مسلمٌ. وممّن كره التّحديث ببعضٍ دون بعضٍ أحمد في الأحاديث في الأحاديث الّتي ظاهرها الخروج على السّلطان، ومالكٌ في أحاديث الصّفات[2]، وأبو يوسف في الغرائب».

وأخرج مسلم عن ابن مسعود أنه قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[3].

وأخرج البخاري[4] عن أنس بن مالكٍ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعاذٌ رديفه على الرّحل، قال: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**»، قال: لبّيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يَا مُعَاذُ**»، قال: لبّيك يا رسول الله وسعديك ثلاثًا، قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به النّاس فيستبشروا؟ قال: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**».

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٢٢٥/١).

(٢) هذا ليس معناه في القدر الذي يجب على كل مكلف من علم العقيدة والتوحيد والتنزيه والأحكام، وإنما فيما زاد عن ذلك بحيث إن السامع قد يتشوش فينزلق إلى المهالك أو ينفتن. وقد قال رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام: «**واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب**».

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١١/١).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٣٧/١)، حديث ١٢٨.

Dipindai dengan CamScanner

فليس كل الناس تحمل عقولهم القدرة على الفهم الصحيح والاستيعاب وتقدير المراد من الخطاب، بل قد يقعد بعضهم عن العمل بفهمٍ خاطئٍ لمعنى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللفقيه الغزالي كلامٌ نفيسٌ في بعض كتبه[1]، جوهره وفحواه مراعاة الناس وفهمهم لئلَّا ينفضُّوا من حولك أيها الداعي، فقد قال رحمه الله: «كِل لِكُلِّ عبد معيار عقله، وَزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار». وقال شيخنا الحافظ الهرري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴿٧٩﴾﴾ [سورة ءال عمران]: «هم الذين يبدؤون طلبة العلم بصغار المتون قبل كبارها»، وهذه عادةُ الفقهاء والعلماء الذين يتدرجون بالطلبة على قدرِ استيعابهم وتحملهم وفهمهم.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وإياكَ والانبساطَ إلى السُّفهاءِ».

الشرح: لفهم هذه الوصية على وجهها نقدّم أوَّلًا تعريف السفاهة.

فالسَّفَه والسفاهة: الاضطراب في الرأي والفكر أو الأخلاق، فاضطراب الرأي جهلٌ وطيشٌ، واضطراب الأخلاق فسادٌ فيها لعدم رسوخ ملكة الأخلاق.

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٥٧/١).

Dipindai dengan CamScanner

وإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه يربي مريده ويحذره من أن يفسد خُلُقُه ويتغير حاله بالقرب والانبساط والإكثار من تتبع ومجالسة أهل الأخلاق الرديئة. ولا يريد بهذا القول أن تُجَافِيَهُم، ولا أن تترك مجالستهم لتترك فيهم الأثر الطيب، أو أن لا تنصحهم إن وجدت قبولًا، فهو نفسه قد قال قبل ذلك: «وَدَارِ الفُجَّارَ»، وقد تقدم الكلام على ذلك.

نعم، هي فائدة عظيمة من الإمام، فلنتصور معًا إنسانًا اتخذ سفيهًا صديقًا فكيف سيكون حاله؟ وعلى أيشٍ ستكون أخلاقه؟ ولقد قيل قديمًا: الصاحب ساحب، إما إلى جنة أو إلى نار. وقيل: الصاحبُ ساحب، إما إلى الرقي وإما إلى الحضيض. وهما من أقوال الناس وليسا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعناهما صحيح.

فيوم القيامة يعضّ من اختار صاحب السوء أصابع الندم ويتحسّر على ما فاته في دنياه. يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفرقان].

فصاحب السوء كثيرًا ما تعلق أحد صفاته بجليسه كما جاء في الصحيح[1] أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ**

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٦٣/٣)، حديث ٢١٠١.

Dipindai dengan CamScanner

المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»، وقد أشار ابن مفلح إلى خطر هذه المجالس للسفهاء.

وعن أبي جعفر الخطمي عن جده عمرو بن حبيب وكانت له صحبة أنه أوصى بنيه فقال: إياكم ومجالسة السفهاء، فإن مجالستهم داءٌ وإن من لم يقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر بالكثير. ونقل ابن مفلح عن ابن عبد البر[1] في باب منثور الحكم والأمثال قوله: «صحبة الفاسق شين وصحبة الفاضل زين».

ولكن ليس المراد مما سبق أن نعتزل مجالس الفساق والسفهاء فلا نغشاها لتعليمهم، أليس النبي كان يدعو الكفار وهم في مجالسهم إلى الله تعالى؟! ولكن المقصود ألا تكون هي مجالس المتعلم التي يحرص على المكث فيها غالب وقته، فربما هدمت على صاحبها قواعد دينه وهذا مما ينبغي الحذر منه والتأكيد عليه، فافهم الأمر رحمك الله.

وأخطر ما في ذلك أن يصاحب الإنسان سفيهًا مع عقيدة فاسدة كالمشبهة أو المجسمة أو الحلولية الاتحادية أو من كان من أهل البدع والأهواء كوهابية زماننا أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وحزب الإخوان أتباع سيد قطب والتحريرية أتباع تقي الدين النبهاني والذين لهم حزب يسمى بحزب التحرير والرجبية أتباع رجب ديب السوري والسحريات أتباع سحر حلبي، فكل هؤلاء ومن شابههم في أيامنا هذه هم من أهل البدع في العقائد فلهم من الأقوالِ

---

(١) مُجَسِّم.

Dipindai dengan CamScanner

والاعتقادات ما كذَّبوا بها القرءان والحديث والإجماع، وذلك لئلَّا يتأثر بهم، فإنه لا يأمن على دينه من صحبتهم ومخالطتهم والانبساط إليهم والاستئناس بهم، فيجب التحذير من هؤلاء تحذيرًا بالغًا لأنهم يجرون أبناء المسلمين إليهم. وكم من شباب وشابات فسدوا في هذه الأزمنة، فتحولوا من السنة إلى البدعة بسبب أصحاب العقائد الفاسدة، فليتنبه لذلك وليحذر الأبناء والشباب من قرناء السوء، وأن لا يصاحبوا إلا من كان ينفعهم في دينهم أو دنياهم ممن يوثق بدينه وأخلاقه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تجيبنَّ دعوةً، ولا تَقْبَلنَّ هديةً».

الشرح: أرشد الإمام رضي الله عنه تلميذه إلى بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالقضاة والولاة ليستفيد منها إذا صار قاضيًا ويعمل بها ولا يغفل عنها.

فإن مما يذكر في كتب الفقه في أحكام القضاة أن دعوة القاضي على قسمين: دعوة عامة وأخرى خاصة.

فالقاضي يجيب الدعوة إذا كانت عامة للجماعة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقضي بين الناس ويجيب الدعوة كما تشهد لذلك عدة أحاديث. فعند

Dipindai dengan CamScanner

ابن ماجه[1] عن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة المملوك.

وعند البخاري[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**».

فالدعوة إن كانت عامة لا يكون المقصود منها القاضي.

وإن كانت الدعوة خاصة ـ وهي التي لا يتخذها صاحبها لولا حضور القاضي ـ فلا يجيب لأن المقصود هو القاضي.

وبالنسبة لقبوله الهدية حال كونه قاضيًا تفصيل يذكره الفقهاء في باب الأقضية نذكر بعضه اختصارًا: إن كان المُهدي له خصومة عند القاضي فلا يقبل القاضي هديته، وإن لم يكن كذلك فإما أن لا يكون له عادةٌ بالإهداء قبل أن يصير المُهدى إليه قاضيًا وإما أن يكون له عادة بذلك. فإن لم يكن له عادةٌ فلا يقبلها. وإن كان له عادةٌ فإما أن يهديه على عادته أو أزيد، فإن كان أزيد من عادته فلا يقبلها وإن كان على عادته له أن يقبلها.

وليس كلام الإمام على إطلاقه لكل أحدٍ، كيف هذا وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على الهدية، ففي الحديث[3]: «**تَهَادَوا تَحَابُّوا**». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا أتي بطعام سأل عنه: «**أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَة**»؟ فإن قيل:

---

(١) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، (٢/٧٧٠)، حديث ٢٢٩٦.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (٧/٢٥)، حديث ٥١٧٨.

(٣) **شعب الإيمان**، البيهقي، (١١/٣٠١)، حديث ٨٥٦٨.

Dipindai dengan CamScanner

صدقة، قال لأصحابه: «كُلُوا» ولم يأكل، وإن قيل هدية ضَرَبَ بيده صلى الله عليه وسلم فأكل معهم[1].

وفي سنن أبي داود[2] وابن ماجه[3] عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم حلية من عند النجاشي أهداها له فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي، قالت: فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُودٍ مُعرِضًا عنه، ثم دعا أمامة بنت بنته زينب فقال: «تَحَلَّيْ بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ».

وفي صحيح البخاري[4] من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرُدُّ الطيب.

وصح[5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

فكم من ضغينةٍ ذهبت بسبب هديةٍ، وكم من مشكلة دُفعت بسبب هديةٍ، وكم من صداقةٍ ومحبةٍ جُلبت بسبب هدية.

وإن كانت الهدية بشيء خفيف كسواك بنية حسنة فثوابه عظيم وما كان أكبر فثوابه أكبر، ولا يقتصر في إهدائه على الأغنياء بل يُهدي الفقيرَ والأرملة واليتيم والضعفاء، ولا يكون بنية أن يُهدى إليه مقابل ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٣/١٥٥)، حديث ٢٥٧٦.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٩٢)، حديث ٤٢٣٥.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/١٢٠٢)، حديث ٣٦٤٤.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٧/١٦٤)، حديث ٥٩٢٩.

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (٤/١٧٦٦)، حديث ٢٢٥٣.

Dipindai dengan CamScanner

وأما ما ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم: «إنا نقبل الهدية ولو كانت تمرة ولا نقبل الصدقة ولو كانت جبلًا من ذهب» فهو مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب التحذير من نسبته إلى الرسول على أن المعنى صحيح فالرسول يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وعليك بالمداراة والصبرِ والاحتمالِ وحُسنِ الخلُقِ وسَعةِ الصَّدرِ».

الشرح: أوصاه رضي الله عنه بخمس خصال محمودة، وكان يكفيه أن يأمره بحسن الخلق، إذ لو اقتصر عليها لدخلت الخصال الأربع فيها، فالمداراة والصبر والاحتمال وسعة الصدر من حسن الخلق. زد على ذلك أن الصبر والاحتمال متقاربان، وسعة الصدر ملزوم الصبر، إلا أنه لما رأى أهميتها فصّلها وعدّدها.

أخي المسلم، إن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين بها تنال الدرجات وترفع المقامات، وقد مدح الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم في القرءان بآياتٍ عديدةٍ منها هذه الآية التي جمعت فيها من محامد الأخلاق ومحاسن الآداب الشيء العظيم فقال أصدق القائلين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم].

فحسن الخلق جالِبٌ للتحاب والتآلف، وسوء الخلق ينتج في العادة التباغض والتحاسد والتدابر.

Dipindai dengan CamScanner

وقد حث النبي صلى عليه وسلم على حسن الخلق والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق فقال عليه الصلاة والسلام عندما سئل عن أكثر ما يدخل النّاس الجنّة: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»[1]. وليس المعنى أن من لم يكن تقيًا أو حسن الخلق كافرٌ، فالإنسان ما دام مات على الإيمان لا بد أن يدخل الجنة مهما كان غارقًا في المعاصي.

ومن معاني حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، هذا مع ما يلازم المسلم من كلام حسنٍ، ومداراةٍ للغضب، واحتمال الأذى.

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذرٍّ بوصية عظيمة فقال[2]: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟**»، قال: بلى يا رسول الله، قَالَ: «**عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ**».

وتأمل يا أخي الكريم الأثر العظيم والثواب الجزيل لهذه المنقبة المحمودة والخصلة الطيبة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»[3]. وقد قال شيخنا الإمام الهرري رضي الله عنه فيما رواه الطبراني والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»: «معناه حقيقةً قد يبلغ درجته، ليس معناه يشبه».

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٣٦٣/٤)، حديث ٢٠٠٤.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (٢٠/٧)، حديث ٤٥٩١.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، (٢٥٢/٤)، حديث ٤٧٩٨.

Dipindai dengan CamScanner

وعدّ النبي صلى الله عليه وسلّم حُسن الخلق من كمال الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١).

وقد ضمن وكفل النبي صلى الله عليه وسلم لمن حسّن خلقه بيتًا في أعلى الجنة فقال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**»(٢).

والمسلم مطلوب منه الكلمة الهينة اللينة لتكون في ميزان حسناته، قال عليه الصلاة والسلام: «**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(٣)، بل حتى التبسّم الذي هو سهل على المسلم له بذلك أجر إن أخلص نيته ففي الحديث: «**وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»(٤).

والتوجيهات النبوية في الحثِّ على حسن الخلق واحتمال الأذى كثيرةٌ معروفةٌ، وسيرته صلى الله عليه وسلم مثالٌ يُحتَذَى به في الخلق مع زوجاته وجيرانه ومع ضعفاء المسلمين ومع جهلتهم، بل وحتى مع الكفار.

وقد جُمِعَتْ علامات حسن الخلق في صفات عدّة فاعرفها أخي المسلم وتمسك بها وهي إجمالًا: أن يكون المسلم كثير الحياء، متجنب الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام إلا من خير، كثير العمل بما يرضي الله،

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٤٥٨/٣)، حديث ١١٦٢.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٢٥٣/٤)، حديث ٤٨٠٠.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٥٦/٤)، حديث ٢٩٨٩.

(٤) شعب الإيمان، البيهقي، (٦٦/٥)، حديث ٣١٠٥.

Dipindai dengan CamScanner

تاركًا للزلل، مبتعدًا عن الفضول، برًّا، وصولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، راضيًا، حليمًا، رفيقًا، عفيفًا، لا لعّانًا[1]، ولا نمّامًا، ولا مغتابًا، ولا شتّامًا، ولا حقودًا، ولا بخيلًا، ولا حسودًا، ولا أشرًا، ولا بطرًا، ولا مُتَكَبِّرًا، ولا باغيًا ظالمًا، ولا قاسيًا جافيًا، ولا ماكرًا خدّاعًا، بل يكون بشوشًا، يحب في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

أخي المسلم إنها مناسبةٌ كريمةٌ أن تحتسب أجر التحلي بالصفات الحسنة، وتقود نفسك إلى الأخذ بها، وتجاهد في ذلك، واحذر أن تدعها على الحقد والكراهية للمسلمين وبذاءة اللسان وعدم العدل والغيبة والنميمة والشح وقطع الأرحام، واغسل قلبك ممَّا علق به من أدران الدنيا وسواد القلب ومنكر الأخلاق.

واحرص على تعويد النفس كتم الغضب، وليهنأ من حولك من والدين وزوجة وأبناء وأصدقاء بطيب معشرك وحلو حديثك وبشاشة وجهك، واحتسب الأجر في كل ذلك.

وعليك بوصية النبي صلى الله عليه وسلم الجامعة فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[2].

---

(١) أي بغير حقٍّ.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٥٥)، حديث ١٩٨٧.

Dipindai dengan CamScanner

جعلنا الله وإياكم ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»[1].

تنبيه: ليس مراد الإمام بقوله: «وعليك بالمداراة» المداهنةَ والسكوتَ لأهل الأهواء والتعاميَ عن ضلالاتهم وكفَّ اللسان عن التحذير منهم، بل ذلك واجبٌ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تقدم سابقًا، فافهم مقالتي رحمك الله.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستَجِدَّ ثيابكَ».

الشرح: أي اطلب جيد الثياب لكسوتك لأن جمال الثياب يزيد في الهيبة، وهذا من ءاداب العالم في درسه.

قال صاحب «المعيد في أدب المفيد والمستفيد»[2] في ءاداب العالم في درسه: «وأن ينظف ويطيب بدنه وثوبه، ويختار له لبس البياض، ولا يعتني بفاخر الثياب، ولا يقتصر على خلق ينسب صاحبه إلى قلة مروءة».

وهذا ليس بغريبٍ عن العلماء، فقد مَرَّ عبر التاريخ أئمة قدوة لنا ينبغي التأسي بهم، فهذا الحسن البصري كان بعيدًا من التصنع، لا يظهر التقشف وإن كان باديًا عليه ولا يدع التجمل ولا يمتنع من لبس جيد الثياب[3].

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (٢٨/٥)، حديث ٣٧٥٩.

(٢) **المعيد**، العلموي، (ص١٢٣).

(٣) **ءاداب الحسن البصري**، ابن الجوزي، (ص٢٤).

Dipindai dengan CamScanner

وهذا الإمام النجم العلم مالك بن أنس كان إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا، وقال: «أُحِبُّ أن أعظِّم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وهذا سحنون[1] يقول: «كنا نختلف عند البهلول نتعلم منه السمت».

ولا غروَ فقد استقوا ذلك من معين النبي صلى الله عليه وسلم ومن التعاليم المحمدية، وأيُّ هدي أفضل من هديه صلى الله عليه وسلم.

فإن سألتَ عن دليلٍ، قلت لك: حديث جبريل أليس فيه: شديد بياض الثياب[2].

قال الدمياطي في شرحه على الأربعين[3]: ومجيئه في تلك الهيئة الحسنة يدل على استحباب التجمل للقادم على الكبراء ولطالب العلم ومعلمه لأنه سيد الكبراء من الإنس والجن والملائكة معلمًا للصحابة في صورة متعلم.

وقال الحافظ ابن دقيق العيد[4]: «وفيه دليلٌ على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك فإن جبريل أتى معلمًا للناس بحاله ومقاله».

---

(١) وهو من أئمة المالكية.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٣٦/١)، حديث ٨.

(٣) **الجواهر اللؤلؤية**، الدمياطي، (ص٤٣).

(٤) **شرح الأربعين النووية**، ابن دقيق العيد، (ص٢٩).

Dipindai dengan CamScanner

قال ابن حجر في شرح الأربعين[1]: «ففيه ندب تنظيف الثياب، وتحسين الهيئة بإزالة ما يؤخذ للفطرة[2]، وتطييب الرائحة عند الدخول للمسجد، وعلى نحو العلماء، وندب ذلك للعلماء والمتعلِّمين؛ لأنه معلِّمٌ بدليل: «يُعِلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، ومتعلِّمٌ بمقاله وحاله، ومن ثَمَّ استحبَّ عمر رضي الله عنه البياض للقارئ، واستحبه بعض أئمتنا لدخول المسجد».

هذا وقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأطيب الناس ريحًا كأن ثيابه لا يمسها دنس.

فهاتان فائدتان عظيمتان الأولى في لباس العالم والثانية في لباس المتعلم، وهاك أيها القارئ فائدة ثالثة تشتمل على نصيحة جليلة، فنقول: مما يُراعى في الثياب عمومًا:

١- ستر العورة، وهي بالنسبة للرجل ما بين السرة والركبة. وللأنثى الحرة أمام الأجانب جميع البدن إلا الوجه والكفين.

٢- أن لا يكون الثوب شفافًا يصف لون البدن.

٣- أن لا يكون ضيقًا بحيث يصف أعضاء البدن. والضيق للمرأة مكروه.

٤- أن لا يكون ثوبه فيه تشبه بثوب النساء ولا ثوبها بثوبه، فذلك يكون حرامًا.

٥- أن لا يكون فيه تشبه بغير المسلمين، فيكون حرامًا.

٦- أن لا يكون حريرًا أو أكثره بالنسبة للرجل.

---

(١) الفتح المبين، ابن حجر الهيتمي، (ص١٤٢).

(٢) أي الخلقة.

Dipindai dengan CamScanner

٧- وأن يكون ثوبه إلى نصف الساق، وهذا مسنون.

ونختم هذا المبحث بالفائدة الرابعة وهي أنْ صدِّر جميع أمورك الحسنة باسم الله، واجتهد أن لا تدخل في شيء من العادات الحسنة إلا بنيةٍ صالحةٍ، فإذا لبست ثيابك فانوِ بها ستر عورتك التي أمرك الله بسترها، وابتدئ باليمنى في نحو القميص وأخِّرها في النزع. وليكن همك إذا لبست ثوبًا جديدًا إظهار نعمة الله عليك وكرمه وفضله، وإياك وحال أهل الكبر والبطر، واحذر مشية الخيلاء مشية المتكبرين. وإذا لبست فاعمل بحديث[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**».

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأكثرِ استعمالَ الطيبِ».

الشرح: أوصاه رضي الله عنه بذلك لما أودعته هذه الخصلة من الأمور الحسنة، فالرائحة الطيبة غذاء الروح، والرائحة الطيبة تفرح القلب وتُسِرُّ النفس وتقوي الدماغ والعقل. قال الشافعي: أربعة تقوي البدن، وعدَّ منها شَمَّ الطيب.

فلما كانت هذه مما تساعد على إقبال الناس عليه وطول صحبتهم له وعشرتهم له وهو مدعاة إلى تلقي العلم منه وانتشار الخير وكثرة مجالس العلم حثَّه أبو حنيفة على ذلك.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٤٢)، حديث ٤٠٢٣.

Dipindai dengan CamScanner

فما أعظمها من وصية، كيف لا وهي مأخوذة من فعله صلى الله عليه وسلم، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحب الطيب ويكثر من التطيب، فقد روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». أي جُعل فِيَّ الميل الطبيعي لذلك من غير تعلق قلب وانشغال وتَتَبُّع لذلك، والرواية التي فيها: «حبب إلي من دنياكم ثلاث وعد فيها الصلاة» فهي غير صحيحة ولا يستقيم بها المعنى لأنه عليه الصلاة والسلام لا يدخل الصلاة في أمور الدنيا.

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من قارورة المسك فيمسح على لحيته ورأسه، وكان إذا أهدي طيبًا قَبِلَه ولم يَرُدَّه، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد طيبًا[1].

قال ابن العربي: «إنما كان لا يرد الطيب لمحبته فيه ولحاجته إليه أكثر[2] من غيره لأنه يناجي من لا نناجي»، يريد الملائكة كما أوضحه ابن بطال.

وأزيدك وصفًا لهذا النبي العظيم فأقول: لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أطيب الناس ريحًا من غير تطيب، وإن تطيب شَمَّ طيبَهُ مَن بَعُد، ويلمس أثره من قرب، وكان طيبه يفوح شذاه وينتشر عبقه، فكان من يجالسه ينشرح له وكأنه في روضة فيحاء، وإذا مس أحدهم ثوبه أو جسده فإنه ليجد ليده ريحًا

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٥٧/٣)، حديث ٢٥٨٢.

(٢) مع أنه صلى الله عليه وسلم كان طيب الرائحة من غير أن يتطيب، ورائحته أطيب من كلِّ طيب.

Dipindai dengan CamScanner

طيبًا من أثر اللمس، قال أنس رضي الله عنه: ما شممت شيئًا قط مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وقال جابر بن سمرة: «فأما أنا فمسح خدي»، قال: «فوجدت ليده بردا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عَطَّار»[2].

ونختم بهذه الفائدة فنقول: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ**»[3].

فعملًا بهذا الحديث الشريف نوجه نصيحة إلى الأخوات المسلمات فنقول لهن: تطيبن لأزواجكن في بيوتكن ولا تتعطرن وتخرجن فإن ذلك قد يكون سببًا للفتنة وفرصة ينتهزها الشيطان، فقد جاء في الحديث[4]: «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ**»، أي أغلبها عورة، «**فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**» أي اهتم الشيطان لخروجها ليفتن بها الرجال. وأما الوجه فليس بعورة كما نقل الإجماع على ذلك إمام الحرمين والقاضي عياض وابن حجر الهيتمي، وكذلك استدلَّ العلماء على جواز كشفها لكفِّيها بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۝٣١﴾ [سورة النور] قالت عائشة وابن عباس: إلا الوجه والكفين، والجمهور على أنهما ـ أي الكفين ـ ليسا بعورة، وهو المعوَّل عليه والمعتمد.

---

(١) **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن حنبل، (٣٦٠/٢٠)، حديث ١٣٠٧٤.

(٢) أي السقط الذي فيه متاع العطار.

(٣) **سنن الترمذي**، الترمذي، (١٠٧/٥)، حديث ٢٧٨٧.

(٤) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٤٦٨/٣)، حديث ١١٧٣.

Dipindai dengan CamScanner

وفي الحديث: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا»[1]، أي يكره لها ذلك.

وفي الحديث: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ»[2]، أي غير متطيبات، وبثياب بذلة وهي الثياب الغير فاخرة كالتي تلبس في البيت أي من غير زينة.

تنبيه: لا نقول إنّ مجرد خروج المرأة متعطرة حرام ومعصية، بل الحق أن الذي عده الفقهاء من معاصي البدن عليها هو خروجها بقصد التعرض للرجال أي لأن تستميلهم للمعصية سواء كانت متعطرةً أو غير متعطرة، متزينةً أو غير متزينة. وأما إذا خرجت متعطرةً أو متزينة ساترةً ما يجب عليها ستره من بدنها ولم يكن قصدها ذلك فليس في ذلك أكثر من الكراهة التنزيهية، أي أنها لا تكون عاصية بذلك، والدليل على ذلك أن الشافعية وكذا غيرهم ذكروا في مناسك الحج أنه يسن التطيب للذكر والأنثى للإحرام أي قبل الإحرام للحج أو العمرة، بدليل ما ثبت عن أبي داود من حديث عائشة: قالت: «كنا نضمخ جباهنا بالمسك المطيب قبل أن نحرم، ثم نحرم ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعرق فيسيل على وجوهنا فلا ينهانا عنه النبي صلى الله عليه وسلم».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٣٢٨/١)، حديث ٤٤٣.

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٥٨٩/٥)، حديث ٢٢١١.

Dipindai dengan CamScanner

وبدليل حديث ابن حبان[1] عن أبي موسى الأشعري: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فهي زانية**». معناه أن المرأة التي تقصد بخروجها متطيبة استمالة الرجال إليها أي للفاحشة أو لما دون ذلك من الاستمتاع المحرم فهي زانية أي تشبه الزانية لأن فعلها هذا مقدمة للزنى وليس المعنى أن إثمها كإثم الزانية الزنى الحقيقي الموجب للحد، فإن ذلك من أكبر الكبائر.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وقرِّب مَجلِسَك، وليكن ذلك في أوقاتٍ معلومةٍ».

الشرح: قد جمع الإمام رضي الله عنه في هذه العبارة بين نصيحتين تكادان لا تنفصلان ولا تنفكان عن بعضهما، وبيان الحضِّ على ذلك سيأتي.

أما النصيحة الأولى والتي عَبَّرَ عنها بقوله: «قَرِّب مَجْلِسَكَ»، فإنما نبه على هذا الأمر لأجل قطف الثمرة، أي لما كان من البغيات والمرادات التي يريد الأستاذ والشيخ والعالم حصولها وتحققها الفهم السليم والإدراك الصحيح، والدراية التامة والوعي الآمن، والمعرفة المتقنة، والفقه الصائب والاستيعاب المأمون، حَثَّ وَشَجَّعَ وحض على تبكير وقت إعطاء الدرس وذلك لكون الأفهام لا زالت في اتقاد، والأذهان قوية في صفاء، والقلوب في استعداد تام، والنفوس في تَهَيُّؤٍ، فيسهل حينئذٍ على الطالب الفهم والوعي والحفظ، ولاسيَّما إن كان

---

(١) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢٧٠/١٠)، حديث ٤٤٢٤.

Dipindai dengan CamScanner

الدرس فيه تشعبات وذلك عملًا بقوله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**»[1].

قال النووي في التبيان: وينبغي أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**».

وقال ابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم»: «وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه ضرورة».

وبعد هذا نقول: لما أكَّد الإمام مسألة التبكير نَبَّهَ لمسألة ثانية ذات صلة بالأولى كما بيَّنَّا، وهي أن يكون تدريسه في أوقات يعلمها الناس بأن يحافظ على الوقت الذي عهده الناس منه مثلًا، فإن كثرة تغيير أوقات الدرس قد يجعل الناس في خُلَّيْطى فيضيع المجلس وحينئذ لن تتحقق النصيحة الأولى، وذلك إذا لم يحضر الناس فما المعنى حينئذ من تقريبه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واجعل لنفسك خَلوةً ترمُّ بها حوائِجَكَ».

الشرح: نصيحةٌ جديدةٌ جليلةٌ من الإمام فحواها الخلوة ومحاسبة النفس. وقبل ذلك نقدم بعض الأدلة على ذلك فنقول: اذكر وتذكر أيها القارئ وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨﴾ [سورة المزمل]، أي انقطع إليه بالعبادة.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٥٠٩/٣)، حديث ١٢١٢.

Dipindai dengan CamScanner

وانظر إلى قصة بدء الوحي مع النبي صلى الله عليه وسلم التي جاء فيها: فكان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه[1] وكان يتزود لمثل هذه الليالي[2].

قال أبو جمرة في شرحه على مختصر البخاري: «في الحديث دليل على أن الخلوة عون للإنسان على تعبده وصلاح دينه».

وقد ذكر بعض المفسرين أن في صحف إبراهيم هذه الحكمة، وهو ثابت عند ابن حبان، وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه يفكر في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجاته من المطعم والمشرب.

واعلم أيها القارئ أن الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، والعزلة لمن شغل وقته بالخير عبادة، والتفكر في المخلوق والتدبر في المخلوقات للاستدلال به على ملكوت الله طاعة. وقد أوصى الإمام تلميذه الآخر أبا يوسف القاضي بقوله: «وداوم على التلاوة».

فاجعل لنفسك خلوة، وقتًا تتقرب فيه بالطاعة والتدبر في قراءة آيات كتابه الكريم، ووقتًا تتقوى فيه على الدنيا وهمومها، ووقتًا في التفكر في أحوالك وحال قلبك.

---

(١) أي يتعبد الليالي ذوات العدد.

(٢) **فائدة:** وهذا دليل على أن الانبياء يكونون على التوحيد ومعرفة الله منذ الصغر فلا تمر عليهم لحظة يكونون شاكين بخالقهم وبوجوده، لأنهم عُصِموا من ذلك، فالله حفظهم من الكفر وعبادة غيره قبل النبوة وبعدها.

Dipindai dengan CamScanner

فاجعل وقتًا خاصًا في يومك تعمره بصلاة وقيام بخشوع ورجاء، ووقتًا تكسب لنفسك سكونًا وهدوءًا.

وههنا ملاحظة مهمة يحسن الإشارة إليها، وهي أن شرط الخلوة أن لا يترك المختلي واجبًا بسببها، وأن لا يضيع مصلحة على الدعوة والمسلمين، فيقدم مصلحة الدعوة ونشر العلم والعقيدة ومكافحة الضلالات وأهلها كالمشبهة والمجسمة والحلولية الاتحادية على الخلوة، وكذا قضاء حوائج المسلمين ومصالح أهل الضرورات، ثم أليس ورد في الحديث: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[1].

وعليه تحمل هذه القصة وهي أن واحدًا من الدعاة استأذن شيخنا رضي الله عنه في الخلوة ليشتغل بالأذكار والأوراد والعبادة فقال له رضي الله عنه: «أنت خلوتك بين الناس».

فسبحان من جعل التذلل له عزة والافتقار إليه غنى والخضوع له رفعة والتوكل عليه كفاية ومَسألتَه[2] تعالى شرفًا.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٦٢/٤)، حديث ٢٥٠٧.

(٢) أي سؤاله تعالى.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وابحث عن أخبارِ حشَمِك، وتَقدَّم في تقويمهِم وتأديبهِم».

الشرح: فهمٌ عميقٌ من إمامٍ عظيمٍ، وهذا شيء مما تدل عليه هذه الوصية. فبينما أوصاه بإكرام أهل الشرف وتعظيم أهل العلم وتوقير الشيوخ وملاطفة الأحداث ومداراة الفجار نبهه إلى أمر خوفًا من الغفلة عنه، فذكره أن لا ينسى أهله وحشمه.

والحشم في اللغة: هم خاصة الرجل الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه. وإنَّ كثيرًا من الناس يملؤون وقتهم بالاهتمام بالبعيد وينسون القريب فإن للأهل على الإنسانِ حَقًّا.

أخي المسلم، صِل رحمك وأوصل ما أمكنك من الخير إليهم، وادفع ما أمكنك من الشر عنهم، وزرهم، وسل عنهم، وأهدهم، وتصدق على فقيرهم، وعد مرضاهم، واتبع جنائزهم، واستضفهم، وشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، وارحم صغيرهم، ووقر كبيرهم، واعرف الحق لعلمائهم وشيوخهم، وغير ذلك مما من شأنه أن يزيد ويقوي من أواصر العلاقات بينك وبينهم.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [سورة النساء].

Dipindai dengan CamScanner

واسمع معي إلى إحسان أبي بكر رضي الله عنه، فهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا بلغه أن مِسْطَح بن أثاثة وقع في الإفك من اتهام السيدة عائشة رضي الله عنها حلف أن لا ينفق عليه وكان قريبًا لأبي بكر، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النور]. فقال أبو بكر: «بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي»، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: «والله لا أنزعها منه أبدًا».

ثم إن البحث عن أخبار الأهل يشمل السؤال عنهم ومعرفة سبب غيابهم ومآل حالهم وتقديم يد العون لهم إذا احتاجوا، وهو خُلُقٌ كَرِيمٌ يدعو إليه الإسلام وتحمله النفوس الطيبة.

وكان من شمائله صلى الله عليه وسلم أنَّه يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس[1].

وجميلٌ تفقد المؤمنين بعضهم بعضًا، الأمر الذي يجعلهم جميعًا كالجسد الواحد كما ورد في الحديث[2]: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».

فمن يتفقد أحوال الناس يزداد في الغالب في قلوبهم محبةً وتوقيرًا ويكون لغيره أسوةً حسنةً، ثم يتفقد الناس أحواله إذا غاب عنهم أو ألم به

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (٣/٢٤)، حديث ١٣٦٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٤/١٩٩٩)، حديث ٢٥٨٦.

Dipindai dengan CamScanner

شيء، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من يتفقد يُفْقَد»، رواه ابن أبي شيبة[1].

وتفقد أحوال الحشم والأقارب يفتح بابًا واسعًا لجمع الحسنات، فإنه يعني عيادة المريض، والإحسان إلى المحتاج، والتفريج عن المكروب، وغير ذلك من أعمال البر والفلاح.

وقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم السؤال عمن غاب من أصحابه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت ابن قيس.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهد الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم فبلغه عن امرأة مات ابنها وليس لها غيره وأنها جزعت عليه جزعًا شديدًا فأتاها النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها بتقوى الله وبالصبر.

ومن هذا أيضًا تفقُّده صلى الله عليه وسلم للمرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد أي كانت تجمع قمامته، فعن أبي هريرة أنّ امرأةً سوداء كانت تقمّ المسجد ـ أو شابًّا ـ ففقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسأل عنها ـ أو عنه ـ فقالوا: مات، قال: «**أَفَلَا كُنْتُمْ ءاذَنْتُمُونِي**»، قال: فكأنّهم صغّروا أمرها ـ أو أمره ـ فقال: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِها**» فدلّوه، فصلّى عليها.

---

(١) **المصنف**، ابن أبي شيبة، (١١٢/٧)، حديث ٣٤٥٩٦.

Dipindai dengan CamScanner

وهنا فائدة وتذكير: ينبغي للمسلم أن يستحضر الإخلاص في عمله هذا وأن لا يحسن إلى الناس بقصد أن يحسنوا إليه بل هو يعمل لله، أحسنوا إليه أم أساؤوا، ولا ينتظر منهم معروفًا، فهذه أخلاق الكاملين.

وغياب هذا الخلق عن كثير من الناس يُشعر الواحد منهم غالبًا بالغربة بين أقرب الناس إليه ومَن هم مِن أحبهم عنده.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستَعْمِلْ في ذلك الرِّفْقَ».

الشرح: أمرَ رضي الله عنه بالرفق ووصَّى به، فما هو الرفق ولمَ قد يوصي الإمام به في المعاملة؟ وما هي ثمرته؟ وإلامَ يوصل؟

أسئلة قد تقع لبعض القارئين، وفيما يلي شفاء إن شاء الله من العي والجهل بملازمة الرفق.

أولًا: الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل والدفع بالأخف. وقيل هو اللطف والدراية وحسن التصرف والسياسة. وقيل: الرفق ضد العنف وهو اللطف وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها.

وإن رُمت معرفة فوائده وثمراته وما الحامل عليه فاسمع معي لقول الغزالي في بيان الرفق. قال الغزالي: الرفق محمود وضده العنف والحدة، والعنف ينتجه الغضب والفظاظة. والرفق واللين ينتجهما حسن الخلق والسلامة. والرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولذلك أثنى المصطفى صلى الله عليه

Dipindai dengan CamScanner

وسلم على الرفق وبالغ فيه. وفيما يأتي بعض الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**»(١).

وفي الصحيحين(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**». ومعنى الحديث أن الله لطيفٌ بعباده، عالمٌ بمواضع حاجاتهم، يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ينعم عليهم بالنعم مع تمادي بعضهم في المعاصي عسى أن يتوبوا، لم يكلفهم ما ليس في وسعهم ولو شاء لفعل، وهو الذي يحكم بما يريد، وقادرٌ على كل شيء. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج].

وخاطب مرةً سفيان الثوري أصحابه قائلًا: أتدرون ما الرفق؟ هو أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها واللين في موضعه.

فالرفق خير في أمر الدين وأمر الدنيا حتى في معاملة المرء نفسه ويتأكد ذلك في معاشرة من لا بد للإنسان من معاشرته كزوجته وخادمه وولده، فالرفق محبوب مطلوب مرغوب.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (١٦/١).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٦/٩)، حديث ٦٩٢٧. صحيح مسلم، مسلم، (١٧٠٦/٤)، حديث ٢١٦٥.

Dipindai dengan CamScanner

يقول المناوي: إذا أراد الله بأحد خيرًا رزقه ما يستعين به مدة حياته ووفقه في الأمور وليّنه في تصرفه مع الناس وألهمه القناعة والمداراة التي هي رأس العقل وملاك الأمر، وإذا أراد به سوءًا ابتلاه بضد ذلك، والأول علامة حسن الخاتمة والثاني بضده. نسأل الله السلامة.

فالرفق صفةٌ كريمةٌ وخُلُقٌ جميل، فيه سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب المحامد، خُلُقٌ من أشهر ثمار حسن الخلق وأشهاها، ومن أظهر مظاهر جميل التعاملات وأبهاها، خُلُق يقول فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[1]. فما أحوجنا إلى الرفق واللين في زمنٍ كَثُرَت فيه مظاهر العنف والقسوة والغلظة والجفاء في البيوت والشوارع والأسواق والمؤسسات.

ومن كان الرفق خُلُقَهُ فإنه يتوصل به إلى كثير من الخيرات والفوائد وتحقيق المصالح الدينية والدنيوية، ويدخل بذلك إلى قلوب الناس فيتوصل إلى تعليمهم الخير وإبعادهم عن الشر والفساد، ويستميلهم إلى حضور مجالس العلم لأنهم أحبوه بملاطفته لهم، فيدخل عليهم النفع والعلم والخير بسبب هذا الخلق الكريم، وبذلك يكون قد نفعهم ودلّهم على طريق الجنة وأبعدهم عن طريق النار، وباللطف والملاطفة يسلم، ويحفظ من كثير من الفتن والمفاسد والبلايا والمصائب والتباغض والابتعاد عن القلاقل ومصادمة

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٠٤)، حديث ٢٥٩٤.

Dipindai dengan CamScanner

الناس، وهذا لا يعني الخنوع والجبن والتخاذل وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فما أعظمك أيها الإمام، وما أعظمها من وصية.

جعلنا الله من المتخلقين بها على ما ينبغي، من المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلًا وعقدًا وخلقًا وعشرةً ومعاملةً، إنه على ما يشاء قديرٌ، وبعباده لطيفٌ خبير.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وَلَا تُكْثِرِ العَتَبَ فَيَهُونَ العَذْلُ».

الشرح: هذا من علاقة العالم بغيره. وفهمُ جملة هذه الوصية يكون بعد فهم مفرداتها حتى يكون الفهم على التمام وتحصل الفائدة بِأَبْلَجِ وَجه إن شاء الله.

أولًا: العتاب هُو المؤاخذة.

ثانيًا: العَذْلُ هُوَ اللَّوْمُ.

قال المناوي: العتاب هو مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة. وقال أبو منصور الأزهري: التعتب والمعاتبة والعتاب، كل ذلك مخاطبة للأخلاء طالبين حسن مراجعتهم ومذاكرة بعضهم بعضًا ما كرهوه مما كسبهم الموجدة.

فالمعاتبة مصدرُ قولِهم: عاتب يعاتب، وهو مأخوذٌ من مادة (ع ت ب) التي تدل على الأمر الذي فيه صعوبة من كلام أو غيره من ذلك العتبة، وإنما

Dipindai dengan CamScanner

سميت بذلك لارتفاعها عن المكان المطمئن السهل. ومن الباب: العتب بمعنى الموجدة، ومنه ما ذكر في هذه الوصية.

وَإن المُعَاتبةَ مِن أنواعِ الحِوار بين الأخلاء، هذا إن وقع الموقع وكان بالزمان والمكان المناسبين، وإلا فقد ينشأ من ذلك أمور لا تحمد عقباها.

لِذلكَ نَدعو إلى التوسط في العتاب. قال الماوردي: إن كثرة العتاب تكون سببًا للقَطِيعة، واطِّرَاحُ[1] جميعه دليلٌ على قِلَّة الاكتِرَاث بأمر الصديق، وقد قيل: عِلَّة المعاداة قلة المبالاة، والمطلوب أن تتوسط الحال بين العتاب وتركه فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة لأن المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعا لم يلبث معها نفورٌ ولم يبق معهما وجد، وقد قال بعضهم: لا تكثرن معاتبة إخوانك فيهون عَلَيهم سَخَطُك.

وقيل قديمًا: العتاب حدائق المتحابين وثمار الأوداء ـ أي المتوادين ـ ودليل الظن وحركات التشوق وراحة الواجد ولسان المشفق.

وَيُرْوَى عَن سيِّدِنا عَلِيٍّ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ: «لا تكثر العتاب فإن العتاب يُوْرِثُ الضغينَةَ وَالبغضة».

ومن فوائد المعاتبة:

- تُزِيل صدأ البغض والكراهية من القلوب.
- تزيد المحبة والألفة.
- تذهب نزغ الشيطان ووساوسه.

(١) أي تركُ.

Dipindai dengan CamScanner

- تنقي النفوس وتطهرها من ظنون الإثم.
- تقوي أواصر الود والتفاهم في المجتمع.

وَهنا نكتة لطيفة: ليس من شرط العتاب وقوع معصية من زميل أو صديق أو أخ أو أهل، بل قد تكون لأنهم تركوا الأحسن والأفضل والأولى به، وفرق بين التأنيب والعِتاب، فيُقال عتابٌ لطيفٌ كما في قصة نزول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾. ولا يقال أنب اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم، بل كل ذلك منه صلى الله عليه وسلم ترك للأولى.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تلِ تأديبَهم بنفسِكَ، فإنَّه أبقى لمائِك، وأهْيَبُ لك».

الشرح: تَحملُ هذهِ الوصيةُ ضمنَ طَيَّاتها كلامًا جليلًا عن الهيبةِ والوَقَار، إذ في هذه الوصية العظيمةِ لتلميذِهِ لم يقتصرِ الإمامُ فَقَط على الفتاوى بل فيها ما فيها من تهذيب النفس وتهذيب الغير. ولما كان لذلك ءاداب بيَّنها الإمام جملة وهذه منها.

ليعلم أن هنَاكَ وسَائل تحمِلُ على التحَلّي بالهيبة والوقار، منها:

- السَّكِينة: فإنها تثمر الخشوع وتجلب الطمأنينة وتلبس صاحبها ثوب الوقار.
- اتباع ءاثار الأنبياء والصالحين الذين تحلوا بالوقار: فعن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**». أي هذه

Dipindai dengan CamScanner

من الصفات والخصال الحسنة التي يتصف بها النبي، وليس المعنى أنه يكون مكتَسبًا لبعض أجزاء النبوة، فالنبوة اصطفاء من الله وليست مكتسبة بالعبادات والطاعات.

- **الخشوع في الطاعات والإكثار من الصالحات.**

- **طلب العلم**: يروى عن الحسن أنه قال: «قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده».

- **البعد عن الغضب**: فالغضب لا في محله ينافي الوقار والهيبة، فقد ذكر الطبري في تاريخه[1] عن طاهر بن حسين أنه أوصى ابنه عبد الله فقال: واملك نفسك عن الغضب وأكثر الوقار والحلم وإياك والحِدَّة والطيش والغرور.

- **التزام الصمت وقلة الكلام إلا فيما يعني**: فكل ذلك من سمات الوقار وعلاماته، فالصمتُ في محلِّه زَين الحلم يلزمك السلامة ويصحبك الكرامة ويلبسك ثوب الوقار.

- **الحياء الممدوح**: قال القرطبي: «إن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يوقر غيره ويتوقر هو في نفسه».

- **الحلم**: فإن من نُسب إلى الحلم أُلبس ثوب الوقار والهيبة وأُبَّهَةِ الجلالة.

- **الصدق**: فإن من عُرِفَ بالصدق صار الناس له أتباعًا، فصدق اللهجة عنوان الوقار.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، (٥٨٥/٨).

Dipindai dengan CamScanner

- تعظيم الحُرُمات.

وبالنسبة للمفتي والعالم المربي ينصح الإمام أبو حنيفة أن لا يباشر المربي دائمًا في كل الأحوال وفي جميع الأوقات وعند كل الزلات والأخطاء التربية بنفسه بل قد يترك في المريدين رقيبًا فَهِمًا يخاف الله، داريًا وعارفًا ينوب عنه، وليس المراد أن لا يباشر تأديبهم ألبتة، كيف هذا والمريد يتعلم من حال الشيخ ومن فعله ومن مقاله.

بل يكون كما قال الشاعر:

ليسَ الغبيُّ بسيدٍ في قومِهِ لكنَّ سيدَ قومِهِ المُتَغَابِي[1]

فحيث يحصل التأديب بغيره لا يتولاه بنفسه، وحيث لا تتحقق المصلحة ولا تحصل الفائدة المرجوة إلا بأن يصرح هو أو يتكلم أو يؤنب أو يصرخ بقدر الحاجة أو يعرض عن الذي يريد أن يؤدبه فإنه يفعل ذلك بنفسه، وهذا له تأثيرٌ بالغٌ في نفوس الطلاب ومن يريد تأديبهم، لأنه إن حصل ممن هو كبير في نظرهم أو قدوة أو أستاذ أو مرب أو أب فإنهم يحفظون ذلك ولا ينسونه بسرعةٍ، وربما انتفعوا بذلك إلى ءاخر عمرهم.

وكما قال الشاعر:

اِصبِر عَلَى مُرِّ الجَفَا من معلِّمٍ فإنَّ رُسُوخَ العلمِ في نبراتِهِ

---

(١) هنا المراد به الذي يتظاهرُ وكأنه لم يطَّلع على زلاتهم ليشجعهم على صلاح أحوالهم حيث نُصِحوا من طريق غيره.

Dipindai dengan CamScanner

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتفي بالتلميح أو بالإشارة لمن يريد نصحهم، أو يرسل لمن يريد نصحه من يكلمه، وحيث يتعين التصريح فإنه كان يصرح بنفسه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وحافِظْ على صلواتِكَ».

الشرح: أمره رضي الله عنه ناصحًا له بإقام الصلاة والمحافظة والمداومة عليها فإنها عمود الدين وعماد الشريعة، وإنما يحافظ عليها من يعرف قدرها ويرجو أجرها ويخاف العقاب على تركها.

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ٢٣٨﴾ [سورة البقرة].

وقد وصف الله المؤمنين في سورة المعارج بأوصافٍ عظيمةٍ، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ [سورة المعارج]. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [سورة المعارج]. وفي سورة المؤمنون بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [سورة المؤمنون]. وبقوله في سورة المؤمنون أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩﴾ [سورة المؤمنون].

واسمع يا أخي إلى بعض ما ورد في عظيم شأن الصلاة، فقد روى مسلم في صحيحه[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٣٥٣/١)، حديث ٤٨٨.

Dipindai dengan CamScanner

ويكفيك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[1].

قال الحافظ الهرريُّ: «غاية أنسي ولذتي وسروري في صلاتي لربي»، وقال رضي الله عنه: «الصلاة لذة المتقين».

فالصلاة أمرها عظيم في الدين ولها فضائل عظيمة منها:

- أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة العنكبوت].
- أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله لحديث عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أفضل؟ قال: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا»[2]. وأما أفضل الأعمال على الإطلاق وأعلاها وأجلها فهو الإيمان بالله ورسوله ولا صلاة لمن لم يكن مسلمًا.
- تغسل الخطايا لحديث جابر رضي الله عنه: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ، غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ»[3]. وعند الشيخين: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ، ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ»؟ قالوا: لا يُبقي من

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٢/١٧٤)، حديث ٢٦٧٦.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١/٨٩)، حديث ١٣٧.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١/٤٦٣)، حديث ٦٦٨.

Dipindai dengan CamScanner

درنه شيئا. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الخَطَايَا»[1].

- تكفر السيئات لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[2].
- أنها نور لصاحبها ففي مسلم[3]: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ». قال الحافظ ابن دقيق العيد وقيل معناه: أن يكون أجرُها نورًا لصاحبها يوم القيامة، وقيل: إنها تكون نورًا ظاهرًا على وجهه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء بخلاف مَنْ لَمْ يُصَلِّ والله أعلم، وفي الحديث: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ»[4].
- يرفع الله بها الدرجات ويحط الخطايا كما مر في حديث: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ»[5].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١/١١٢)، حديث ٥٢٨. صحيح مسلم، مسلم، (١/٤٦٢)، حديث ٦٦٧.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١/٢٠٩)، حديث ٢٣٣.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١/٢٠٣)، حديث ٢٢٣.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، (١/٤٣٥)، حديث ٢٢٣.

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (١/٣٥٣)، حديث ٤٨٨.

Dipindai dengan CamScanner

- النزل الكريم في جنات عدن، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»[1].
- انتظارها رباطٌ في سبيل الله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[2].

وأزيدك أيها القارئ الناظر بعين قلبه حديثًا أَعظِمْ به، وانظر بمَ ترجع بعد سماعه: قال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: كنت أَبِيتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأتيته بوَضوئه وحاجته فقال لي: «سَلْ»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنّة. قال: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ»، قلتُ: هو ذاك. قال: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[3].

فالحذر الحذر من تركها مطلقًا أو التكاسل في أدائها فإن هذه ليست صفة المؤمن الكامل التقيّ.

واسمع لبعض ما ورد في وعيد تاركها: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»[4]، معناه هو مُسلِمٌ ملعونٌ فاسقٌ مجرمٌ عَرَّضَ نفسه

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١/١٣٣)، حديث ٦٦٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١/٢١٩)، حديث ٢٥١.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١/٣٥٣)، حديث ٤٨٩.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (١/٨٨)، حديث ١٣٤.

Dipindai dengan CamScanner

لسخط الله، ويُخشى عليه من سوء الخاتمة، لا أنه كافر لمجرد تركها وهو يعتقد وجوبها.

وقال صلى الله عليه وسلم[1]: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**».

فلك أيها الشاب ولك أيتها الشابة، ولك أيها الشيخ ولك أيتها الشيخة، ولك أيها المراهق ولك أيتها المراهقة نقول: أقيموا الصلاة، واحرصوا على مراعاة طهارتها، ومراقبة أوقاتها، وإتمام قراءتها، وإكمال ركوعها وسجودها، واستدامة الخشوع فيها، والإقبال عليها، وغير ذلك من أحكامها وأدائها في الجماعات والمساجد، فإن ذلك شعار المؤمنين وسنن الصالحين وسبيل المتقين.

فائدة مهمة: ليحذر من قول الوهابي: إن طلب ما لم تجرِ به العادة بين الناس بعضُهُم لبعضٍ كفر، ويُكفِّرُون لأجل ذلك أهلَ السنة والجماعة.

ونحن لضيق المقام نذكر ثلاثة أدلة على جواز ذلك:

الأول: حديث ربيعة بن كعب الأسلمي حيث طلب من النبي مرافقته في الجنة، فهل جرت العادة بذلك؟

الثاني: ما جاء في القرءان من طلب سيدنا سليمان عرش بلقيس ممن كان عنده، وعرشها على قول بعض المفسرين كان طوله ثمانين ذارعًا في عرض ستين ذراعًا، وهو من الذهب الخالص، فقد قال سيدنا سليمان لمن كان عنده:

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، (١٤١/١١، ١٤٢)، حديث ٦٥٧٦.

Dipindai dengan CamScanner

أيكم يأتي به في لحظة، وأي عادة جرت بطلب إحضار كل هذا الوزن الثقيل مع هذه المسافة البعيدة؟ فعرش بلقيس كان في سبأ، وسيدنا سليمان على قول كان في فلسطين، وعلى قول كان في تدمر.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [سورة النمل].

ثالثًا: في قصة عجوز بني إسرائيل مع نبي الله موسى حين سأل سيدنا موسى من كان معه عن مكان قبر نبي الله يوسف، فقالوا: لا أحد منا يعرف مكان القبر إلا امرأة عجوز، فأتاها فسألها عن مكانه، فقالت: لن أدلك على مكانه حتى تعطيني حكمي، أي سألته مرافقته في الجنة.

فليُجب البدعي الوهابي، هل هذا مما جرت به العادة؟

وعلى قولهم هذا، فإنهم يُكفِّرُون محمدًا وموسى وسليمان عليهم الصلاة والسلام، والعياذ بالله من مسخ القلوب.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وابذُل طعامك، فإنه ما سادَ بخيلٌ قطُّ».

الشرح: لما كان إطعام الطعام من الصفات الكريمة التي ندب إليها ديننا الحنيف، أحب الإمام جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير أن يلفت انتباه

Dipindai dengan CamScanner

تلميذه يوسف إلى هذه المكرمة فنصحه قائلا: «وابذل طعامك فإنه ما ساد بخيل قط». فأمر بالجود الذي هو كثرة العطاء من غير سؤال للناس والتعفف عما لديهم.

والأمر بإطعام الطعام أمر الله تعالى بذلك في ءايات منها قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحج].

وقوله في السورة نفسها: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الحج].

ومن هدي نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه بذلك لاسيما إذا رأى أهل الفاقة، فقد ورد عند مسلم: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴿١﴾﴾ [سورة النساء] إِلَى ءاخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة

Dipindai dengan CamScanner

الحشر]، «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ» حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[1].

وانظر أيها القارئ بإمعانٍ إلى قصة ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا أتى النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلّا الماء، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا**»، فقال رجلٌ من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالت: ما عندنا إلّا قوت صبياني، فقال: هيّئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثمّ قامت كأنّها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنّهما يأكلان، فباتا طاويين، فلمّا أصبح غدا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: «**ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا**»، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر].

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري[2]: «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد منها الرضا بصنيعهما»، أي لا يجوز نسبة الضحك والتعجب على الحقيقة لله.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٧٠٤)، حديث ١٠١٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٧/١٢٠).

Dipindai dengan CamScanner

وهذا دليل على جواز التأويل تفصيلًا كان أو إجمالًا، وأن تأويل المتشابه من الدين وليس تعطيلًا. كيف لا يكون من الدين والنبي أوَّل تفصيلًا، ففي الحديث القدسي[1]: قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ ءادَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**» أي لوجدت الثواب، فأفهمنا الرسول بهذا أن الله منزه عن المرض، وهو الرسول بنفسه قد أَوَّلَه.

كيف يكون التأويل تعطيلًا والنبي دعا لابن عباس بأن يعلمه الله الحكمة وتأويل الكتاب كما في سنن ابن ماجه، فلو كان كما قالت المشبهة لكان هذا من النبي دعاء عليه لا له، وهل يدعو النبي على مسلم بلا حق؟

فلو سألتني ما هي فضائل إطعام الطعام؟ أقول لك: هو من خير الأعمال، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي[2] الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[3].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٤/١٩٩٠)، حديث ٢٥٦٩.

(٢) أي خصائل الإسلام، أي هذا من أفضل وخير خصائل الإسلام، وإلا فالإسلام كله خير.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١/١٢)، حديث ١٢.

Dipindai dengan CamScanner

وقال صلى الله عليه وسلم[1]: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا».

وفي ذلك الخير الجزيل ففي الحديث الذي مَرَّ في مشروعية التأويل[2]: «يَا ابْنَ ءادَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي[3]، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي».

وفي سنن الترمذي[4] عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟»، قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا».

ولا تدري بأيِّ عملٍ قد يُدخِلُكَ الله الجنة بلا عذاب، فاسمع إلى قول سيد الخلق: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[5]. وإلى قول الله أصدق القائلين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٤٥٣/١٢)، حديث ١٣٦٤٦.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٩٠/٤)، حديث ٢٥٦٩.

(٣) ملاحظة: الله منزه عن الأكل والشرب إذ إن الأكل والشرب إما أن يكونا لحاجة أو للذة، والله لا يحتاج إلى شيء من العالمين، ولا يجوز عليه اللذة إذ هي عرض حادث.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٤٤/٤)، حديث ٢٤٧٠.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (١٠٩/٢)، حديث ١٤١٧.

Dipindai dengan CamScanner

﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الإنسان].

وعلى قاعدة الشيء بالشيء يذكر يحضرني أمر يتعلق بالاستعانة بغير الله، فكما تعرف أيها القارئ أن الاستعانة بغير الله جائزةٌ، كيف لا والله يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة البقرة]، وهل الصبر والصلاة هما الله؟!! وأما معتزلة الحق المشبهة فقد كَفَّرُوا من استعان بغير الله مستدلين بزعمهم بحديث الترمذي: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»(١).

فقال لهم أهل السنة كثَّرهم الله:

أولًا: ليس لفظ الحديث: لا تستعن بغير الله.

ثانيًا: هذا الحديث ليس فيه إلا الأولوية، وأما معنى التحريم الذي يدَّعونه فليس فيه ذلك.

نظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**"، فكما لا يفهم من الحديث حرمة إطعام غير التقي لا يفهم من الحديث الأول حرمة الاستعانة بغير الله، فهذا سيدنا علي والسيدة فاطمة رضي الله عنهما كانا يطعمان الكفار ونزلت بذلك ءاية في مدحهما، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الإنسان]، والأسير هنا هو الكافر.

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٦٧/٤)، حديث ٢٥١٦.

Dipindai dengan CamScanner

وفي سنن الترمذي[1] قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال صلى الله عليه وسلم: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[2].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: علِّمني عَمَلًا يُدخِلُني الجنة، فقال[3]: «أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ»، ثم قال: «فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ».

وفي صحيح مسلم[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٧٣/٤)، حديث ٢٥٢٧.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٢٨٧/٤)، حديث ١٨٥٥.

(٣) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٦٠٠/٣٠)، حديث ١٨٦٤٧.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (٧١٣/٢)، حديث ١٠٢٨.

Dipindai dengan CamScanner

وإطعام الطعام كان معروفًا في الجاهلية، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[1].

فائدة: قد اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل ابن جدعان من التصدق على المحتاجين وصلة الرحم وغير ذلك غير نافع له لأنَّه لم يكن يؤمن بالله، إذ شرط قبول الأعمال الصالحة الإيمان بالله ورسوله.

ولقد قالوا قديمًا:

الجودُ مكرمةٌ والبخلُ مبغضةٌ ... لا يَستَوِي البخلُ عندَ اللهِ والجودُ

فيا باغيَ الخيرِ أقبِلْ.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وليكنْ لكَ بِطانةٌ تُعرِّفُكَ أخبارَ الناسِ، فمتى عَرَفْتَ بفسادٍ بادرتَ إلى صلاحٍ، ومتى عرفْتَ بصلاحٍ فازْدَدْ رغبةً وعنايةً في ذلك».

الشرح: يجدد الإمام الكلام في علاقة العالم بغيره، فيرشده إلى اتخاذ البطانة الصالحة، ومعنى بطانة الرجل: أهله وأقرباؤه أي خاصته وأصحاب سره

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١/١٩٦)، حديث ٣٦٥.

Dipindai dengan CamScanner

ومشورته، قال الحميدي في «تفسير غريب ما في الصحيحين»: «بطانة أي: أولياء وخاصة»[1].

وقال في موضع ءاخر[2]: «بطانة الملك: خواصُّهُ وأولياؤه الذين يشاورهم ويأخذ بآرائهم ويشاركهم في سره».

وقال ابن الأثير في النهاية[3]: «بطانة الرجل: صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله».

وهذه البطانة تكون صالحةً إذا حَضَّت على الخير وأعانت عليه، وأما إذا أَمرْتَ بِشَرٍّ وأعانت عليه فهي بطانة سوء، وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه بابًا وهو بطانة الإمام وأهل مشورته، أسند فيه حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ**»[4].

قال العيني في عمدة القاري[5]: «البطانة الصاحب الوليجة والدخيل والمطلع على السريرة، وفسره البخاري بقوله: «الدخلاء» وهو جمع دخيل وهو

---

(١) **تفسير غريب ما في الصحيحن**، الحميدي، (ص١٠٤).

(٢) **تفسير غريب ما في الصحيحين**، الحميدي، (ص٢٣٥).

(٣) **النهاية**، ابن الأثير، (١٣٦/١).

(٤) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٢٥/٨)، حديث ٦٦١١.

(٥) **عمدة القاري**، بدر الدين العيني الحنفي، (٢٦٩/٢٤).

Dipindai dengan CamScanner

الذي يدخل على الرئيس في مكان خلوته ويفضي إليه بسره ويصدقه فيما يخبر به مما يخفى عليه من أمر رعيته ويعمل بمقتضاه».

وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة بطانة السوء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة ءال عمران].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم[1]: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ».

فالبطانة الصالحة تعرّفك أخطاءك وأخطاء الرعية ولا تجامل في الحق، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]: «إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي لَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ: أَنْتَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ»، أي رفع الله معونته عنهم وتركهم بلا نصر.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (١٣١/٣)، حديث ٢٩٣٢.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي، (١٥٨/٦)، ١١٥١٦.

Dipindai dengan CamScanner

خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح[2] عن ابن التين قوله: «ينبغي للحاكم أن يتخذ من يستكشف له أحوال الناس في السر وليكن ثقة مأمونًا فطنًا عاقلًا».

وهنا ننتهز الفرصة لحث القارئ اقتداءً بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن يتخير ويختار البطانة الصالحة، فنحثه على البحث عن الزوجة الصالحة والأصدقاء ورفقاء الخير، فهم السُّور والعين التي تُبَصِّر أخطاء الشخص إن شاء الله، ولا يعني الإمام بالبطانة التي تكشف لك من فساد البعض التجسس وتتبع عورات الناس، فشتَّان بين الموضوعين، فتفطن رحمك الله.

ثم إن من فائدة البطانة الصالحة أنهم إن اطلعوا على فسادٍ يعملون على تغييره، وبهذا لا يستشري الفساد ولا يستمر، وإن رأوا ما لا بُدَّ من إنكاره أنكروا ولم يداهنوا، وبهذا تستقيم الأمور وترفع المنكرات ويقل الشر.

فهنيئًا لمن وجد لنفسه بطانةً صالحة تُخَوِّفه من الله، وتذكِّره الآخرة، وتحثه على الخير، ولا تساعده على تنفيذ رغبات نفسه مما يخالف الحق.

وهؤلاء تشتد الحاجة إليهم عند اشتداد الفساد وانتشار الباطل وقلة القائلين بالحق والمدافعين عنه كزمننا هذا. ووجود البطانة الصالحة اليوم أندر

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٣/١٣٩)، حديث ٢٤٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٣/١٩٠).

Dipindai dengan CamScanner

من الكبريت الأحمر، لأنَّ الكثير من الناس يزينون لأمرائهم وكبرائهم وساداتهم ومشايخهم الباطل.

فيا سعد من وُفِّق لهذا الخير العظيم بأن يكون محفوظًا محاطًا ببطانة الخير والصلاح.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعمَدْ في زِيارةِ مَنْ يَزورُك ومن لا يَزورُك، والإحسانِ إلى من أحسن إليكَ، أو أساءَ».

الشرح: أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان لذوي القربى وهم الأرحام الذين يجب وصلهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء].

Dipindai dengan CamScanner

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة النحل].

كما أنه سبحانه عظَّم قدر ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة محمد].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الرعد].

ووردت أحاديث كثيرة فيها الأمر بصلة الرحم، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»(١).

وعن أبي ذر(٢) رضي الله عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ، أَوْصَانِي بِأَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٠٤/٢)، حديث ١٣٩٦.

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (١٩٤/٢)، حديث ٤٤٩.

Dipindai dengan CamScanner

مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كنز من كنوز الجنة».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١).

وصلة الرحم في سنة النبي صلى الله عليه وسلم أمرٌ واجبٌ، وقاطعها ءاثم، فعن عائشة(٢) رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ**(٣)، **وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**(٤)»، وما أسوأ حال من قطعه الله فمن ذا يصله.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ، مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»(٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**»(٦)، أي مع الأولين.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥٦/٣)، حديث ٢٠٦٧.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٨١/٤)، حديث ٢٥٥٥.

(٣) أي باعطائه الثواب والأجر.

(٤) أي حرم الأجر واستحق الوزر، والله منزه عن الاتصال والانفصال لأن المماسة والاتصال بالأجسام والانفصال عنها مستحيل على الله، ليس كمثله شيء.

(٥) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٦٤/٤)، حديث ٢٥١١.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، (٥/٨)، حديث ٥٩٨٤.

Dipindai dengan CamScanner

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرْنَ الدِّيَارَ، وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ»، أي بمشيئة الله وتقديره، وهذا في القضاء المعلَّق وليس المبرم، وكلُّ ذلك سبقَ في علم الله تعالى، وعلم الله لا يتبدَّل ولا يزيد ولا يتغيَّر، وكذلك مشيئته وتقديره.

ومن أفضل الصدقات الصدقة على ذي رحمٍ وهم أَولى الناس بالصدقة، فعن سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»(١).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا»(٢).

وقد عُرِفَ النبي صلى الله عليه وسلم بصلة رحمه من قبل بعثه كما جاء في صحيح البخاري(٣) من قول أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في قصة بدء الوحي: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو أهله إلى الله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء].

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٣/٣٨)، حديث ٦٥٨.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٦٩٢)، حديث ٩٩٧.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١/٧)، حديث ٣.

Dipindai dengan CamScanner

وكان يدعو لهم ويثني عليهم ويوصي بهم خيرًا ويتألم لإيذاء أحد منهم، قال صلى الله عليه وسلم: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1].

فبعد هذا يتبين أن قول البعض: نحن نزور من يزورنا ونقطع من يقطعنا مفهوم خاطئ مخالف لهدي النبي، فقد قال صلى الله عليه وسلم لعقبة رضي الله عنه: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[2].

وكأن لسان حال الذي يتصف بهذه الصفة الذميمة يقول:

ولستُ بِهَيَّابٍ لِمَن لا يَهَابُني ... ولستُ أَرَى مَا لا يَرَى لِيَا

فَإِنْ تَدْنُ مني تَدْنُ منكَ مَوَدَّتِي ... وإِنْ تَنْأَ عني تَلْقَنِي نَائِيَا

ومما ينبغي التنبُّه له زيارة الأحبة والإخوة في الله من غير الأرحام أيضًا، فهذه الزيارات بنيةٍ حسنةٍ تقوِّي الألفة بين المسلمين، واجتماع الأحبة وتزاورهم غنيمةٌ عظيمةٌ، فلا ينبغي ترك هذه الزيارة لما فيها من النفع العظيم والخير العميم، فيذكر بعضهم بعضًا بالعمل للآخرة، ويحث بعضهم بعضًا على تحصيل العلم والعمل به.

ولا تقتصر في زيارتك على زيارة الأغنياء فقط، بل قدِّم الفقراء على الأغنياء، فإنهم أحوج إلى المواساة وجبر الخواطر، وتردَّد إلى بيوتهم، وادعهم إلى بيتك، وأجلسهم على مائدتك وأطعمهم، وكُلْ معهم، وهذا من شأن وسيرة رسول

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٨٧٣/٤)، حديث ٢٤٠٨.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (٤١٧/١٠)، حديث ٧٧٢٣.

Dipindai dengan CamScanner

الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يتفقد الغرباء الذين يدخلون المدينة، ويزور الفقراء والأرقاء ويجالسهم، ويسأل عنهم ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم.

ولا تقتصر في زيارتك أيضًا على من يزورك فقط، بل زُر الكُلَّ، وأخلص لله في عملك، ولا تنتظر أن يردوا لك الزيارة، فأحسن إلى الناس وابذل لهم المعروف من الزيارة وغير ذلك، ولا تنتظر أن يردوا لك ذلك المعروف بل اعمل لله.

ولا تنتظر مكافأةً من الناس، فإنك أحوج إلى ثواب هذا العمل في الآخرة من أن يكافئك الناس عليه في الدنيا، وربما بهذا العمل إن قُبِلَ منك أعتقك الله من النار وأدخلك الجنة بلا سابق عذاب، ويا سعدك إن نلت ذلك وحصّلته.

عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه يقول: «**حَقَّتْ**[1] **مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»[2] أي ظلُّ عرشه.

ولا تنس أن تعمل في هذه الزيارات على جمع المسلمين والتأليف بين قلوبهم، وإياكَ أن تعقد مجالسَ الغيبة والنميمة أو المسامرة في ذكر عورات وعيوب وزلات المسلمين.

---

(١) أي ثبتت.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٨٤/٣٦)، حديث ٢٢٠٦٤.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وخذِ العفوَ وأْمُرْ بالمعروفِ».

الشرح: قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف]. ذكَّره الإمام رضي الله عنه بهذه الفضيلة لِمَا حَوَتْهُ من حسن الخلق في التعامل مع الناس، وقد بيَّنت الآيةُ الكريمَةُ أنه ينبغي في معاملتهم مراعاة ما يلي:

ـ أخذ العفو، وهو ما سمحت به أنفسهم من الأخلاق، فيشكر من قابله من المسلمين من قولٍ وفعلٍ جميلٍ، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغضّ طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على صغيرٍ ولا على ناقص العقل ولا الفقير، بل يعامل الجميع باللطف وما فيه المصلحة.

ـ الأمر بالمعروف، أي بكل قولٍ حسنٍ وفعلٍ جميلٍ وخلقٍ كاملٍ للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حث على خير من صلة رحم، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على برٍّ وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد وتحصيل مصلحة دينية.

ولقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مليئةً بالعفو والصفح، ومن الأمثلة على ذلك أنه عفا عن كفار قريش يوم فتح مكة مع قدرته على الانتقام وقد ءاذوه.

وكذا يوسف الصديق عفا عمن ظلمه من إخوته وقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف].

وعن أنس بن مالكٍ قال: كنت أمشي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدةً،

Dipindai dengan CamScanner

حتّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته، ثمّ قال: يا محمّد مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعطاءٍ[1].

وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم مقابلة الإساءة بالإحسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فصلت].

ومشى على خطاه صلى الله عليه وسلم الصحابة الأعلام، فعن الزّهريّ قال: سمعت عروة بن الزّبير، وسعيد بن المسيّب، وعلقمة بن وقّاصٍ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن حديث عائشة زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها الله ممّا قالوا، كلٌّ حدّثني طائفةً من الحديث فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ ﴿١١﴾﴾ [سورة النور] العشر الآيات كلّها في براءتي، فقال أبو بكرٍ الصّدّيق وكان ينفق على مسطحٍ لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطحٍ شيئًا أبدًا بعد الّذي قال لعائشة، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النور] الآية، قال أبو بكرٍ: بلى والله إنّي لأحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطحٍ النّفقة الّتي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدًا.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٤٦/٧)، حديث ٥٨٠٩.

Dipindai dengan CamScanner

فإذا التزم الإنسان بهذه النصيحة كسب مودة الناس وحبهم فأقبلوا عليه متعلمين من حاله وقاله، فكان في ذلك نشر لعلم الدين.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وتَغافَلْ عمَّا لا يَعْنِيكَ».

الشرح: قوام هذه النصيحة وعمادها قوله صلى الله عليه وسلم: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[1]، فهذا الحديث من الكلام الجامع لمعانٍ كثيرة جليلة بألفاظٍ قليلة.

فقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطريق الذي يبلغ به العبد كمال دينه وحسن إسلامه وصلاح عمله، فبيَّن صلى الله عليه وسلم أن مما يزيد المرء حسنًا في دينه أن يدع ما لا يعنيه ولا يفيده في أمر دنياه وءاخرته، وأن لا يتدخل في شؤون غيره على نحو يُفضي إلى التطفل. ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**» توجيهٌ للأمَّة بالاشتغال بما ينفعها ويقرِّبها من طاعة ربها كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»[2]، فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى اغتنام الأوقات بالخيرات، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، وعمر الدنيا قصير، فهو كظل شجرة يوشك أن يذهب سريعًا، لذا فالإنسان العاقل الذي جعل الآخرة همه والجنة مأربه يغتنم أوقاته كلها.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/١٣١٥)، حديث ٣٩٧٦.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٥٢)، حديث ٢٦٦٤.

Dipindai dengan CamScanner

وإن اهتمام المرء وانشغاله بما يعنيه فيه فوائد عظيمة، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة قد تشغلك بالمعصية، فمن اشتغل بالناس نسي أمر نفسه وأوشك اشتغاله بالناس أن يوقعه في أعراضهم بالقيل والقال، كما أن انشغال المرء بنفسه وبما يعنيه فيه حفظ للوقت ومسارعة في الخير.

ومن الأمور التي يشملها الترك في الحديث: ترك فضول الكلام ولغو الحديث. وقد امتدح الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [سورة المؤمنون] فمن صان لسانه عن فضول القول سَلِمَ من انزلاقه فيما لا يحبه الله ويرضاه، وحمى منطقه من الغيبة والنميمة، لذلك حث الشرع في مواطن كثيرة على لزوم الصمت إلا بما فيه ذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه ذلك، قال الله عز وجل: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ۝١١٤﴾ [سورة النساء].

قال ابن حجر في شرحه على الأربعين: ومن حسب كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه لأن من لم يعد كلامه من عمله جازف فيه ولا يتحرى، وعن معاذ قال: يا نَبِيَّ الله، وإنا لَمُؤَاخَذون بما نتكلم بِهِ؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[1] يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[2].

---

(١) هذا للتنبيه لا للدعاء عليه.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (١٢/٥)، حديث ٢٦١٦.

Dipindai dengan CamScanner

وروى ابن ماجه[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وليعلم الإنسان أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلًا ولا يؤخِّر رِزقًا، بل يكسبك الرتب والمعالي.

وهاك أيها القارئ بعض الأقاويل عن السلف:

فعن مالكٍ[2] بلغه أنّه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما نرى؟، قال مالكٌ: «يريدون الفضل»، قال: «صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني».

وعن الحسن قال: «من علامة إعراض الله عن العبد[3] أن يجعل شغله فيما لا يعنيه».

وهنا مناسبةٌ للتحذير من قول بعض الجهال إذا رأوا إنسانًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: «عليك بنفسك»، وبعضهم يقول: «كل واحد عليه بنفسه» على معنى عدم إنكار المنكر، وهذا مخالف لما مر من تأكيد إنكار المنكرات وأنه عمل عظيم يحبه الله ويرضاه، ولا عبرة بقول الجهال الذين يسكتون عن إنكار المنكرات، إذ هذا خلاف الوصية.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/١٣١٥)، حديث ٣٩٧٤.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (٦/٥١٢)، حديث ٤٥٤٦.

(٣) أي حرمانه الخير ومنعه الثواب، فلا يوصف الله بصفة من صفات خلقه.

Dipindai dengan CamScanner

وفي تفسير البغوي[1] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ١٠٥﴾ [سورة المائدة]: روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابِهِ**».

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واتْرُكْ كلَّ من يؤذيكَ».

الشرح: هذه النصيحة هي لازم نصيحة مرَّت قبل ألا وهي: «وخذ العفو وأمر بالمعروف» وسنبين معنى حقيقة هذه النصيحة لئلا تُفهم على غير وجهها.

ويحسن هنا أن نعيد الحديث الذي فيه: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[2]، وعلى هذا يحمل كلام الإمام، فليس مراده رضي الله عنه أن انقطع عن الناس ولا تعاشرهم واعتزلهم ولا تكلم أحدًا منهم، إذ الحال أنك إن خالطتهم وصبرت على أذاهم تنفعهم بقولك ومقالك وفعلك وحالك. فهو رضي الله عنه أراد بـ «اترك من يؤذيك» أي بالصفح، والعفو، والمسامحة مع الإرشاد، والتنبيه، والتوعية، والإفهام، والتربية، والنصيحة، والصبر، والتحمل، ومبادلة

---

(١) تفسير البغوي، البغوي، (٢/٩٥).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٦٦٢)، حديث ٢٥٠٧.

Dipindai dengan CamScanner

الإساءة بالإحسان، والحكمة، والرزانة، والرشد، والسداد، والهدى، فهو نفسه سيقول له فيما بعد: «وتقرب من العامة ودارِ الفجار».

زد على ذلك أن في محنته رضي الله عنه درسًا كبيرًا، ففي قصته مع المنصور يتجلى لك معنى: «واترك من يؤذيك»، فقد دعا المنصور أبا حنيفة ليتولى القضاء فامتنع رضي الله عنه لعلمه بأن هناك من أهل عصره من هو أهل لذلك المنصب، وأنه لم يتعين عليه تولي القضاء، فأنزل به العذاب بالضرب والحبس. وهذا درس كبير في الصبر.

وعلى هذا جرى الأئمة الأعلام، فهذا أبو العلمين القطب الغوث ملجؤنا ومفزعنا عند الشدائد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرضاه كان ذات يوم يمشي مع جمع من مريديه فعلم بذلك يهوديٌّ كان يسمع أن السيد أحمد الرفاعي حليم فأراد أن يمتحنه هل هو كما يصفه الناس أم لا، فأتى إليه وقال: يا سيد أنت أفضل أم الكلب؟ وكان بقربه كلب أجرب، فقال السيد رضي الله عنه: إن نجوت على الصراط فأنا أفضل، فأسلم اليهودي، وأسلم أهله وكثير من عشيرته. فلولا تواضع سيدنا أحمد معه لم يسلم، فلو كان ظهر الغضب أو الاكفهرار على وجهه أو قال له كلمة شتمٍ ما رغب في الإسلام، لكن لمَّا أعجبه شدة حلمه وتواضعه اعترف اليهودي في نفسه بأن دين هذا السيد صحيحٌ وأَسلَمَ.

وهذا ليس بعزيزٍ عليهم ولا غريب عنهم، فقد استَقَوْا ذلك من نهج رسولهم الكريم، ففي قصته صلى الله عليه وسلم مع زيد بن سعنة خير دليل، قال زيد بن سعنة: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق

Dipindai dengan CamScanner

حلمه جهله[1]، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدًا، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشى يا رسول الله، أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت، قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل جانبه، أراه عمر، فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت له: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: «**لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان**»، قلت: نعم، فبايعني صلى الله عليه وسلم، فأطلقت همياني، فأعطيته ثمانين مثقالًا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، قال: فأعطاها الرجل وقال: «**اعجل عليهم وأغثهم بها**»، قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان ونفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه، ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم،

---

(١) أي غضبه.

Dipindai dengan CamScanner

قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره وقال: أي عدو الله، أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع، وتفعل به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: «**إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة**[1]**، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا من غيره مكان ما رعته**»، قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك، فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: نعم، الحبر، قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت، وتفعل به ما فعلت؟ فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وأشهدك أن شطر مالي فإني أكثرها مالًا صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم كلهم، قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى

(١) هذا من النبي تعليم للأمة، وليس المراد أنه صلى الله عليه وسلم يُخشى عليه من أن لا يرد الدين أو أن يظلم فيه.

Dipindai dengan CamScanner

الله عليه وسلم، فآمن به وصدقه، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلًا غير مدبر[1].

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وبادر في إقامةِ الحقوقِ».

الشرح: وصيةٌ جليلةٌ من إمامٍ جليلٍ فحواها القيام بالقسط والدعوة إلى العدل. فالعدل من حيث المفهوم هو إعطاء كل ذي حقٍ حقه؛ وهو خُلُقٌ كريم يعني التزام الحق والإنصاف في كل أمرٍ، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان.

وقد ورد عن السيدة عائشة رضيَ الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَتَدْرُونَ مَنِ السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ اللهِ**[2] **عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحُكْمُهُمْ لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ**».

تنبيه مهم: الحديث: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»[3] يفسره حديثٌ ءاخر: «**فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**»[4]؛ وحيث لا يكون في مواقف القيامة ظل لبناءٍ أو جبلٍ أو جدارٍ أو شجرةٍ، ولا يكون ما اعتاد الناس في الدنيا من التفيُّؤِ في الظلال في ذلك الموقف فلا يوجد إلّا ظل العرش؛ فمن كان فيه أمن من عذاب حرِّ الشمس. وإضافة الظل إلى الله هو إضافة مُلكٍ أو تشريفٍ

---

(١) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٥٢١/١)، حديث ٢٨٨.

(٢) أي ظل عرشه لأن الله منزه عن الجسمية وصفاتها.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١٣٣/١)، حديث ٦٦٠.

(٤) المستدرك، الحاكم، (١٨٧/٤)، حديث ٧٣١٥.

Dipindai dengan CamScanner

للعرش، كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [سورة الأعراف] مع أن كلّ النوق ملك لله، لكن لما لها من الشأن العظيم وأنها كانت معجزةً لنبيه صالح خصها الله بالذكر، وكذلك في قوله تعالى لإبراهيم وإسماعيل: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [سورة البقرة] أي البيت المشرف عندي، وهو الكعبة المشرفة التي بنيت لعبادة الله وتوحيده وليس معناه أن الله يسكن الكعبة ولا أن الله يحل فيها، فهو موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان. فهذه إضافة تشريف وإضافة مُلك، وأما الله فلا يتشرف بأحدٍ من خلقه، وليست إضافة جزئية لأن الله منزه عن الجسمية وعن التجزؤ والجزئية. أما بالنسبة لنا فيقول الواحد منا هذه يدي أي هي جزء مني؛ وهذا كتابي أي ملكي. فالله أضاف بعض الأشياء إلى نفسه إضافة تشريف لهذه الأشياء، أو إضافة ملكية، وليست للجزئية أو الحلول في هذه الأماكن كالكعبة لأنه سبحانه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى]. فالله تعالى ليس جسمًا ليكون له ظل، فهو منزهٌ عن الجسمية والحجمية وعن صفاتها؛ ومنزهٌ عن أن يكون ظلًا، ومنزهٌ عن أن يكون خيالًا لأنه سبحانه قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل]. وأما ما قاله بعض مجسمة ومشبهة العصر الوهابية: «ظل حقيقي» فهذا كفر صراح. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: «أَنَّى يُشبِه الخالق مخلوقه»، وقال الشافعي: «المجسم كافر»، وقال أحمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي الوراق المصري: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر». وقد أجمعت الأمة على كفر المشبهة والمجسمة، فقد قال الفقيه

Dipindai dengan CamScanner

الحنفي محمد بن محمد علاء الدين البخاري في كتابه «ملجمة المجسمة»[1]: «فالمجسم كافر إجماعًا».

تتمة: في هذا الحديث الذي ورد في بداية شرح هذه الوصية موعظةٌ وضياءٌ للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون[2]، فهو وَعْدٌ من الله لمن رضي بالحقِّ أخذًا عاملًا به مطبِّقًا ذلك على نفسه وعلى غيره قولًا وفعلًا، وحكم للناس بمثل ما يحكم هو لنفسه أو بمثل ما يحب أن يحكم هو له به، فلا يتعاظم في نفسه ويرى أن له منزلة على غيره فيرفض الحق ويظلم الناس فيكون متكبرًا، ولا يعادي الحق إذا صدر على غير يديه ولا يمتنع من أداء الحق بخلًا أو ظلمًا أو عتوًا أو نفورًا فيستحق عقوبة الله ووعيده في العاجل والآجل، فالتقي يقبل الحق قولًا وفعلًا سواءٌ صدر له أو عليه من بعيد أو قريب ويعطي كل ذي حقٍ حقه كائنًا من كان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة]، أي لا يحملنَّكم بغضكم وعداوتكم لقومٍ على ترك العدل واطراح الحق.

ففي هذه الآيات وهذا الحديث وغيرهما أمر من الله ورسوله بإقامةِ العدل والتزام الحقِّ قولًا وعملًا وأخذًا ورَدًّا، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) ملجمة المجسمة، ابن علاء الدين البخاري، (ص٦٢).

(٢) أي يخافون يومَ القيامة وأهواله العظيمة.

Dipindai dengan CamScanner

تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة النحل]، فأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين متعاضدين متناصرين فيه.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على خُلُقٍ عَظِيم متخلِّقًا بما جاء به القرءان الكريم من الصفات الكريمة والخصال الحميدة من العدل والأمانة والوفاء والصدق والكرم والعفو والنصح والتواضع، فلا تجد صفة من صفات الخير إلا ونبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم قد تبوأ القمة فيها وحاز قصبة السبق فيها.

وهنا نزيد الأمر بيانًا فنقول: كل من له أدنى إلمام بالعلم يعرف أن الدعوة إلى حقوق الله شأنها عظيم وهي مهمةُ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والأولياء والصالحين، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم الأئمة في هذا الشأن، وهم الأئمة في الدعوة وهي وظيفتهم لأنَّ الله عز وجل بعثهم دعاةً للحق وهداةً للخلق، فيا لها من منزلةٍ عظيمةٍ، ويا لها من شرف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النحل].

فبيَّن سبحانه وتعالى أن الرسل جميعًا بعثوا بهذا الأمر العظيم وهو الدعوة إلى عبادة الله وإقامة حقوق الله.

Dipindai dengan CamScanner

فبيَّن اللهُ أنَّ الرسلَ بُعِثوا ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة النساء]، مبشرين من أطاعهم بالنصر والتأييد والجنة والكرامة، ومنذرين من كفر بهم بالخيبة والندامة والنار.

وفي بعثتهم إقامة الحجة وقطع المعذرة، حتى لا يقول قائل: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فالله تعالى بعث الرُّسُل إقامةً للحجة، وقطعًا للمعذرة، وهدايةً للخلق، وبيانًا للحق، وإرشادًا للعباد إلى أسباب النجاة، وتحذيرا لهم من أسباب الهلاك، فهم خير الناس وأصلحهم وأنفعهم لهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [سورة الأحزاب].

وقال عز من قائل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [سورة يوسف].

فالدعوة إلى الله هي سبيل الرسل وطريقهم، وفي ذلك غايةُ الشرف والفضل للدعاة أتباع الرسل، المقتدين بهم السائرين على منهاجهم عليهم الصلاة والسلام.

ومن شرطِ ذلك أن يكونَ الداعية على بصيرةٍ وعلمٍ وبينةٍ بما يدعو إليه ومما يحذر منه لئلا يضر الناس ولئلا يدعو إلى ضلالةٍ وهو لا يدري أو يدعو إلى باطلٍ وترك حقٍّ وهو لا يدري، وحتى يكون على بينةٍ فيعرف ما يدعو إليه وما يدعو إلى تركه. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ۝١٢٥﴾ [سورة النحل].

Dipindai dengan CamScanner

فهذا الأمرُ العظيمُ وإن خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فهو أمر للأمة جميعًا لأن القاعدة الأصولية تقول: إن أمته تابعةٌ له في الأمر والنهي إلّا ما دل الدليل على أنه خاصٌّ بالنبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب].

ففي ما تقدم بيانٌ لكيفية الدعوة وأسلوبها ونظامها وما ينبغي للداعي أن يكون عليه، فادع أيها القارئ إلى الله بآياته وسنة رسوله لما فيها من الحكمة والفقه والهدى والبيان والإيضاح، وليكن الداعي ذا حكمةٍ وذا موعظةٍ حسنة.

ومن الحكمة إيضاح المعنى وبيانه بالأساليب المؤثرة التي يفهمها المدعو، وبلغته التي يفهمها حتى لا تبقى عنده شبهة وحتى لا يخفى عليه الحق بسبب عدم البيان أو بسبب عدم إقناعه بلغته.

وحقيقٌ بطالب العلم أن يبادر ويسارع إلى هذا المقام العظيم مقام الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو الدعوة إلى الله والإرشاد إلى دينه الحق. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت].

هذه الآية العظيمة تبين لنا أن الداعيَ إلى الله عز وجل ينبغي أن يكون ذا عمل صالح يدعو إلى الله بلسانه وبأفعاله.

Dipindai dengan CamScanner

ومن الدعاة إلى الله الداخلين في هذه الآية المؤذنون المسلمون المخلصون، فإنهم دعاة إلى طاعة الله وعبادته ينادون على رؤوس الأشهاد بتأدية ما أمر الله به له وتعظيمه والشهادة له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة.

ومما صح في السنّة[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الدعوة وفضلها قوله صلى الله عليه وسلم لما بعث عليًا رضي الله عنه: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»، وفي الحديث[2]: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**».

فبعد هذا الغيض من الفيض، ينبغي أن تخرج أيها القارئ الكريم ـ لا سيما إن عرفت أن هذا نزر قليل من جليل ما ورد ـ بنتيجة وخلاصة فيها نجاتك في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن مَرِضَ من إخوانِكَ فَعُدْهُ بنفسِك، وتعاهَدْهُ برُسُلِك».

الشرح: ليعلم أن عيادة المريض وزيارته من الآداب الرفيعة التي حثَّ الإسلام المسلمين عليها وجعلها من أولى حقوق المسلم على أخيه المسلم، بل ومن سبل التآلف بين القلوب الذي امتنَّ الله تعالى علينا به في كتابه الكريم

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥/١٣٤)، حديث ٤٢١٠.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٦٠)، حديث ٢٦٧٤.

Dipindai dengan CamScanner

حيث قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة ءال عمران].

وهذه العيادة تذكر المريض بأقوى رابطٍ بين المسلمين وهو الأخوة في الإسلام، فيكون ذلك سببًا في تخفيف ءالامه وأحزانه. لذا كان من أدب السلف إذا فقدوا أحدًا من إخوانهم سألوا عنه، فإن كان غائبًا دعوا له وخلفوه خيرًا في أهله، وإن كان حاضرًا زاروه، ومن كان مريضًا عادوه، يقول الأعمش رحمه الله: «كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضًا عدناه».

وقد ورد في الأثر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قيل: ما هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟، قال: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»(١).

ولأهمية هذا الخُلُقِ الطَّيب الذي هو من قبيل التواصل ونشر الألفة والمحبة جُعل لزيارة المريض فضلٌ وثوابٌ كبيرٌ كما جعلت له ءاداب جميلٌ الالتزامُ بها.

أولًا: فضل وثواب عيادة المريض:

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٧٠٥/٤)، حديث ٢١٦٢.

Dipindai dengan CamScanner

١. **ثواب الملك الغفار**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ ءادَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**» الحديث[1]. وقد مر الكلام على الحديث سابقًا، وذُكِر باختصار تنزه الله عزَّ وجلَّ عن الصحة والمرض، إذ هما صفات الخلق. قال النووي[2]: «قال العلماء: «إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفًا للعبد وتقريبًا له، قالوا: ومعنى «**وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**» أي وجدت ثوابي وكرامتي»، وانظر في معنى هذا الحديثِ وما فيه من فائدةِ إثباتِ التأويل فيما سبق.

٢. **صلاة الملائكة عليه**: فمن فضائل وثمار عيادة المريض أن الملائكة تصلي على العائد وتستغفر له، فعن عليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»[3] أي بستان.

٣. **نزول الرحمة**: فعن مروان بن أبي داود قال: أتيت أنس بن مالكٍ فقلت: يا أبا حمزة إن المكان بعيدٌ ونحن يعجبنا أن نعودك. فرفع رأسه فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي**

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٩٠/٤)، حديث ٢٥٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (١٢٦/١٦).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٢٩١/٣)، حديث ٩٦٩.

Dipindai dengan CamScanner

الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ»، قال: قلت يا رسول الله هذا للصحيح الذي يعود المريض، فالمريض ما له؟ قال: «تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ»[1].

٤. **السعادة والنعيم**: فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا»[2].

ثانيًا: ءاداب عيادة المريض:

١. **اختيار الوقت المناسب**: بحيث لا تتسبَّبُ للمريض وأهله حرجًا، فقد يكون المريض نائمًا بل توسَّطْ وتَمَهَّلْ ولا تُهْمِل.

٢. **سؤال المريض عن حاله**: فمن زار مريضًا بدأه بالسؤال عن حاله من غير إثقال عليه، فعن محمود بن لبيد قال: لما أصيب سعد يوم الخندق فثقل، حوّلوه عند امرأةٍ فكانت تداوي الجرحى فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مرّ به يقول: «كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟»، وإذا أصبح يقول له: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» فيخبره. أخرجه البخاري في الأدب المفرد[3].

٣. **رقية المريض والدعاء له**: من السنة إذا عدت مريضًا أن تدعوَ له بالشفاء وأن ترقيه، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٢٠/١٧٩)، حديث ١٢٧٨٢.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٦٥)، حديث ٢٠٠٨.

(٣) الأدب المفرد، البخاري، (ص٣٨٥)، حديث ١١٢٩.

Dipindai dengan CamScanner

إذا دخل على مريض قال: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»[1].

وعن عبادة بن الصامت قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوده وبه من الوجع ما يعلم الله شدّةً، ثم دخلت عليه من العشي وقد برئ أحسنَ بُرْءٍ فقلت له: دخلت عليك غدوة ولك من الوجع ما يعلم الله شدةً، ودخلت عليك العشية وقد برئت فقال: «يَا ابْنَ الصَّامِتِ إِنَّ جِبْرِيلَ رَقَانِي بِرُقْيَةٍ بَرِئْتُ أَلَا أُعَلِّمُكَهَا؟»، قلت: بلى، قال: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ: مِنْ حَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، بِاسْمِ اللهِ يَشْفِيكَ»[2].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عُوفِيَ»[3].

ومما يهدى إلى المريض تذكيره بوصية النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الاستشفاء، فقد جاء عثمان بن أبي العاص إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو وجعًا في جسده فقال له: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[4].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٢١/٧)، حديث ٥٦٧٥.
(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٤٢٠/٣٧)، حديث ٢٢٧٥٩.
(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٤١٠/٤)، حديث ٢٠٨٣.
(٤) صحيح مسلم، مسلم، (١٧٢٨/٤)، حديث ٢٢٠٢.

Dipindai dengan CamScanner

وفي الأحاديث المتقدمة بيانٌ لجواز الرقية الصحيحة الموافقة للشّرع وقد فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلت له وأمر بفعلها، وحاشاه أن يأمر بشرك أو حرام، وبهذا يفسر ما ورد في بعض الأحاديث من ترك الرقية إذ هو محمول على الرقى المخالفة للشرع مما فيه استنجاد بالشّياطين وغير ذلك، وإلّا لزم التناقض في كلامه صلى الله عليه وسلم وهو مستحيلٌ عليه صلى الله عليه وسلم.

٤. **تذكير المريض بالصبر على المرض:** ينبغي لمن زار مريضًا أن يذكره بالصبر على مرضه وجزاء الصابرين الذي وصفه ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة البقرة].

وعن أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»(١).

يا صاحبَ الهَمِّ إنَّ الهمَّ منقطعُ ... أَبْشِرْ بذلكَ فإنَّ الكافيَ اللهُ

إذا بُلِيتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بِهِ ... إنَّ الذي يكشِفُ البَلْوَى هوَ اللهُ

٥. **عدمُ إطالةِ الزيارة:** أخي العائدَ لا تُطِلْ جلوسَكَ عندَ المريض، قال الشاعر:

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١١٤/٧)، حديث ٥٦٤٠.

Dipindai dengan CamScanner

أَدَبُ العِيادةِ أن تكون مُسَلِّمًا وتَقُومَ في إثرِ السَّلامِ مودِّعًا

بل قد نصح النبي صلى الله عليه وسلم وعلم ووعظ في شأن الزيارة عمومًا أبا ذرٍ فقال: «**يا أبا ذر زر غِبًّا تزدد حبًّا**»، رواه الطبراني[1].

٦. **تقليل السؤال**: فبعض النّاس يُكثِر من سؤال المريض عن حاله، وهذا مما يرهق المريض. يروى أنه دخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه فسأله عن علته فأخبره، فقال الزائر: إن هذه العلة ما شفي منها فلان ومات منها فلان، فقال عمر: إذا عدت مريضًا فلا تنع إليه الموتى، إذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

٧. **يفسح له في الأمل**: مما يذكر في هذ الباب التخفيف عن المريض وذلك بذكر الشفاء والمعافاة بإذن الله، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ، فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَهُوَ يُطَيِّبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ**»[2].

٨. **طلب الدعاء من المريض**: فإذا دخلت على مريض فسله الدعاء، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [سورة النمل] الآية. وعن عمر ابن الخطاب قال: قال ليَ النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ، فَمُرْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ**»[3].

---

(١) وهو ضعيف عند بعض الحفاظ لم يصح عندهم رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٤٦٢/١)، حديث ١٤٣٨.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٤٦٣/١)، حديث ١٤٤١.

Dipindai dengan CamScanner

ولقد لخص الحافظ ابن حجر ءاداب عيادة المريض فقال[1]: «في العيادة أن لا يطيل العائد عند المريض حتى يُضجِره وأن لا يتكلم عنده بما يزعجه».

وجملة ءاداب العيادة عشرة أشياء، ومنها ما لا يختص بالعيادة:

١. أن لا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدقَّ الباب برفقٍ، وأن لا يُبْهِم نفسه كأن يقول: «أنا».

٢. وأن لا يحضر في وقتٍ غير لائقٍ بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء.

٣. وأن يخفف الجلوس.

٤. وأن يغض البصر.

٥. وأن يقلل السؤال.

٦. وأن يظهر الرقة.

٧. وأن يخلص الدعاء.

٨. وأن يوسع للمريض في الأمل.

٩. وأن يشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر.

١٠. وأن يحذره من الجزع لما فيه من الوزر[2].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٠/١٢٦).

(٢) أي هذا الجزع الذي يؤدي إلى ارتكاب فعلٍ أو قولٍ محرم.

Dipindai dengan CamScanner

وأخيرًا نقول للعائد: اجعل زيارتك خالصةً لوجه الله، فإن الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصًا له، وإن لم تستطع الزيارة والعيادة أنِبْ عنكَ ووكِّل من يزور ويتفقد حال المريض، وتَعَاهدْهُ واطمئِنَّ عليه برسلك.

ومما ينبغي تذكير المريض به المحافظة على الصلوات في مرضه، وأن لا يترك الصلاة مهما اشتد به الألم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مرضه الذي توفي فيه يُغمَى عليه من شدة الألم فإذا أفاق قال: «**أَحَانَتِ الصَّلَاةُ؟**» فيقولون: نعم، فيقول: «**إِلَيَّ بِالوَضُوءِ**»[1]، فيتوضأ ويصلي، فإذا سلم من صلاته أغمي عليه.

فإذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف يتجرأ بعض المرضى أن يتركوا الصلاة في مدة مرضهم؟ والله تعالى حكيمٌ لطيفٌ بهم، وهو سبحانه الذي قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ١٩١﴾ [سورة ءال عمران]، فقد رخص سبحانه للمريض الذي لا يستطيع القيام أن يصليَ جالسًا مستقبلًا القبلة أو مستلقيًا أو مضطجعًا على حسب ما يستطيع، وليس له ذلك إلّا إن عجز عمَّا يلزمه الإتيان به كالقيام مثلًا، فلا يصح أن يصليَ جالسًا مع القدرة على القيام لحديث عمران بن الحصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»[2].

ولقد رأينا وعلمنا من كثيرٍ من المرضى في أيامنا هذه أنهم يهملون الصلاة والعياذ بالله، فإن من ترك صلاة واحدةً مفروضةً بلا عذرٍ يكون

---

(١) بفتح الواو وهو ماء الوُضوء.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٢/٤٨)، حديث ١١١٧.

Dipindai dengan CamScanner

فاسقًا خبيثًا ملعونًا ظالمًا مجرمًا حل عليه سخط الله وغضبه، ويكون من عظم ذنبه قريبًا من الكفر ويخشى عليه من سوء الخاتمة، وديننا ولله الحمد يُسرٌ سهلٌ، فالمريض الذي لا يستطيع أن يصليَ كل صلاةٍ في وقتها لشدة الألم والمرض يجوز له الجمع من غير قصرٍ لأنه مقيمٌ، فيجمع الظهر مع العصر تقديمًا أو تأخيرًا على حسب استطاعته ويصليهما من غير قصر، فهو مرخص له بالجمع وبالجلوس إن عجز عن القيام. فكيف يتجرأ البعض على التهاون في أمر الصلاة، نعوذ بالله من سوء الحال وسوء المنقلب.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن غابَ منهم فتفقَّدْ أحواله. ومنْ قعدَ منهم عنْك، فلا تقعُدْ أنت عنه».

الشرح: يُكمِل الإمام في بيان أهمية التواصل مع الغير، فبعد أن ذكر عيادة المريض أتبع ذلك بالكلام على تفقد أحواله، وهذه التفاتة مهمة ذيَّل بها هذا الكلام فأطنب فأفاد وأجاد.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(١).

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٩٩/٤)، حديث ٢٥٨٦.

Dipindai dengan CamScanner

هذه الأدلة وغيرها من الكتاب والسّنة تدعونا إلى العناية والاهتمام بإخواننا المسلمين أفرادًا وجماعاتٍ في كل بقاع الأرض، وتفقد أحوالهم ومعرفة واقعهم وتحسس ءالامهم ورصد احتياجاتهم ومعرفة مطالبهم ثم العمل على مساعدتهم كل بحسب استطاعته، مع العناية بتقديم الأهم على المهم وهكذا فهناك من المسلمين في بلاد المسلمين وفي غيرها من البلدان الأخرى من يحتاجون إلى الطعام والكساء، وهناك من يحتاج إلى التعليم والتدريب على نشر العلم، وهناك من يحتاج إلى الكتاب والمدرسة، وهناك من يحتاج إلى بناء مسجدٍ تقام فيه الصلاة ويذكر فيه اسم الله، وهناك من يحتاج إلى المدرس والمرشد والداعية إلى الله يذكرهم بالله ويبين لهم حقيقة الإسلام ويوضح لهم أحكام دينهم حتى يعبدوا الله على بصيرةٍ وهدًى، وهناك من يحتاج إلى الطبيب والمشفى لعلاج مرضاهم وإلى مأوى مناسب يقيهم الحر والبرد.

وهاك أيها القارئ بعض النصائح مؤيدة بما ورد من هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته:

أخي إذا كان لك من يأتيك من أصحابك ويجالسك فتفقده إذا تأخر عنك فإذا جاء فاسأله وقل له: أين كنت؟ ثم بين له أحكام دينه إن كان تأخر بسبب شيء يجهله لأن أبا هريرة لقي الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة وهو جنبٌ فانسل عنه فاغتسل فتفقده الرسول صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**»، قال: يا رسول الله لقيتني وأنا جنب فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

Dipindai dengan CamScanner

«سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ»[1]. وفي بعض الروايات قال له: «لَوْ بَقِيتَ كَانَ خَيْرًا»، معناه استمرارك معنا للتعلم مما أقوله أفضل لك، وهذا دليلٌ على أهمية مجالسة الرسول والاستماع إلى تعاليمه ولو مع وجود الجنابة، وفيه أن المؤمن لا يصير نجسًا بالجنابة، وأنه يجوز له الخروج من بيته والمشي في الأسواق ومخالطة الناس والعمل والأكل والشرب، إذ المهم أن لا يضيع الصلاة.

وتَفَقَّد من له عملٌ من أعمالِ الخير إن تأخَّر، واسأل عنه، فإن كان مات فصلّ عليه وإن لم يحصل لك الصلاة عليه فاذهب وصلِّ على قبره إن تيسر، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة أنّ امرأةً سوداء كانت تقمّ المسجد ـ أي تكنسه ـ ففقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسأل عنها فقالوا: ماتت، قال: «أَفَلَا كُنْتُمْ ءاذَنْتُمُونِي»، قال: فكأنّهم صغّروا أمرها فقال: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِها» فدلّوه، فصلّى عليها، وقد تقدَّم.

وإذا لاحظت على أصحابك بعض التأخر عن بعض الطاعات المندوبة فوجههم إليها بأسلوبٍ جميلٍ مناسبٍ، فقد روى أبو سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تأخُّرًا فقال لهم: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ»[2].

وإذا كان من يجالسك ويزورك ممن يستفاد من مجالسته بالعلم والخير فاطلب منه أن يزورك أكثر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل:

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١/٢٨٢)، حديث ٣٧١.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١/٣٢٥)، حديث ٤٣٨.

Dipindai dengan CamScanner

«مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا» فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم].

فمن الأولويات على الراعي تجاه رعيته أن يتفقدهم، ويسأل عن أحوالهم، ويلتمس همومهم ومشاكلهم، ويلبي حوائجهم وطلباتهم، ويحفظ حقوقهم ويتعاون معهم على أداء مسؤولياتهم، وينصحهم، ويكثر لهم الخير، ويقلل لهم الشر مع حفظ حقهم، وأن يحذر من الوقيعة في أعراضهم أو الجرأة عليهم بتنقيصهم أو الدعاء عليهم.

فانظر أخي إلى سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهو يتفقد حال شيء لم يكن بشرًا ولا رجلًا وإنما كان طيرًا من الطيور غاب عنه وفارق قومه، فقام سيدنا سليمان بالسؤال عنه، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النمل].

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ضرب مثالًا رائعًا في تفقد الرعية ومتابعة المتبوعين، فقد كان بأبي هُوَ وأمي يتفقد أصحابه، ويتابعهم في مشكلاتهم، ويتابعم في الجهاد في سبيل الله، ويقف في مؤخرة[1] الجيش ليحمل

---

(١) وأثناء المعركة يكون في الطليعة أقرب ما يكون إلى العدو كما قال سيدنا علي: «كنا إذا احمرت الحدق واشتد الوطيس نحتمي برسول الله». وكما روي عن بعض الصحابة: «أجرؤنا الذي يكون قريبًا من رسول الله في المعركة»، لأنه صلى الله عليه وسلم يواجه العدو ولا يختبئ بل يعرفهم بنفسه ويقول لهم: «أنا النبي لا كذب» لأنه صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.

Dipindai dengan CamScanner

الضعيف، ويعين المكلوم[1] ويتابعهم في أحزانهم وأفراحهم، ويتفقدهم، ويعودهم، ويسأل عنهم، ويرسل إليهم.

ويقول زيد بن أبي أوفى: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة فقال: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟ أينَ فُلَانٌ؟**» فجعل ينظر في وجوه أصحابه ويتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فحمد الله وأثنى عليه فآخى بينهم.

والأمثلة على ذلك كثيرةٌ، فينبغي للواحد منا الاقتداء بهؤلاء الأكابر في هذه الخصال الحسنة، ولذا ذكرها الإمام في وصيته لما رأى من أهميتها.

وكان من أخلاق مولانا أبي العلمين الرفاعي الكبير رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته أن يتفقد أحوال مريديه ويسأل عنهم، فيعود المريض ويخرج لقضاء حاجة المحتاج منهم، وربما خرج من قريته أم عبيدة إلى مسافة يومين ليعود مريضًا ثم يرجع ويمسك بيد الأعمى الذي يراه في الطريق ويوصله حيث أراد، ولا يطلب ذلك من مريديه بل بنفسه يفعل ذلك.

وكان إذا جاء من سفر وأشرف على قريته يحمل الحطب على رأسه للأرامل والأيتام، فيقتدي به أتباعه في ذلك فإذا دخلوا القرية وزعوه على من يحتاجه من الأرامل والأيتام والفقراء.

---

(١) أي المصاب بالجروح.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وصِلْ مَنْ جفاكَ».

الشرح: قد مرَّ الكَلَامُ في وصية الإمام على الإحسان إلى من أساء، والحث على زيارة من يزورك ومن لا يزورك، فلذا ننتهزها فرصة للكلام على الجفاء.

إن مما يحزن الإنسان العاقل في هذه الأيام كثرة الجفاء بين الإخوان والأصحاب، فتجد بعضهم يجفو إخوانه وأقرانه الذين طالما جلس معهم فأفادهم وأفادوه، بل قد يصل الحال بالبعض إلى جفاء وهجران من له الفضل في هدايته وتربيته وصلاح أمره، ويغفلون أن التآلف والتآخي في الله هو من ثمرة حسن الخلق، وأن الجفاء صفةٌ ذميمةٌ ومظهرٌ من مظاهر سوء الخلق الذي يورث التفرق والوحشة بين الناس، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، فكم من بيتٍ خرب وأسرةٍ تهدمت بسببه؟ وكم من جفوةٍ ونفرةٍ بين الأحبة حدثت بسبب غلظة الطبع وترك الرفق في الأمور؟

وقد وردت النصوص القرءانية بذم الجفاء والتنفير منه؛ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الحديد].

Dipindai dengan CamScanner

وأيضًا جاء النهي عن الجفاء على لسان خير الورى، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ[1] إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْءَانِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»[2].

وقد ورد في أخبار الساعة: «**وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة رؤوس الناس فذاك من أشراط الساعة**». متفق عليه.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»[3].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]: «**الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ**».

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر[5]: «كان لنا أصدقاء وإخوان أعتد بهم فرأيت منهم من الجفاء وترك شروط الصداقة والأخوة عجائب، فأخذت أعتب، ثم انتبهت لنفسي فقلت: وما ينفع العتاب، فإنهم إن صلحوا فللعتاب لا للصفاء». ومراده حيث لا ينفع العتاب.

---

(١) أي من كمال ذلك.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٦١)، حديث ٤٨٤٣.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٨/٢١)، حديث ٦٠٧٧.

(٤) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٧/٤٩٢)، حديث ٢٢٨٤٠.

(٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ص٣٩١).

Dipindai dengan CamScanner

ويقول أبو حامد الغزالي[1]: «وهفوة الصديق لا يخلو إما أن يكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصيره في الأخوة؛ أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصيةٍ والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يُقوِّم أوده ويجمع شمله ويعيده إلى الصلاح والورع، أما تقصيره في حقك الأولى العفو والاحتمال».

والجفاء والغلظة صفتان غير محببتين في الشرع، فينبغي للمؤمن أن يتخلى عن العنف والقسوة والعبوس وسوء المعاملة وأن يتحلى بالرفق والرحمة والبر والعطف والحلم ومجاهدة نفسه في التباعد عن أسباب العنف وصوره. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [سورة العنكبوت].

فلنتخلق بأخلاق الكُمَّل؛ فالمؤمن المتواضع هيِّنٌ ليِّنٌ، سهلٌ ذلولٌ، منقاد للحق، يألف ويؤلف، بخلاف الجافي الغليظ الذي لا يألف ولا يؤلف. فقد كان صلى الله عليه وسلم ألين الناس، يصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم[2]، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، ومن كان كذلك لا يخزيه الله أبدًا، كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٢/١٨٣).

(٢) أي يعطي المحتاج الذي ليس له ما يكفيه.

Dipindai dengan CamScanner

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ، وَغِلَظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ فِي أَهْلِ الْمَشْرِقِ**»[1] أي في جهة نجد.

فينبغي للمؤمن الكامل أن يجاهدَ نفسَهُ في زيارة إخوانه، والإحسان إليهم، ووصلهم بالعطاء، وتفقد أحوالهم، لما في ذلك من الثواب والأجر والفائدة والمصلحة العظيمة، وأن يجاهد نفسه في الشفقة والرحمة والتواضع والإحسان وترك الجفاء، والابتعاد عن الغلظة وسوء الخلق والقطيعة والتباغض والتدابر فتصلح المجتمعات ويتقوى المسلم بالتآلف مع إخوانه؛ وفي ذلك قوة للإسلام وأهله وإرعاب لأهل الكفر والضلال والنفاق.

فهنيئًا لمن ترك الجفاء واقتدى بسيد الأصفياء محمد صلى الله عليه وسلم، وبسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبالأولياء رضوان الله تعالى عليهم، ففي متابعتهم الخير والفلاح، وفي ترك ذلك الخيبة والحسرة والندامة.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأكرِمْ مَن أتَاك».

الشرح: إن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق وجميل الخصال التي تحلّى بها الأنبياء وحث عليها المرسلون واتَّصَفَ بها الأجواد كرامُ النفوس.

وقد حثنا نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم على إكرام الضيف، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[2]، أي أنَّ هذا من كمال الإيمان.

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٢٢/٤٢٢)، حديث ١٤٥٥٨.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٨/٣٢)، حديث ٦١٣٥.

Dipindai dengan CamScanner

وعن أبي شُرَيْح خويلد بن عمرو قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**»، قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**»[1].

ويقر النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «**إن لِضَيفك عليك حقًا**»[2].

وعن أبي هريرة، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: إنّي مجهودٌ[3]، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والّذي بعثك بالحقّ، ما عندي إلّا ماءٌ، ثمّ أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتّى قلن كلّهنّ مثل ذلك: لا، والّذي بعثك بالحقّ ما عندي إلّا ماءٌ، فقال: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**»، فقام رجلٌ من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله[4]، فقال لامرأته: هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا إلّا قوت صبياني، قال: فعلّليهم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السّراج وأريه أنّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السّراج حتّى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضّيف، فلمّا أصبح غدا على النّبيّ صلّى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١١/٨)، حديث ٦٠١٩.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٠٨/٤)، حديث ٢٤١٣.

(٣) المجهود هو من أصابه الجهد والمشقة والحاجة والجوع.

(٤) منزله.

Dipindai dengan CamScanner

وسلّم، فقال: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»[1]، والمراد رضي، إذ الانفعال والشعور والإحساس والتعجب والتعب عرضٌ يقوم بالمخلوق وصفةٌ منشؤها تغيُّرٌ يحصل عند المُحدَث، وكل هذا لا يليق بالله. وقد مرّ الكلام على الرواية الأخرى وهي: «ضَحِكَ» وبيّنا أن المراد الرحمة.

فانظر إلى هذا الكرم كيف رفع منزلة أهل هذا البيت بل حتّى إنهم نزل بهم قرءان، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر].

وهنا نود أن نلفت إلى ءاداب عظيمةٍ في الزِّيَارَة، إذ ينبغي للمضيف عدم احتقار القليل بل يجود بما عنده ولو بشقِّ تمرةٍ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احتقار القليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»[2].

وعنه صلى الله عليه وسلم قال[3]: «وَكَانَ أَخْيَرَ[4] النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا العُكَّةَ[5] الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٦٢٤/٣)، حديث ٢٠٥٤.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٥٣/٣)، حديث ٢٥٦٦.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١٩/٥)، حديث ٣٧٠٨.

(٤) أي من خيرهم.

(٥) وعاء من جلد يوضع فيه السمن والعسل.

Dipindai dengan CamScanner

قال ابن حبان[1]: «ينبغي للعاقل ابتغاء الأضياف وبذل الكسر لأن نعمة الله إذا لم تصن بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت، ثم لا ينفع من زالت عنه التلهف عليها ولا الإفكار في الظفر بها، وإذا أدى حقّ الله فيها استجلب النماء والزيادة واستذخر الأجر في القيامة».

ولا تنسَ طلاقة الوجه فقد روي عن الأوزاعي أنه قال: «إكرام الضيف طلاقة الوجه وطيب الكلام».

فانظر أيها القارئ إلى فقه الإمام الأوزاعي الذي جعل من إكرام الضيف طلاقة الوجه وطيب الكلام، وقارن ذلك مع بعض الناس اليوم الذين يظنون الضيافة هي مجرد تكثير الطعام، حتّى إنك تجد بعضهم يمتنع عن القرى لعدم وجود اللحم في حال وجود الضيف، والقاصد لوجه الله يجود بالموجود ولا يتكلف التكلف الذي هو فوق الطاقة، وأما ما دون ذلك فلا بأس به بل هو محمود لقول الله في شأن خليله إبراهيم لما أتاه الأضياف: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ [سورة الذاريات]. وقال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [سورة هود].

وعن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ أو ليلةٍ فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**» فقاموا معه، فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا وسهلًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) روضة العقلاء، ابن حبان، (ص٢٦١).

Dipindai dengan CamScanner

«أَيْنَ فُلَانٌ؟»، قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا منّي. قال: فانطلق فجاءهم بعِذْقٍ فيه بسرٌ وتمرٌ ورطبٌ، فقال: كلوا من هذه وأخذ المُدْيَة[1] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ» فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العِذقِ وشربوا.

ومن تمام الضيافة أن تفرح بمقدم ضيفك، وتظهر له البشر، وأن تلاطفه بحسن الحديث وتشكره على مجيئه، وتقوم بخدمته.

قال ابن حبّان[2]: «ومن إكرام الضيف طيب الكلام وطلاقة الوجه والخدمة بالنفس فإنه لا يذل من خدم أضيافه».

وإذا قدم عليك أكثر من ضيف فأقبل على كلِّ واحدٍ منهم بوجهك ولا تخص أحدًا دون الآخر بحديثك أو شيء من ضيافتك، وحاول أن تلتمس رضا كل واحد منهم.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم النّاس لضيوفه وأجودهم وأسخاهم، ومِن بُحورِ سُنّتِه تَعلّمنا الرُقي. رزقنا الله حُسن الاقتداء به، ءامين.

تنبيه: ضيّع كثير من النّاس في هذه الأزمنة هذا الخُلق العَظيم فأحجموا وأعرضوا عن استقبال الضيف وإكرامه، ونسُوا ما في إكرامه وإدخال السرور إلى قلبه بإدخاله إلى بيوتهم والترحيب به وتقديم ما تيسر له مهما قلّ من الأجر والخير والبركة، بل إن من الناس من يهرب اليوم من الضيف، أو ربما قال

---

(١) أي السكين.

(٢) روضة العقلاء، ابن حبان، (ص٢٦١).

Dipindai dengan CamScanner

لأولاده وأهله: قولوا له والدنا ليس هنا أو فلان ليس في البيت، فمن شدّة الجفاء لا يستقبلونه ولا يكلمونه ولا حتى عند الباب، وهذا خلاف سيرة الأنبياء والسلف الصالح.

وينبغي لصاحب البيت أن يضع نفسه مكان هذا الضيف كيف كان يحب أن يُستقبل ويُكرم ويُضاف، فليعامِل أضيافه بذلك وأكثر، وبهذا الإحسان قد يُعتق الإنسان المسلم من النار، وقد تُغفر له الكبائر، وقد تتحقق له من الفوائد والمصالح وتوسعة الرزق ودفع البلايا والمصائب والأمراض والأحزان عنه ما لا يخطر له على بال.

فما أحوجنا اليوم إلى التمسك بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق، وكم تغيرت الأحوال والنفوس، وكم ابتعدنا عن سيرة السلف الصالح.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعفُ عمَّن أساءَ إليكَ».

الشرح: العفو هو التَّغاضي عن الإساءة وترك الانتقام. والصفح هو ترك التأنيب والعتاب. قال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك لومه. وقيل: إن العفو مأخوذٌ من عفت الريحُ الأثر إذا درسته.

وللعفو مكانةٌ عظيمة يصل إليها من جاهد نفسه وكظم غيظه وخالف هواه. قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقال: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة

Dipindai dengan CamScanner

البقرة]، وقال: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [سورة المائدة]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [سورة الحجر].

وأخرج الإمام أحمد[1] بن حنبل عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «**يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**».

وأخرج الترمذي[2] عن أبي الأحوص عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، الرجل أمرُّ به فلا يقريني ولا يضيفني فيمر بي أفأجزيه؟ قال: «**لَا، أَقْرِهِ**»، أي أكرمه وأحسن ضيافته ولا تقابله بمثل فعله.

وليعلَم أنَّ من أسمائه تعالى العفوّ الغفور، معناه الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ويتوب عمن أنابَ ورجع، وهو سبحانه غافر الذنب وقابل التوب. ومغفرة الذنب خاصَّةٌ بالله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [سورة النساء]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [سورة الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٣٥﴾ [سورة آل عمران].

وقد أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ الله تعالى عفوٌّ يحبُّ من عباده أن يعفو بعضهم عن بعضٍ وأن يتجاوز بعضهم عن بعض. فعن عائشة رضي

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٢٨/٦٥٤)، حديث ١٧٤٥٢.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٦٤)، حديث ٢٠٠٦.

Dipindai dengan CamScanner

الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أيّ ليلةٍ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»[1].

فانظر أخي القارئ إلى عظيم عفو الله تعالى، عبدٌ يُسرِفُ على نفسه ثم يتوب ويرجع فيغفر الله له جرمَه وخطيئتَه، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزمر].

وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ ءادَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ ءادَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي[2]، يَا ابْنَ ءادَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[3].

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٥/٥٣٤)، حديث ٣٥١٣.

(٢) معناه أنَّ الله تعالى يغفر لعبده المسلم مهما عظمت ذنوبه ومهما كثرت، ولو ملأت ما بين السماء والأرض، ولو كانت بعدد الرمال والأمطار وأوراق الشجر، ولو كانت بثقل الجبال، لا ينقص ذلك من فضل الله شيئًا، فهو تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وصفاته تعالى ليست كصفات خلقه، ولا يغير ذلك في صفاته شيئًا، فهو لا ينضر بمعصية خلقه ولا ينتفع بطاعتهم.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٥/٥٤٨)، حديث ٣٥٤٠.

Dipindai dengan CamScanner

فهو تبارك وتعالى الكريم الحليم، قال عزَّ من قائل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة النحل].

والعفو خُلُقٌ من خلق الأنبياء والمرسلين، فهذا يوسفُ عليه الصلاة والسلام فِعلُ إخوته ورد في القرءان، ولمَّا مكَّن الله ليوسف في الأرض وجاؤوا إليه يعتذرون، هل انتقم منهم أم قابلهم بالعفو والصفح والمعروف والإحسان؟ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ(١) عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف].

وكان نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم على ما أمره به ربه، دائم العفو، كثير البر، ليِّن الطبع، حتى امتدحه ربه في كتابه وأثنى عليه بذلك، وبيَّن أثر ذلك على قبول دعوته بين الناس، فقال تعالى له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة ءال عمران].

وكم من حليمٍ عُرِفت عنه زلةٌ وحفظت عنه هفوةٌ، إلَّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسرافِ الجاهل إلا حلمًا، وقد ابتلي صلى الله عليه وسلم بجفوة بعض الأعراب فلم توجد منه هفوة، ولم يحفظوا عليه رذيلة، وقد تناوله كفار قريش بكلِّ كبيرةٍ، وقصدوه بكل

---

(١) أي لا خوف عليكم اليوم فلا أعاملكم بالمثل، فلم يحبسهم ولم يضربهم ولم يقتلهم. إذ لو أرادَ ذلك لفعله لأنه كان في موقع السلطة، وكان أقوى منهم، ومع ذلك عفا عنهم مع المقدرة على الانتقام.

Dipindai dengan CamScanner

جريرة، وهو صبورٌ عليهم، معرِضٌ عنهم، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ[1] شَيءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

وقد عفا الرسول صلى الله عليه وسلم عمَّن أوغلوا في أذيته حتى بعد قدرته عليهم، فلمَّا جاءه جبريل مع ملك الجبال وقال له: يا محمد، إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني الله إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئتَ أن أطبِقَ عليهم الأخشبين[3]، فقال له العطوف الكريم صلى الله عليه وسلم: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[4]. وكذا فعلَ عليه الصلاة والسلام مع كفار مكة يوم فتحها حتى قال قولته الشهيرة: «اِذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ».

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال[5]: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى». قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

---

(١) مِن انتهاك حرمات الله أن يُشتَم الرسول أو يُهان أو يُقاتل، فهذا كفر. فلو انتقم الرسول من الكفار على ذلك يكون مصيبًا محقًّا، لأنه في المعنى ينتقم دفاعًا عن حرمات الله.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٨١٤/٤)، حديث ٢٣٢٨.

(٣) أي جبلي مكة.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (١١٥/٤)، حديث ٣٢٣١.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (٤٥/٨)، حديث ٦٢٠٧.

Dipindai dengan CamScanner

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [سورة ءال عمران]، وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة البقرة].

فصلَّى الله على هذا النبيِّ الذي بلغ الدرجة العالية في العفو والصفح كما هو شأنه في كلِّ خُلُقٍ من الأخلاق الكريمة، ولله درُّ البوصيري حيث قال:

فـاقَ النبيينَ في خَلْقٍ وفي خلُقٍ ولم يُـدَانُـوهُ في عِـلْـمٍ ولا كَـرَمِ

فالفضل بتفضيل الله لا السبق في الوجود، ومن فهم هذا عرف وضع حديث جابر الذي فيه: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، خلقه من نوره قبل الأشياء»[1].

فهو صلى الله عليه وسلم كان عفوه يشمل الأعداء فضلًا عن الأصحاب، وكان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس صفحًا وعفوًا، فعن أبي عبد الله الجدلي قال: قلت لعائشة: كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله؟

---

(١) قال الحافظ السيوطي: ليس له إسناد يعتمد عليه، وقال الحافظ أحمد بن الصديق الغماري: إنه موضوع، ولا يوجد حافظٌ معتبرٌ صححه، ومجرَّد أن ذُكِر في بعض التأليفات والكتب فليس تصحيحًا له، إذ العبرة في التصحيح والتضعيف بقول الحفاظ.

Dipindai dengan CamScanner

قالت: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»[1].

أخي القارئ، أختي القارئة، إنَّ العفو من سمات الصالحين ومن صفات المتقين الأطهار الصادقين الذين شرفت نفوسهم وطهرت قلوبهم وعلت عند الله مراتبهم، قال تعالى في وصفهم وبيان جزائهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [سورة عمران]. وقال سبحانه مبيِّنًا سبيلًا يؤدي إلى الكمالات: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ٢٣٧﴾ [سورة البقرة]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٨﴾ [سورة المائدة].

وهؤلاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين ربَّاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم وغرس خلق العفو والتَّسامح في نفوسهم وإن قوبلوا بالصد والإعراض والقطيعة فكانوا مثالًا يُحتذى به في العفو والصفح عمن أساء.

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبانًا»، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: «فاستأذن

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٣٦٩/٤)، حديث ٢٠١٦.

Dipindai dengan CamScanner

الحر لعيينة فأذن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، وإن هذا من الجاهلين، «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله»[1].

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يمرُّ بجماعةٍ تجمهروا على رجلٍ يضربونه ويشتمونه فقال لهم: ما الخبر؟ قالوا: وقع في ذنبٍ كبير. قال: أرأيتم لو وقع في بئرٍ أفلم تكونوا تستخرجونه منه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوه ولا تضربوه، لكن عظوه وبصِّروه، واحمدوا الله الذي عافاكم من الوقوع في مثل ذنبه، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنَّما أبغض فعله فإذا تركه فهو أخي. فأخذ الرجل ينتحب ويعلن توبته وأوبته. قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النور].

وهذا أبو ذرٍّ رضي الله عنه يقول لغلامه: لم أرسلتَ الشاة على علف الفرس؟ قال: أردت أن أغيظك، قال: لأجمعنَّ مع الغيظِ أجرًا، أنتَ حرٌّ لوجه الله.

وهكذا كان أئمة السلفِ رحمة الله عليهم أجمعين، متخلِّقين بهذا الخلق الكريم. فهذا الربيع بن خيثم رحمه الله شتمه رجلٌ فقال له: يا هذا، قد سمع الله

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٦٠/٦)، حديث ٤٦٤٢.

Dipindai dengan CamScanner

كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شرٌّ مما تقول.

ويروى عن الإمام البخاري رضي الله عنه أنه قيل له: إنَّ بعض الناس يقع فيك، فتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة النساء]، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة فاطر].

والعفو أقرب للتقوى والصفح أكرم في العقبى والتجاوز أحسن في الذكرى، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ[1] ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فصلت]، أي إذا أحسنتَ إلى من أساء إليكَ قادته تلك الحسنة إلى محبتك والحنو عليك حتى يصير كأنَّه وليٌّ لك قريب.

وهذا علي بن الحسين رضي الله عنهما كلَّمه رجلٌ فافترى عليه فقال: إن كنا كما قلتَ فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلتَ فغفر الله لك. فقام إليه الرجل فقبَّل رأسه وقال: جُعلتُ فداك ليس كما قلتُ أنا، فقال له: غفر الله لك.

---

(١) بمعنى العفو والصفح.

Dipindai dengan CamScanner

ولما سبَّ رجلٌ عبدَ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ما ردَّ عليه ولا أجابه، بل قال رضي الله عنه لمولاه عكرمة: هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا.

ومرَّ يهوديٌّ معه كلبٌ على إبراهيم بن أدهم رحمه الله، فجعل يستهزئ به ويسخر منه قائلًا: ألحيتك يا إبراهيم أطهر من ذَنَب هذا الكلب أم ذنب الكلب أطهر من لحيتك؟ فماذا كان ردُّ إبراهيم بن أدهم رحمه الله؟ هل خاصمه؟ هل سبَّه؟ هل ردَّ عليه بالمثل؟ ما كان منه إلا أن قال: إن كانت في الجنة فهي أطهر من ذنب كلبك. فما ملك اليهودي إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله. والله ما هذه إلا أخلاق الأنبياء والأولياء والصالحين.

وبالعفو والصفح تغفر الذنوب، فما أحوجنا إلى مغفرةٍ من الله تعالى الغفور الرحيم الذي قال: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة التغابن]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النور].

وبالعفو ينال الأجرُ والثوابُ إن أخلصتَ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الشورى].

وبالعفو عمن أساء ينالُ عفوُ الله تعالى، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة النساء].

Dipindai dengan CamScanner

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلًا قِبَل نجدٍ، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»، قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»، فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ». فانطلق إلى نجل[2] قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد[3]، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٢/٥٢)، حديث ٢٢٩١.

(٢) أي ماء.

(٣) هو كان ترك الكفر واعتقد الإسلام ونطق بالشهادتين قبل أن يذهب إلى الماء ليغتسل، ثم بعد ما اغتسل ورجع إلى المسجد نطق بالشهادتين إشهارًا لإسلامه، فليتنبه لذلك، فإن من يريد الدخول في الإسلام لا يؤخر نفسه ولا يؤخره غيره إلى أن يغتسل، بل ينطق بالشهادتين فورًا.

Dipindai dengan CamScanner

خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم[1].

فيا إخوتي وأخواتي في الله، تعافوا بينكم وتَجَاوزوا عمَّن أساء إليكم، واجعلوا العفو والصفح شعاركم وخُلُقًا لكم في بيوتكم وشوارعكم وأسواقكم، واخرجوا من ضيق المناقشة إلى فسحة المسامحة، ومن مشقة المعاشرة إلى سهولة المعاشرة، واطووا بساط التقاطع والوحشة، وصِلوا حبلَ الأخوة، ورمموا أسباب المودة، واقبلوا العذر والمعذرة فإنه من محاسن الشيم.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومَن تكلَّمَ منهم بالقبيحِ فيك فتكلَّم فيه بالحَسَنِ الجميلِ».

الشرح: هذا من الإمام عطفٌ على ما سبق، وبيانٌ وتفصيلٌ زيادة على ما مرَّ، وفي شرح هذه الوصية نذكر ما روي عن الحسن البصري من قوله: «مرحبًا بحسنةٍ لم أعملها ولم أتعب فيها[2]، ولم يدخل فيها عجب ولا رياء»، فلننطلق منها.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥/١٧٠)، حديث ٤٣٧٢.

(٢) فهو إذا أوذي وطُعنَ فيه بغير حقٍّ وبلغه هذا الطعنُ والإيذاء فصبر يكون حسنة له.

Dipindai dengan CamScanner

هذه هي الأخلاق الحميدة تعلَّمها المسلمون عبر تاريخهم المشرق من كتاب ربهم وسنة نبيِّهم صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [سورة المؤمنون].

كما أنَّ رسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بيَّن من هو المفلس يوم القيامة وما حاله حيث قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**»، قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ**[1]، **فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[2].

وعلى هدي السنة النبوية تربَّت أجيال المؤمنين عبر التاريخ، فقد ذكرت كتب السيرة والتاريخ قصةً حدثت مع الإمام الحسن البصري رحمه الله حيث قيل له: إنَّ فلانًا قد اغتابك، فبعث إليه وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ بعض حسناتك هدية[3].

---

(١) وهذا في المظلوم المسلم لأنَّ الكافر لا حسنةَ له يوم القيامة، ولا يعطى من الحسنات في الآخرة شيئًا.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٦١٣/٤)، حديث ٢٤١٨.

(٣) وهذا قيده إن لم يتب ولم يسامحه.

Dipindai dengan CamScanner

ثم للإحسان إلى الآخرين أثر عظيم، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة أن فضالة بن عمير مرَّ بالنبي صلّى الله عليه وءاله وسلم يوم الفتح وهو عازم على الفتك به، فقال له: «**مَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟**»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله تعالى، فضحك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وقال: «**أستغفر الله لك**»[1]. ثم وضع يده على صدره، قال: فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما أجد على ظهر الأرض أحبّ إليّ منه[2]. وأسلم فضالة بهذا الصفح الكريم وزالت من قلبه عداوة النبيِّ ـ وهو اعتقادٌ كفريٌّ ـ وحلَّت محلَّها محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من الإيمان.

تأمل أخي القارئ هذا الموقف النبوي الكريم، كيف قابل النبي صلى الله عليه وسلم رغبة القتل والعدوان من فضالة بالابتسامة الصادقة والمعاملة الكريمة والدعاء له بالهداية والمغفرة، فبدخوله بالإسلام يغفر له، فشرح الله صدره للإيمان، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان].

فالإسلام حثَّنا على كلِّ ما يؤدي إلى المحبة بين المسلمين من الخير ورغَّب فيه. ومن كمال الإيمان المحبة في الله، قال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) معناه أطلب من الله تعالى أن يغفر لكَ بإدخالك في الإسلام لأنَّ قتل النبيِّ كفرٌ، فمعناه بعد تشهدك الله يغفر لك.

(٢) **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، (٥/٢٨٥).

Dipindai dengan CamScanner

«لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ[1] حَتَّى تُؤْمِنُوا[2]، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[3].

وحرَّم العداوة بين المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة]، فبيَّن ربُّنا أن من أسباب تحريم الخمر والميسر تسببهما بالعداوة بين المسلمين.

وانظر أخي القارئ إلى تحريم بعض المعاملات والعقود، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلا يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الخَاطِبُ»[4].

وحثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وشجَّع وحضَّ على ترك المراء، فقال صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[5].

---

(١) أي مع الأولين.

(٢) أي الإيمان الكامل.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٧٤/١)، حديث ٩٣.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (١٩/٧)، حديث ٥١٤٢.

(٥) سنن أبي داود، أبو داود، (٢٥٣/٤)، حديث ٤٨٠٠.

Dipindai dengan CamScanner

أخي القارئ، ما هو موقعك مع من يخالفك بل من يعاديك ويتربص بك؟ هل هو المعاملة بالمثل أو بخلاف ذلك؟ بيان ذلك في قول ربنا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فصلت].

فيرشدنا ربُّنا تبارك وتعالى إلى الدفع بالتي هي أحسن وعدم الردِّ بالمثل، فمن يلقاك بعبوس تلقاه بطلاقة وجه وابتسامة، ومن يعرض عنك ويولِّيك ظهره تستقبله، ومن لا يسلم عليك ولا يجيبك تحيِّيه بالسلام وبغيره من التحايا، ومن يقطعك ولا يصلك تصله وتواسيه في النائبات، ومن يسمعك كلامًا جارحًا تسمعه كلامًا ليِّنًا، ومن يحاول استفزازك بالكلام تتغافل عنه وكأنك لم تسمع.

فالدفع بالحسنى إحدى صور الإحسانِ الذي من شأنه أن يقضي على العداوات بين الناس ويبدلها صداقة حميمة ومودة رحيمة فتخمد نار الفتن.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ، وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ، كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»[1].

فالكلمة الطيبة تفتح قلوبًا غلفى، وتزيل الغشاوة عنها، وتصفي النفوس، والتسامح والعفو والنصح تقوي المودة بين الناس.

(١) السنن الكبرى، البيهقي، (٧/٧١)، حديث ١٣٢٩٩.

Dipindai dengan CamScanner

وقرن الله تعالى دفع السيئة بالحسنة بالصبر والصلاة والإنفاق ووعد فاعلي ذلك بعقبى الدار فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الرعد]، فيدرؤون بالحسنة السيئة لمن أساء إليهم بقولٍ أو فعلٍ ولم يقابلوه بمثله بل قابلوه بالإحسانِ إليه، فيعطون من حرمهم ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما بالك بغير المسيء.

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة القصص].

وهنا تنبيه مهم: لا يعني دفع السيئة بالحسنة استمالة الناس نفاقًا، فقد قال ابن مفلح الحنبلي: قيل لابن عقيل في فنونه: أسمع وصية الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فصلت]، وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق؟ فقال ابن عقيل: النفاق هو إظهار الجميل وإبطان القبيح وإضمار الشر مع إظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن.

وفي ختام شرح هذه الوصية نذكر قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

Dipindai dengan CamScanner

سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل].

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن ماتَ قضيتَ له حقَّهُ».

الشرح: ليعلم أنَّ السعي في قضاء حوائج الناس من الأخلاق الإسلامية العالية الرفيعة التي ندب إليها الإسلامُ وحثَّ المسلمين عليها، وجعلها من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمرنا الله تعالى به، فقال في محكم تنزيله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة].

وإن قضاء الحوائج واصطناع المعروف بابٌ واسعٌ، فليعن الواحد أخاه على البرِّ، وهو اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبِّه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين. فهذا يشمل النفع بالعلم والنفع بالرأي السديد والنفع بالنصيحة والنفع بالمشورة وبقضاء الدين.

ومن نعم الله تعالى على العبد أن يجعله مفتاحًا للخير والإحسان، فعن سهل بن سعد عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «عِنْدَ اللهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ»[1].

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (١٥٠/٦)، حديث ٥٨١٢.

Dipindai dengan CamScanner

وكذا من نعم الله تعالى على العبد أن يسخِّره لقضاء حوائج الناس، قال أبو العتاهية:

اقْضِ الحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ لِهَمِّ أَخِيكَ فَارِجْ

وروي عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما قال: «مِن نعمِ الله عليك حاجة الناس إليك».

ونقتصر على هذا الكلامِ في هذا المقام، إذ خصوصُ هذا يندرجُ تحت عموم فضل إغاثة وإعانة ومساعدة المسلمين، وقد أفضنا الكلام على ذلك.

وعلى قاعدة «الشيء بالشيء يُذكَر» نحب أن ننبِّه لأمرين:

أما الأول: فهو أنَّ الإمام أبا حنيفة لم يُرد بقضاء الحق عن الميت الصلاة، ولا يُفهم هذا من كلامه، وهاكم أيها الأحبة بيان هذه المسألة بإيضاح مع أدلتها وبراهينها:

لقد فرض الله تعالى على كلِّ مسلمٍ مكلَّفٍ خمس صلواتٍ في اليوم والليلة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي حافظوا عليها، والأخبار النبوية في ذلك كثيرة. فمن ترك الصلوات الخمس كلها أو بعضها استحق العذاب يوم القيامة، ومن مات وعليه صلاةٌ كأن تركها في الدنيا تهاونًا وكسلًا لا تبرأ ذمته ولا تسقط عنه ولا تُصلى عنه ولا يُدفع عن تلك الصلوات مال، ويدل على ذلك حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ نَسِيَ صَلَاةً**

Dipindai dengan CamScanner

فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»[1]. قال ابن حبان في صحيحه[2] بعد أن روى هذا الحديث ما نصه: «دليل على أن الصلاة لو أداها عنه غيره لم تجز عنه، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: «لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»، يريد إلا أن يصليها إذا ذكرها». وفيه دليلٌ على أنَّ الميت إذا مات ولم يقدر على أداء الصلوات المفروضات في علته أو تركها في حياته عمدًا لم يجز أن يعطى الفقراء عن تلك الصلوات الحنطة ولا غيرها من سائر الأطعمة والأموال على هيئة ما يُسمى كفارة صلاة أو إسقاط صلاة.

قال الشيخ زكريا الأنصاري في «أسنى المطالب»[3] ممزوجًا بالمتن ما نصه: «**ولو مات وعليه صلاة أو اعتكاف لم يقض ولم يفد عنه** لعدم ورودهما بل نقل القاضي عياض الإجماع على أنه لا يصلى عنه».

وقال الشيخ منصور البهوتي في «كشاف القناع»[4] ممزوجًا بالشرح ما نصه: «**وأما صلاة الفرض فلا تفعل عنه** ذكر القاضي عياض إجماعًا أنه لا يصلى عنه فائتة».

وأمَّا ما في مسلمٍ[5]: «إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ» مما قد يوهمُ أنَّ في النصِّ حثًّا للمرء على الصلاةِ عن أبويه وهو خلاف الإجماع،

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١/١٢٢)، حديث ٥٩٧.

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٦/٣٧٤).

(٣) أسنى المطالب، زكريا الأنصاري، (١/٤٢٨).

(٤) كشاف القناع، البهوتي، (٢/٣٣٦).

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (١/١٦).

Dipindai dengan CamScanner

فليس محمولًا على ظاهره، وليس المراد الصلاة بالمعنى الشرعي، بل المعنى الصلاة بمعنى الدعاء، أي أن من البرِّ الدعاء لأبويك في صلاتك.

وما روي عن ابن عمر وفي بعض الروايات عن ابن عباسٍ مما قد يحتجُّ الخصمُ على القول بأنه رضي الله عنه أمر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تصلي عنها، فالجواب عن هذا أنه صحَّ خلاف ذلك عنه رضي الله عنه حيث روى النسائي عن ابن عباسٍ في سننه[1]: «لَا يُصَلِّي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ»، أي لا يصلِّي عن أحدٍ حيًّا كان أو ميتًا.

وقد قال شارح البخاري بدر الدين محمود بن أحمد العيني في كتابه «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»[2] في شرحه لهذا الأثر: «وعند الحنفية: لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم عنه، ونقل ابن بطال إجماع الفقهاء على أنه: لا يصلي أحد عن أحد فرضا ولا سنة لا عن حي ولا عن ميت».

فالخلاصة:

إنَّ الصلاةَ لا تصحُّ عن أَحَـدْ ... مـا عـالِمٌ خَـالَفَ هـذا أو جَحَـدْ

هذا الحديثُ اجعله من عاداتِكَ ... صـــلِّ لوالـديـكَ مع صـــلاتِـكَ

معنَى الصـــلاة هَهُنَـا الـدعـاءُ ... في الـقـبرِ كـم ســـرَّهما إهـدَاءُ

---

(١) سنن النسائي، النسائي، (٣/٢٥٧)، حديث ٢٩٣٠.

(٢) عمدة القاري، العيني، (٢٣/٢١٠).

Dipindai dengan CamScanner

وأما الثاني: فهو أمرُ قضاء الصلاة المتروكة عمدًا: فإنَّ مما ابتليت به هذه الأمة أناسًا ادّعوا أنَّ الصلاة المتروكة عمدًا لا يجب قضاؤها، وممن قال بهذا ابن تيمية فزاد ضلالًا على ضلالاته.

فنقول وبالله التوفيق: قضاء الصلاة الفائتة واجبٌ باتفاق الأئمة الأربعة، بل حكى ابن قدامة الحنبلي في «المغني» وغيره الإجماع على ذلك.

وأما حديث[1]: «**مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**» الذي استدلَّ المخاصم ـ كوهابية زماننا الذين شذوا عن الإجماع ـ بظاهره قائلين أنَّ نصَّ الحديث في النائم والناسي لا في المتعمِّد، ليس حجةً لهم، فوالله كأنَّ الخصم لم يفقه كلام العرب وما درى حقيقة معاني كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنه ما شمَّ من علم الأصول شيئًا، فقد قال العلماء: «إذا كان النائم والناسي المرفوع عنهما القلم مأمورين بالقضاء بالإجماع، فكيف بالذي تركها متهوِّرًا أو متكاسلًا»، فكأن المخاصم ما سمع بالقياس وأنواعه، ومن أراد مزيد فائدةٍ فليطالع كتب أصول الفقه ففيها شفاء من العي[2].

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، (١٨٢/٦)، حديث ٦١٢٩.

(٢) أي الجهل.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن كانَتْ له فَرْحَةٌ هنَّيتَهُ بها».

الشرح: يصرِّح الإمام بوصيَّةٍ توطِّد علاقة العالم بغيره، ما إن التزم بها إلا شدَّت عرى المحبة وأواصر الألفة بين المسلمين، وهي من جملة مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، إنها الفرح لفرح المسلمين.

فهذه خصلة يغفل عنها كثيرٌ من الناسِ، إنها صفةٌ يفتقدها الكثيرُ من أهل المجتمع، وهي من الطرق الموصلةِ إلى السعادةِ. إنها طهارة القلب من الخبث والرجس والفسادِ والضغينة والحقد والحسد والبغضاء والشماتة والاستهزاء حتى يعود القلب طاهرًا نقيًّا عفيفًا تقيًّا.

ورد في الحديث[1] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فطلع رجلٌ من الأنصار تَنْطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان من الغد، قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع الرجل على مثل حالته الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا، فطلع الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت؟ قال: «نعم»، قال أنس: وكان عبد الله يعني ابن عمرو

---

[1] شعب الإيمان، البيهقي، (٧/٩)، حديث ٦١٨١.

Dipindai dengan CamScanner

يحدث أنه: بات معه ثلاث ليال، قال: فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ من الليل، وتقلَّب على فراشه ذكر الله، وكبره حتى يقوم لصلاة الفجر، غير أنه إذا تعارَّ من الليل لا يقول إلا خيرًا. قال: فلما مضت الثلاث ليال وكدت أحتقر[1] عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**»، فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشا، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: فهذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

ولا يخفى أنه تمرُّ بحياةِ الإنسانِ مناسباتٌ وأعياد شرعيَّة شرع فيها تهنئة المسلمين بعضهم بعضًا، وهناك مناسبات مبتدعة اعتاد بعض الناس على التهنئة بها. والتهنئة والتبريك من ءاداب الإسلامِ وخصاله الجميلة، وقد وردت الأحاديث والآثار في التهنئة والتبريكات في أحوال ومناسبات سيأتي ذكرها إن شاء الله.

فالتهنئة فيما رخص الشرعُ جائزة وفيها مشاركة بالتبريك والدعاء من المسلم لأخيه المسلم فيما يسره ويفرحه مما يدعو إلى التوادّ والتراحم والتعاطف بين المسلمين.

---

(١) أي لم أر كثير عمل من قيام الليل وصيام النهار وغير ذلك من العبادات، فأحتقر هنا ليسَ من الاستخفاف والاستهزاء، بل من القلة التي تكاد لا تذكر.

Dipindai dengan CamScanner

وقد جاء في القرءانِ الكريم تهنئة المؤمنين على ما ينالون من نعيم الجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الطور].

والأصل في التهنئة تجدد نعمة أو رفع بلاء مما يدخل السرور على النفوس، فهي مما يفرح المهنَّأ ويدل على سجيَّة المهنِّئ. وانظر إلى ما جرى في حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه قال: وءاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبةِ الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر فذهب الناسُ يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إليَّ رجل فرسًا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوتُ أسرع من الفرسِ، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يبرق وجهه من السرور: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»[1]. وهذا ردٌّ على بعضِ مشايخ الوهابية مبتدعة هذا

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٣/٦)، حديث ٤٤١٨.

Dipindai dengan CamScanner

العصرِ الذين حرموا التهنئة بيوم الجمعة وبطلب الدعاء فيه والإكثار من الصلاة على النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

فهذا الحديثُ أصل في التهنئة لما يطرأ على المسلمِ من نعمةٍ أو يرفع عنه من بلاء.

وللحافظ السيوطي رسالة لطيفة سماها «وصول الأماني بأصول التهاني» جمع فيها ما جاء في التهاني المشروعة.

وتكلم العلماء عن حكم ما يتجدد من التهاني بين المشروع والممنوع.

فمن المناسبات هذه تهنئة المسلم:

١ ـ عند عرسه، فعن أنس رضي الله عنه أنَّ عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة من ذهب، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[1]. وفي الحديث: «**بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير**».

٢ ـ عندما يرزق بمولود. قال النووي: يستحبُّ تهنئة المولود له. قال أصحابنا: ويستحبُّ أن يهنَّأ بما جاء عن الحسين رضي الله عنه أنه علَّم إنسانًا التهنئة فقال: قل بارك الله لك في الموهوب لك، وشكرتَ الواهبَ، وبلغ أشده، ورزقت برَّه.

ويستحبُّ أن يرد على المهنئ فيقول: بارك الله لك وبارك عليك وجزاك الله خيرًا ورزقك الله مثله أو أجزل الله ثوابك.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٢١/٧)، حديث ٥١٥٥.

Dipindai dengan CamScanner

وهنا ننبه المسلمينَ لمسألة وهي أنَّنا لا نتولى الكفار ولا نرضى بما هم عليه من الانحرافات فلا نشاركهم في أعيادهم ولا نهنئهم بها، وكذا لا نستورد عاداتهم إلى مجتمعاتنا.

ولتحرص أخي أن تتجنب أنت وأهلك وأولادك عادات الكفار، واحمِ نفسك وأهلك منها، والله مطلع علينا في جميع أحوالنا وباب الشر كبير.

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[1]. فمن تشبَّه بالكفارِ بما هو كفرٌ من أقوالهم وأفعالهم فهو كافرٌ، ومن تشبه بهم بما هو دون الكفر فهو عاصٍ ءاثم.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن كانت له مصيبةٌ عزَّيتَهُ عنْهَا».

الشرح: ليعلم أنَّ مواساة المصابين والتخفيف عن المنكوبينَ من صنائع المعروف التي يحبها الله تعالى، فإنَّ الإنسانَ إذا سمعَ عن أخيه أنه أُصيبَ

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٤٤)، حديث ٤٠٣١.

Dipindai dengan CamScanner

بمصيبةٍ في نفسه أو أهله أو ولده فليتقرَّب منه وليذكِّره بحسن الثوابِ وحسن العاقبة عند الله والمآب، لعلَّ ذلك يكون سببًا في صبره وسلوانه وعظم أجره عند ربه، فتثبيتُ القلوبِ عند الكربات والمصائب من صنائع المعروف.

فالمسلم يحتاجُ من أخيه إذا نزلت به ضائقةٌ أن يواسيه ويسليه، ويحتاج من أخيه إذا نزلَ به همٌّ وغمٌّ أن يثبته فإنَّ بعض القلوب إذا نزلت بها المصائب تزلزت إلا أن يثبتها الله عزَّ وجلَّ، فإذا جاء العبدُ وذكَّر أخاه بما عند الله تعالى من الأجر والثوابِ كان ذلك من عظيم المعروفِ.

ولقد كان نبيُّنا الكريم صلى الله عليه وسلم قدوةً في ذلك، ولا عجب فهو الذي وصفه ربه تعالى فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة]، وقال في حقه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأنفال].

لذا فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يمدّ يد الرأفة والعطف ليمسحَ عن المحزون دمعته ويخفف بها لوعة الشاكي، فعلمنا صلى الله عليه وسلم الصبر على الشدائد وحبَّب إلينا ثواب الصابرين تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ

Dipindai dengan CamScanner

ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة البقرة].

بل علَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مواسيًا بأن الابتلاءات والأمراضَ كفارات للمسلم وسبب لتخفيف العذاب عن العبد المسلم يوم القيامة، فعن أنس بن مالكٍ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

وعن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ، أَوْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ**»(٢).

وكما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يواسي من أصيب بفقدِ عزيز عليه فإنه أيضًا كان يواسي من أصيب بالمرض فيدعو له ويخفف عنه، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عاد مريضًا يقول: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»(٣).

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٠١/٤)، حديث ٢٣٩٦.

(٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٥١٤/١)، حديث ١٦١٠.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١٧٢٢/٤)، حديث ٢١٩١.

Dipindai dengan CamScanner

فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قال: فبات الناس يدوكون[2] ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدَوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ». فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[3].

فترى النبيَّ صلى الله عليه وسلم واسى عليًّا بطرقٍ شتَّى منها السؤال عنه والدعاء له وتبريكه ببصاقه الشريف.

وعن عثمان بن حُنيف أن رجلًا ضريرًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «إِنَّ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ، وَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ شِئْتَ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١١٦/٧)، حديث ٥٦٥٢.

(٢) أي يخوضون ويتحدثون في ذلك.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١٨/٥)، حديث ٣٧٠١.

Dipindai dengan CamScanner

دَعَوْتُ»، قال أبو موسى قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ»[1]. وفي هذا الحديث فوائد:

١ ـ مواساته صلى الله عليه وسلم للضرير.

٢ ـ تعليمه أن يتوسل به صلى الله عليه وسلم، وأن يناديه في غير حضرته بدليل رواية «اِيتِ المِيضَأَةَ»، فإنَّ فيها: «فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر». ولو كان الضرير في المجلس لم يقل راوي الحديث: «دخل علينا» وهو سليقيٌّ يعرف معاني الألفاظ.

٣ ـ من المعلوم أنَّ الطبرانيَّ لم ينص على تصحيح حديثٍ في معجمه[2] غير هذا الحديث، فالحديث صحيحٌ. ومما يقوِّي ذلك إيراد ابن خزيمة له في صحيحه، وقد نصَّ رحمه الله على أنَّه لا يروي في هذا الكتاب إلَّا الصحيح. فلا كلام بعد ذلك للوهابية الذين يطعنون في هذا الحديث، فهو حديث صحيحٌ، وهو دليلٌ على هدم عقيدة الوهابية.

٤ ـ حدوث هذه القصة مع رجلٍ في زمن عثمانَ بن عفان رضي الله عنه، وقد علَّم راوي الحديث ـ وهو عثمان بن حُنيف ـ الرجلَ هذا الدعاء، ولا شكَّ أنَّ هذا كان في غير حياة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة، (٢/٢٢٥)، حديث ١٢١٩.

(٢) المعجم الصغير، الطبراني، (١/٣٠٦)، حديث ٥٠٨.

Dipindai dengan CamScanner

ولا ننسى مواساة النبي صلى الله عليه وسلم للمهموم الحزين، فعن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول صلى عليه وسلم ذات يوم المسجد، فإذا هو برجلٍ من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: «يَا أبا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟»، قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ [الله] عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟»، قال: قلت: بلى، يا رسول الله، قال: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني ديني[1].

وعن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»، فخرجتُ مستبشرًا بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف[2]، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٢/٩٣)، حديث ١٥٥٥.

(٢) أي مغلق.

Dipindai dengan CamScanner

خمارها[1]، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة[2].

وكان صلى الله عليه وسلم أيضًا يواسي من ابتلي بالظلمِ والتعذيب والأذى كما فعلَ مع خبابٍ وءال ياسر وغيرهما، فعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بُردَة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ**

---

(١) لا يجوز أن يؤخر الإنسان الذي يريد الدخول في الإسلم نفسه ولا غيره عن الشهادتين بغسلٍ أو غيره، بل يبادر فورًا إلى ترك الكفر واعتقاد الإسلام والنطق بالشهادتين. وهي لعلها كانت نطقت بالشهادتين قبل أن تغتسلَ ثمَّ اغتسلت وأسمعته الشهادتين إعلامًا له وإعلانًا لإسلامها.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٣٨/٤)، حديث ٢٤٩١.

Dipindai dengan CamScanner

مِنْ صَنْعَاءَ[1] إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[2].

وعن ابن إسحاقَ قال: حدثني رجال من ءال عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة على الإسلام، وهي تأبى حتى قتلوها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بعمار وأمه وأبيه، وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: «صَبْرًا يَا ءالَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»[3].

فهذه الأمثلة التي ذكرت عن مواساة المصابين عند خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام هي غيض من فيض، وقطرة من غيث وما علينا إلا أن نقتدي بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم في هذا الخلق والأدب الرفيع. جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن أصابَهُ همٌّ فتوجَّعْ له بهِ».

الشرح: قد مرَّ قريبًا شرحٌ عامٌّ مطوَّلٌ لمسألة مواساةِ المسلمِ، فاندرجت هذه الوصيةُ تحت ما سبقَ، لذا نحن نستغلُّ هذا المقام لتوجيه نداء ونصيحة تحملها كلمات الإمام فنقول: أيها المسلمون، ما أجمل أن يواسي المسلم أخاه في

---

(١) يحتمل أن يريد صنعاء اليمن، وبينها وبين حضرموت ـ من اليمن أيضًا ـ مسافة بعيدة نحو خمسة أيام. ويحتمل أن يريد صنعاء الشام، والمسافة بينهما أبعد بكثير. والأوّل أقرب. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٦١٩/٦).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٢٠١/٤)، حديث ٣٦١٢.

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، (١٧٢/٣)، حديث ١٥١٥.

Dipindai dengan CamScanner

بلواه ويتوجع لعثرته وشكواه. ومن شيمِ الكرام وأهل الإسلام الكُمَّل أنهم إذا سمعوا صارخة قومٍ أو صوت استغاثةٍ أنجدوا وأسعدوا.

وقد حلَّ بأهل الإسلامِ من البلاء الشديد والجوع العظيمِ الذي بلغت منهم مبلغًا أليمًا، ونزلت بهم كربات جسيمة، وأحاطَ بهم شدتها، ولازمتهم محنتها.

فيا أهل الشفقة والإحسان والنجدة تصدَّقوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ [سورة يوسف]، وواسوا إخوانكم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ**[1]، **وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2].

أيها المسلم، أخاك أخاك اكشف عنه كربًا، واقض عنه دينًا، واطرد عنه جوعًا، خفِّف عنه ألمًا وقدِّم له نفعًا، اصنع المعروف وأدرك الملهوف، وأسعف المكلوم وواسِ المظلوم، وأغث وارحم المكروب، وأعطِ المنكوب، فحال كثيرٍ من المسلمين اليومَ ما بينَ فقيرٍ يستصرخ وطريدٍ يستغيث وشريد يستنجد.

وإن أردت الاطلاع على مزيد من عظيم ثواب الصدقة ومواساة الفقراء وسر وبركة الصدقة، فراجع كتابنا «الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحة».

---

(١) أي في قضاء حاجته. إرشاد الساري، القسطلاني، (١٠/١٠٢). فالله تعالى لا يحتاج إلى شيء من خلقه، قال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [سورة العنكبوت].

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٣/١٢٨)، حديث ٢٤٤٢.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومَنِ استنْهضَكَ لأمرٍ من أمورِهِ نهضْتَ لهُ».

الشرح: يتابع الإمامُ حثَّه على النظر في أمر الإخوان وحضِّه على مساعدة المسلمين، وتشجيعه على القيامِ بأمور المؤمنين، والسعي لقضاء حوائج الأصدقاء والأصحاب.

ولا يخفى لمن تأمَّل وصايا الإمام أنه قد أفاضَ واستفاضَ في الكلام على ذلك لما فيه من الأهمية، فهذا مما يندرج تحت علاقة العالم بغيره.

وهنا يبيِّنُ الإمام أنَّ من طلبَ منك القيامَ بأمر قمتَ له وساعدته، وليكن السلف الصالح قدوةً لك في هذا. ونحن في هذا المقام نسرد نزرًا قليلًا من عجائبِ صنائع السلف:

فقد كان بعض السلفِ إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النارِ فطاف بها على عجائز الحي فقال: أتريدون نارًا؟ فإذا أصبحَ طاف على عجائز الحي فقال: ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئًا[1]؟

وقال النضر بن شميل: ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة[2].

وقال الزبير بن بكار: كان للعباس ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم، ومنظرة لجاهلهم. ويبذل المال، ويعطي في النوائب[3].

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (٥٦/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢١١/٧).

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨٠/٢).

Dipindai dengan CamScanner

وكان حسان بن أبي سنان يقول: لولا المساكين ما اتجرت[1].

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما الذي لُقِّبَ بالسَّجَّاد لكثرة سجوده وصلاته وعبادته، وبزين العابدين، ينفق على مائة بيتٍ من بيوت الفقراء في المدينة المنورة، ويحمل لهم الطعام وما يحتاجونه على ظهره مقنَّعًا في الليل لئلَّا يُعرَف. ولمَّا ماتَ ووضع على المغتسل ظهرت خطوطٌ في ظهره من كثرة ما يحمل من الأمتعة والأطعمة التي يوصلها إلى بيوت الفقراء بنفسه من غير أن يستعينَ بأقربائه أو بالأَرِقَّاء والعبيد. ولمَّا ماتَ انقطعت هذه المساعدة عن أهل تلك البيوتِ فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بها. وقال شعبة بن النعمان: كان علي ابن الحسين يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة[2].

وكان عبد الله بن فرج الواسطي قد شغل نفسه بالسعي في مصالح المسلمين والمشي في قضاء حوائجهم، وكان أكثر همّه تجهيز الموتى على الطرق.

ويروى عن ابن شبرمة أنه قضى حاجةً كبيرة لبعض إخوانه، فجاء يكافئه بهدية، فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديته إليَّ، قال: خذ مالك، عافاك الله، إذا سألتَ أخاك حاجةً فلم يجهد نفسه في قضائها فعُدَّه من الموتى.

ويروى عن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم قال: أتيتُ باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال: إذا كانت لك حاجة إليَّ فأرسل إليَّ رسولًا أو اكتب لي كتابًا، فإنّي لأستحي من الله أن يراك ببابي.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/٢٠١).

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، (٣/١٣٦).

Dipindai dengan CamScanner

وذكر ابن أبي الدنيا أن أبا قحافة قال لابنه أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه: يا بني، أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذا فعلت ما فعلتَ أعتقت رجالًا جلداء يمنعونكَ ويقومون دونك، قال: يا أبتِ إنما أريد ما أريد، قيل: فنزلت فيه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [سورة الليل].

وروى ابن أبي الدنيا أنه كان لعبد الله بن جعفر على رجل من أهل المدينة خمسون ألفًا، فاستعان عليه بعُبَيد الله بن عباس في ذلك، فقال: قد حططتُ عنه شطرها وأخرته بالشطر الآخر إلى ميسرة، قال: فجزاه عبيد الله خيرًا، وانصرف فأتبعه ابن جعفرٍ رسولًا أني قد طيبت له النصفَ الآخر، أي حططته عنه.

قال عبدان بن عثمان الأزدي: ما سألني أحدٌ حاجةً إلا قمتُ له بنفسي، فإن تمَّ وإلا قمت له بمالي، فإن تمَّ وإلا استعنتُ له بالإخوانِ، فإن تمَّ وإلا استعنتُ له بالسلطان.

فلنذق من كأسهم، ولنشرب من منهلهم، ولنرتوِ من معين أخلاقهم الكريمة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[1].

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٦٢/٤)، حديث ٢٥٣٣.

Dipindai dengan CamScanner

وقد قال حكيمٌ[1] من الحكماء: «اعلموا أن العاقل يعترفُ بذنبه ويخشى ذنب غيره، ويجود بما لديه، ويزهد فيما عند غيره. والكريم يعطي قبل السؤال، فكيف يبخل بعد السؤال، ويعذر قبر الاعتذار، فكيف يحقد بعد الاعتذار».

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: «ما رأيت امرأتين قطُّ أجودُ من عائشة وأسماء رضي الله عنهما، وجودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمته، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد».

وقد ورد أنَّ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه باع أرضًا له بسبعمائة ألف درهم، فبات ليلةً عنده ذلك المال، فبات أرقًا مخافة ذلك المال ثم أصبح يفرِّقه.

وأرسل معاوية إلى عائشة رضي الله عنها مرة بمائة ألفٍ، فما أمست من ذلك اليومِ حتى فرَّقتها ثم قالت: يا جارية، هاتي فِطري فجيء بخبزٍ وزيت.

ويروى أنَّ الإمام الشافعي رضي الله عنه لما قدم مكة من صنعاء كان معه عشرة ءالاف دينارٍ، فقالوا: يشتري بها ضيعة. فضرب خيمته خارج مكة، وصبَّ الدنانير، فكان كلُّ من دخلَ عليه يعطيه قبضةً، فلمَّا جاء وقت الظهر قام ونفض الثوبَ، ولم يبق معه شيءٌ.

وجاء رجلٌ لمعن بن زائدة فاستحمله بعيرًا، فقال: يا غلام، أعطه بعيرًا وبغلًا وبرذونًا وعبدًا وجاريةً، ولو عرفت مركوبًا غير هذا لأعطيتك.

---

(١) الحكيم من أوتي الحكمة.

Dipindai dengan CamScanner

وكان يقال: حدِّث عن البحر ولا حرج، وحدِّث عن معنٍ ولا حرج.

وكان عبيد الله بن أبي بكرة من الأجواد، فاشترى يومًا جاريةً نفيسةً بمالٍ عظيمٍ، فطلب دابَّةً تحمل عليها، فجاء رجلٌ على دابة فنزلَ عنها، فحملها فقال له عبيد الله: اذهب بها إلى منزلك.

وخرج عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى حيطان[1] المدينة، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى أسود على بعض الحيطان وهو يأكل وبين يديه كلب وعبد الله بن جعفر واقف على دابته ينظر إليه فلما فرغ دنا منه فقال له: يا غلام لمن أنت؟ فقال: لورثة عثمان بن عفان، فقال: لقد رأيت منك عجبًا، فقال له: وما الذي رأيت من العجب يا مولاي؟ قال: رأيتك تأكل فكلما أكلت لقمة رميت للكلب مثلها، فقال له: يا مولاي هو رفيقي منذ سنين، والله إني لأستحي من الله أن ءاكل وعين تنظر إلي لا تأكل. ثم مضى عنه حتى أتى ورثة عثمان بن عفان فنزل عندهم فقال: جئت في حاجة، فقالوا: وما حاجتك؟ قال: تبيعوني الحائط الفلاني، فقالوا له: قد وهبناه لك، فقال: لست ءاخذه إلا بضعف، فباعوه، فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود؟ فقالوا له: إن الأسود ربيناه وهو كأحدنا، فلم يزل بهم حتى باعوه وانصرف عنهم. فلما أصبح غدا على الغلام وهو في الحائط فخرج إليه، فقال له: أشعرت أني قد اشتريتك واشتريت الحائط من مواليك، فقال له: بارك الله لك فيما اشتريت ولقد غمني مفارقتي لمواليَّ، إنهم ربوني، فقال له: أنت حر والحائط لك، فقال: إن كنت صادقًا يا مولاي فاشهد أني قد

---

(١) أي إلى بساتين.

Dipindai dengan CamScanner

أوقفته على ورثة عثمان بن عفان، قال: فتعجب عبد الله بن جعفر منه وقال: ما رأيت كاليوم، فقال: بارك الله فيه، ودعا له ومضى[1].

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن استغاثَكَ فأغِثْهُ».

الشرح: خطابٌ لمسلمي الأمة، يا أيها المسلمون، إنَّ الله تبارك وتعالى أمر الناسَ بفعل الخير ونفع الناس والسعي لمساعدة الآخرين، وإيصالُ الخير للناس من أفضلِ الأعمال وأحبِّها إلى الله عزَّ وجلّ.

فالإنسان قد يحتاجُ في هذه الحياةِ لمدِّ يد العونِ له لاسيَّما برفعِ المشقة ودفعِ الحرج وتفريج الكربة عنه فيما يواجه من نكباتٍ أو ضيق أو حرج أو كربة أو وقوع كارثةٍ أو تقلبِ حال، وهذا من شيم الكمَّلِ من الرجال.

وهذا سيِّد الرجالِ اشتهر بهذه الخصلةِ حتى قالت أمُّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، واللَّه ما يخزيك اللَّهُ أَبَدًا».

إن إيصال الخير للغير وإعانة المحتاج من نعم الله العظيمة التي أنعم بها على عباده العقلاء.

ونحن اليومَ نشهد في مجتمعاتنا كوارث وحروبًا ونكبات تحولت بسببها مجتمعات من ءامنة إلى خائفة، ومن غنية إلى فقيرة، ومن مستقرة إلى مضطربة، فهل من معين؟

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٢٧/٢٧٨).

Dipindai dengan CamScanner

أخي القارئ، لقد أثنى الله عزَّ وجلَّ على الساعين لفعل الخيراتِ ومدّ يد العون للناس لاسيما في الضائقات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنبياء]، وأمر سبحانه بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الحج].

بل أمر الله بالمسارعة والمسابقة في الصالحات فقال عزَّ من قائل: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة].

ويقول الله مبيِّنًا صفات الكمَّل من المؤمنين أن من صفاتهم إطعام الطعام حتى للكافر، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإنسان]، والأسير هنا هو الكافر.

هذا دأب الصالحين المصلحين وأصحاب القلوب الرحيمة من المسلمين، تجدهم دائمًا يسعونَ لنفع الناسِ وبذل الخير ما استطاعوا لذلك سبيلًا، يقول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء].

ولقد حثَّ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم على فعل الخير وإغاثة الملهوف وإعانة المكروب وقضاء الحوائج والسعي في تخفيفِ المعاناة في أحاديث كثيرةٍ،

Dipindai dengan CamScanner

منها ما رواه مسلمٌ[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ»، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ».

وفي الحديث الشريف[2]: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»، أي له أجر عظيم وكبير عند الله تعالى، فشبَّه الرسول أجره بأجر المجاهد في سبيل الله والقائم الصائم.

أيها المسلمون، إنَّ سورة الكهف التي نحثُّكم على قراءتها كلَّ جمعةٍ منها من العظات والعبر ما يرشدنا إلى رفع المعاناة عن المستضعفين، فهذا الخضر عليه السلام أقامَ جدارًا كاد أن ينقضَّ وكان تحته كنزٌ لأيتام، وهذا ذو القرنين بنى سدًّا منيعًا على يأجوج ومأجوج فأراح المسلمين من شرِّ هؤلاء الكفرة، وهذا أيضًا الخضر عليه السلام يزيل قطعة خشب من السفينة إنقاذًا لهم من ملك ظالم، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام يأتي إلى مدين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القصص].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٦٩٩)، حديث ١٠٠٨.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٧/٦٢)، حديث ٥٣٥٣.

Dipindai dengan CamScanner

ويقول الله تعالى مخاطبًا مَن أنعم عليهم بنعمة الـمُلك: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سورة سبأ].

وفي السنة المطهَّرة أحاديث كثيرة تحث على ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ سُلَامَى**(١) **مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ**»، قال: «**تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»، قال: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(٢).

ووعد الله تبارك وتعالى أهل الإيمانِ المتطوعين بالأعمال الحسنة والبر والمسارعين في الخير وإغاثة المحتاجين بجنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سورة ءال عمران].

فيا له من فوزٍ وظفرٍ ونعمةٍ وفضلٍ وكرمٍ وإحسانٍ، وكلٌّ ميسَّر لما خُلقَ له، والموفَّق من وفَّقه الله.

---

(١) أي كل مفصل من مفاصل الجسد.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٦٩٩)، حديث ١٠٠٩.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومَنِ استنْصَرَكَ فانصُرْهُ».

الشرح: إنَّ النصرة في الدين من كمال الإيمان بالله العظيم، وقد قال ربُّنا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ۝١٠﴾ [سورة الحجرات]، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ»(١).

وأخوة الدين يشترك فيها الصغير والكبير والذكر والأنثى والعربي والأعجمي، إنهم إخوة في الإسلام.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَخُو المُسْلِمِ» فَسَّره بحديثه الآخر: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)، وهذه صفة المؤمن الكامل، ومعنى الحديث أنَّ المسلم الكامل لا يُسْلِمُ أخاه في مصيبةٍ نزلت به ولا يتركه ولا يتخلَّى عنه، ولا يتركه لمن يؤذيه بل يحول بينه وبين ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»(٣)، أي إن كان مظلومًا فخذ بحقِّه، وإن كان ظالمًا فاردعه عن ظلمه.

ثم إنَّ النصرة معناها الإعانة، وتكون بأمورٍ، ومن ذلك المال، فقد جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم بألفِ دينارٍ فجعلها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وحفر للمؤمنين بئر رومة، ولذلك قال النبي

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٢٨/٣)، حديث ٢٤٤٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٩٦/٤)، حديث ٢٥٨٠.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١٢٨/٣)، حديث ٢٤٤٣.

Dipindai dengan CamScanner

صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»[1]، فحفرها عثمان رضي الله عنه، وجهز جيش العسرة، والنبي صلى الله عليه وسلم لمَّا رأى رجلًا ليس له راحلةٌ وهو ينظر يمينًا وشمالًا، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»[2].

ومن النصرة ما يكون بالدعاء، والدعاء من المسلم للمسلمِ هو من الموالاة، والله سبحانه وتعالى أخبر أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام لمَّا هاجر إلى المدينة لم يترك إخوانه المستضعفين بمكة من الدعاء، وكان يدعو لهم واحدًا واحدًا، كان يدعو لهم بأسمائهم ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ»[3].

والنبيُّ عليه الصلاة والسلام قد علَّمنا أنَّ الضعفاء من المسلمين يُستنصر بدعائهم، قال عليه الصلاة والسلام: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»[4].

ومن النصرة أن لا تكون عونًا لظالمٍ على أخيكَ المسلمِ، والله تعالى قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة هود]، وقد بكى بعض

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٣/٥).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٣٥٤/٣)، حديث ١٧٢٨.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٢٦/٢)، حديث ١٠٠٦.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٣٦/٤)، حديث ٢٨٩٦.

Dipindai dengan CamScanner

السلف لمَّا سمعها وقال: «إذا قال ربنا: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴿١١٣﴾﴾ فكيف بالظالمِ نفسه».

أما النصرة بالنفسِ فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قام إلى بني قينقاع اليهود مع أصحابه فقاتلهم لكفرهم ولأنهم ءاذوا مسلمةً، ومشهورٌ في السيرة أنهم عقدوا طرف ثوبها إلى ظهرها، فلمَّا قامت انكشفت سوأتها فضحكوا. وهكذا لما قامت امرأة من المسلمين تستغيث تقول وهي هاشمية وقد ءاذاها النصارى: «وا معتصماه»، فماذا فعل ملك الروم؟ قال: دعي المعتصم يأتي على فرسٍ أبلق لينصرك، فقام المعتصم لمَّا سمع بذلك مستنصرًا ءامرًا عساكر المسلمين ألا يخرجوا إلا على خيولٍ بلقٍ، وذَهَبَ في أربعين ألفًا يفتح البلدان إلى عمورية، فحاصرها وضربها بالمنجنيق، واستمرَّ الحصارُ خمسةً وخمسين يومًا حتى استسلموا وسلَّموا المدينة للمسلمين، فطلب المعتصم إحضار المرأة فأحضرت في قيودها، فلما وقعت عينه عليها قام وقال: «لبيك، قد أجبتُ دعوتك في أربعين ألف أبلق».

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأنفال].

أخي القارئ، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة الأعراف]، وكان كذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه يسعونَ في إغاثة إخوانهم ويمدونهم بالطعام والشراب واللباس والمال.

Dipindai dengan CamScanner

وهذه النصرة من المسلم لأخيه المسلم، فقد كان الصحابة يقومون بها أفرادًا وجماعاتٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۝٧١﴾ [سورة التوبة].

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تحيي قلوبنا بالإيمان الكامل وأن ترزقنا حبَّك وحب من يحبك، اللَّهُمَّ فرِّج هموم المسلمين ونفِّس كروب المستضعفين منهم وارحمهم يا ربَّ العالمين.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأظهِرِ التودُّدَ إلى الناسِ ما استطَعْتَ».

الشرح: وسائل التودُّدِ إلى الخلق كثيرةٌ جدًّا، وتختلفُ باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، ولكن نعدِّدُ بعضًا من أهمِّ هذه الوسائلِ، فمنها:

١ـ حسن الخلق مع البِشرِ فهو مفتاحُ قلوبهم، والباعث على مودَّة صاحبه وممهِّدٌ له في قلوب الناس مكانًا، قال أبو حاتم بن حبان البستي: حسن الخلق بذر اكتساب المحبة، كما أنَّ سوء الخلقِ بذر استجلاب البغضة، ومن حسن خلقه صان عرضه، ومن ساء خلقه هتك عرضه، لأنَّ سوء الخلق يورث الضغائن، والضغائن إذا تمكَّنت في القلوب أورثت العداوة، والعداوة إذا ظهرت

Dipindai dengan CamScanner

من غير صاحب الدين هوت بصاحبها إلى النار إلا أن يتداركه المولى بتفضُّلٍ منه وعفو[1].

٢ ـ البشاشة وطلاقة الوجه والتبسُّم في وجوه الناس مما يقذف الود في قلوب البشر لصاحبها.

٣ ـ الرفق ولين الجانبِ، والأخذ باليسر، والسهولة في معاملة الناس.

٤ ـ التواضع وخفض الجناح وعدم التعالي والتكبر عليهم، قال أبو حاتم: ولكن من أسباب المؤاخاةِ التي ينبغي على المرء لزومها: مشي القصد وخفض الصوت وقلة الإعجاب ولزوم التواضع وترك الخلاف.

٥ ـ عدم التثقيل عليهم، قال أبو حاتم: ولا ينبغي للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبترهم لأن المرضع إذا كثر مصُّهُ ربَّما ضجرت أمه فتلقيه.

٦ ـ تفريج كرب الإخوانِ والوقوف إلى جانبهم في الملمَّات والأحزان ومواساتهم والإحسان لهم، فعن سليمان مولى عبد الصمد بن عليٍّ أن المنصور قال لابنه المهدي: اعلم أن رضا الناس غاية لا تدرك فتحبَّب إليهم بالإحسان جهدك وتودَّد إليهم بالإفضال، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم.

٧ ـ الزيارة والتواصل والسؤال عن الإخوان وتجنب الجفاء بين المتودِّد وبينَ من يطلب وُدّه. قال أبو حاتم: العاقل يتفقَّد ترك الجفاء مع الإخوان ويراعي محوها إن بدت منه، ولا ينبغي أن يستضعف الجفوة اليسيرة لأنَّ من

---

(١) وهذا ليس معناه أنه يكون بذلك كافرًا، إنما بسبب وصوله إلى الكبائر يستحق دخول النار، وإن دخلها وهو مسلم لا يُخلَّد فيها.

Dipindai dengan CamScanner

استصغر الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرًا فإذا الصغير كبير، بل يبلغ مجهوده في محوها.

٨ ـ عدم مقابلة الإساءة منهم بالمثل، فمن أراد التودد للبشر فليعفُ وليصفح وليقابل الإساءة بنقيضها. قال السلمي: وقابل القطيعة بالصلة، والإساءة بالإحسان، والظلم بالصبر، فقد قال صلى الله عليه وسلم لعقبة رضي الله عنه: «**يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[1].

٩ ـ إدخال السرور في قلوب الناس، والتبسم لهم والمزاح، قال الماوردي: العاقل يتوخَّى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما، أحدهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين كما قال حكيم لابنه: يا بنيَّ اقتصد في مزاحك فإنَّ الإفراطَ فيه يذهب البهاء ويجرِّئ السفهاء، والتقصير فيه نقصٌ بالمؤانسين وتوحش بالمخاطبين. والثاني: أن ينفي المزاح ما طرأ عليه وحدث به من همّ.

تنبيه مهم: لا ينبغي أن يكثر من المزاح بل يستعمله وقت الحاجة إليه للتخفيف عن إخوانه وأصحابه بما يفرحهم ويزيح الهمَّ والأحزان عن قلوبهم، ويراعي أن يكونَ المزاح موافقًا للدين فلا يكذب ولا يؤذي ولا يروِّع ولا يُكثِر بحيثُ يصير عادةً له.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (٤١٧/١٠)، حديث ٧٧٢٣.

Dipindai dengan CamScanner

١٠ ـ أن يوقّر الشيوخ والمشايخ ويرحم الصبيان، وفي الحديث قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ مِنَّا**[١] **مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[٢].

١١ ـ أن يبدأ من يلقى بالسلامِ قبل الكلام، قال صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[٣]، وقد سبق التعليق على معنى هذا الحديث فانظره.

١٢ ـ الكلمة الطيبة، فهي تقودُ القلوب إلى محبة صاحبها.

١٣ ـ الهدية، وهي وسيلة ذات أثر كبيرٍ على القلوب، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**تَهَادَوا تَحَابُّوا**»[٤].

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأفشِ السلامَ، ولو على قومٍ لئامٍ».

الشرح: وصيةٌ فيها توثيق عرى المحبة بين المسلمين، وهي من علاقة العالم بغيره، ويستفاد منها الأمر بإفشاء السلام.

وأما بالنسبة لمعنى «السلام عليكم» فهو دعاء بالسلامة من الآفاتِ في الدين والنفس. قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

---

(١) أي ليس على طريقتنا الكاملة.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٢١)، حديث ١٩١٩.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١/٧٤)، حديث ٩٣.

(٤) شعب الإيمان، البيهقي، (١١/٣٠١)، حديث ٨٥٦٨.

Dipindai dengan CamScanner

مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ [سورة النور].

وقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قيل: ما هُنَّ يا رسول الله؟، قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

وقد عدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ردَّ السلام من حقِّ الطريق، قال صلى الله عليه وسلم: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**»، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**»، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ**»(١).

وقد رغبت النصوص في إفشاء السلام، فهذه تحية للمسلمين في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خَلَقَ اللَّهُ ءادَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**»(٢).

وأما في الآخرة فلأنَّ السلام تحية الملائكة للمؤمنين في الجنة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٣٢/٣)، حديث ٢٤٦٥.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٣١/٤)، حديث ٣٣٢٦.

Dipindai dengan CamScanner

كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزمر].

وهو تحية أهل الجنة في الجنة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الواقعة]، وقال عزَّ وجل: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة إبراهيم].

ومن ثمرات إفشاء السلام:

١ ـ السلامة من الحقد، وسلامة الصدر، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا**»(١).

٢ ـ الأجر الكبير، فقد ثبتَ عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، فَإِنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، فَإِنْ قَالَ: وَبَرَكَاتُهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً**»(٢).

---

(١) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢/٢٤٥)، حديث ٤٩١.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (١١/٢٤٤)، حديث ٨٤٨٥.

Dipindai dengan CamScanner

٣ ـ اغتياظ اليهود، فعن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»(١).

٤ ـ علوّ المسلمين، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَفْشُوا السَّلَامَ كَيْ تَعْلُوا**». قال المناوي: «أي يرتفع شأنكم، فإنكم إذا أفشيتموه تحاببتم فاجتمعت كلمتكم فقهرتم عدوكم وعلوتم عليه».

٥ ـ إفشاء السلام من خير الأعمال، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ رجلًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٢). وكل الإسلام خيرٌ، وإنما سؤاله هنا عن ما هو من خصالِ الإسلامِ، أي من خيرها وأفضلها إفشاء السلام.

٦ ـ رحمة الله، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»(٣)، والمعنى أطوعهم لله كما في رواية أخرى. قال الطيبي: «أي أقرب الناس من المتلاقين إلى رحمة الله من بدأ السلام».

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢٧٨/١)، حديث ٨٥٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٢/١)، حديث ١٢.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، (٣٥١/٤)، حديث ٥١٩٧.

Dipindai dengan CamScanner

٧ـ سبب للبركة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»(١).

٨ ـ سبب لمغفرة الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلَامِ، وَحُسْنَ الْكَلَامِ»(٢).

٩ ـ سببٌ لدخول الجنات بسلام، فعن أبي شريح أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بشيء يوجب لي الجنة فقال: «طِيبُ الْكَلَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»(٣).

تنبيه: قوله: «يوجب لي الجنة» معناه يكون سببًا لي أن أدخل الجنة بسلام، وليس معناه أنَّ هذا العمل يوجب على الله إدخاله الجنة، إذ إنَّ الله تعالى لا يجب عليه شيء. قال ابن رسلان: «وما على الإله شيء يجب».

فالمسلمون يعتقدونَ أنَّ إدخالَ الله للمؤمنين الجنة هو محضُ فضل وتكرمٌ وإحسانٌ منه عزَّ وجلَّ، وإدخال الكافرين وبعض عصاة المسلمين النار محض عدلٍ منه ليس ظلمًا. فالله لو عذَّبَ أهل أرضه بما فيهم الأنبياء وأهل سماواته يعني الملائكة لعذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم لأنَّ أعمالهم كما تقدَّم لا توجبُ على اللهِ إدخالهم الجنة، فرحمته سبحانه خيرٌ لهم من أعمالهم، وهذا لا يتنافى ولا يتناقض مع وعد الله تعالى

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٥/٥٩)، حديث ٢٦٩٨.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، (٢٢/١٨٠)، حديث ٤٦٩.

(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢/٢٥٨)، حديث ٥٠٤.

Dipindai dengan CamScanner

للمؤمنين بالجنة والكافرين بالنار، فوعده سبحانه تفضُّلٌ منه، ولا يتخلَّف، بل تخلُّفه مستحيلٌ، وكذلك وعيده.

وانتبه أيها المسلمُ من البخلِ بالسلامِ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ**»[1]، والمعنى من أعجزهم وأبخلهم، ومعناهُ إن ترك التسليم على الناس يخسرُ خيرًا عظيمًا لا أنه عصى الله.

ثم إنَّ للمُسَلِّم ءادابًا وأحكامًا ما أجمل الالتزام بها:

١ ـ أن يكونَ التسليمُ بصوتٍ مسموعٍ يسمعه اليقظان ولا ينزعج منه النائم، فقد روى مسلمٍ في صحيحه[2] عن المقداد رضي الله عنه قال: «فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبَهُ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ».

٢ ـ أن يُسَلِّمَ الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم[3]: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**».

وقد نقل الحافظُ ابن حجرٍ[4] عن المازري قوله: «لو ابتدأ الماشي فسلم على الراكب لم يمتنع لأنه ممتثل للأمر بإظهار السلام وإفشائه غير أن مراعاة

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (١٩٣/١١)، حديث ٨٣٩٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٦٢٥/٣)، حديث ٢٠٥٥.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٥٢/٨)، حديث ٦٢٣٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٧/١١).

Dipindai dengan CamScanner

ما ثبت في الحديث أولى، وهو خبر بمعنى الأمر على سبيل الاستحباب ولا يلزم من ترك المستحب الكراهة بل يكون خلاف الأولى، فلو ترك المأمور بالابتداء فبدأه الآخر كان المأمور تاركًا للمستحب والآخر فاعلًا للسنة إلا إن بادر فيكون تاركًا للمستحب أيضًا».

٣ ـ أن يعيد إلقاء السلام إذا فارق أخاه ولو يسيرًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا**»[١].

٤ ـ أن يسلِّم على أهل بيته عند الدخول عليهم.

٥ ـ وليحذر التشبه باليهودِ والنصارى في السلام، فقد روى الترمذي في السنن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَيْسَ مِنَّا**[٢] **مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ اليَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ**»[٣]. وهذا التَّشَبُّه هو أن يشيرَ بيده من غيرِ نطقٍ باللسان بالسلام مع أنَّ الذي يريد أن يسلم عليه قريب منه بالمسافة، أما إذا كانَ الشخص بعيدًا بحيث لو سلمت عليه بلسانك لا يسمع فأشرت إليه فلا كراهة في ذلك.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٣٥١/٤)، حديث ٥٢٠٠.

(٢) أي ليس على طريقتنا الكاملة.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٥٦/٥)، حديث ٢٦٩٥.

Dipindai dengan CamScanner

٦ ـ السلام في بداية المجلس وعند مفارقته لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»(١).

٧ ـ أن يسلم على الصبيانِ إذا لقيهم، فقد روى أبو داود في السنن(٢) عن أنسٍ قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على غلمان يلعبون فسلم عليهم».

٨ ـ البشاشة وطلاقة الوجه والمصافحة، فعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا»(٣).

وعن حذيفة بن اليمانِ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَصَافَحَهُ، تَنَاثَرَتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَا يَتَنَاثَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ»(٤).

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع»(٥).

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٣٥٣)، حديث ٥٢٠٨.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٣٥٢)، حديث ٥٢٠٢.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/١٢٢٠)، حديث ٣٧٠٣.

(٤) المعجم الأوسط، الطبراني، (١/٨٤)، حديث ٢٤٥.

(٥) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٦٥٤)، حديث ٢٤٩٠.

Dipindai dengan CamScanner

٩ ـ أن لا يبدأ الكافر بالسلام، فإن سلَّم عليه أحد من أهل الكتاب قال: وعليكم. ويجوز عند ابن عباسٍ ردُّ السلام وعند المالكية البدء به والرد مع الكراهة.

١٠ ـ سلام الرجل على المرأة والعكس: قد ذكر أهل العلم أنَّ الرجل يسلم على المرأة الأجنبية ويرد عليها السلام، وكذا المرأة تسلم على الرجل وترد عليه السلام من باب الجواز، بشرط أمن الفتنة وعدم المصافحة وترك الخضوع بالقول.

وقد سئل الإمام مالكٌ رضي الله عنه: هل يُسلَّم على المرأة؟ فقال: أما المُتَحالَّة[1] فلا أكره ذلك، وأما الشابة فلا أحب ذلك. وعلل الزرقاني في شرحه على الموطأ عدم محبة مالك لذلك بخوف الفتنة بسماع ردِّها السلام.

وذكر ابن مفلح أن ابن منصور قال للإمام أحمد: التسليم على النساء؟ قال: إذا كانت عجوزًا فلا بأس به، وقال صالح ابن الإمام أحمد: سألتُ أبي: يُسلَّم على المرأة؟ قال: أما الكبيرة فلا بأسَ، وأما الشابة فلا تُستنطَقُ، يعني لا يُطلب منها أن تتكلم برد السلام.

وإذا كانت النساء جمعًا فسلَّم عليهنَّ الرجلُ أو كان الرجالُ جمعًا فسلَّموا على المرأة الواحدة جاز بلا كراهةٍ إذا لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة.

---

(١) هي العجوز.

Dipindai dengan CamScanner

روى أبو داود[1] عن أسماء بنت يزيد قال: مرَّ علينا النبيُّ صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلَّم علينا.

ولا شكَّ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان من الفتنة معصومًا إن سلَّم أو سُلِّم عليه. وفي فعله دليلٌ على جواز ذلك وهو تعليمٌ للأمَّة. والصواب والحق والمعتمد الذي لا محيد عنه أنَّ صوتَ المرأة ليس عورة.

١١ ـ قال النووي رحمه الله: «والأكمل أن يقولَ: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بالواو، فلو تركها جازَ وكان تاركًا للأفضل، ولو اقتصر على «عليكم» لم يُجْزِه بلا خلافٍ، ولو قال «وعليكم» بالواو ففي إجزائه وجهانِ لأصحابنا، قالوا: وإن قال المبتدئ: سلام عليكم أو السلام عليكم فقال المجيب مثله: سلام عليكم أو السلام عليكم كان جوابًا وأجزأه»، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾ [سورة هود]، ولكن بالألف واللام أفضل.

١٢ ـ ومن كان في صلاةٍ فسُلِّم عليه ردَّ بالإشارة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء يصلي فيه»، قال: «فجاءته الأنصار، فسلموا عليه وهو يصلي»، قال: «فقلت لبلال: كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟»، قال: «يقول هكذا، وبسط كفه»، وبسط جعفر بن عون كفه، وجعل بطنه أسفل، وجعل ظهره إلى فوق[2].

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٣٥٢/٤)، حديث ٥٢٠٤.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٢٤٣/١)، حديث ٩٢٧.

Dipindai dengan CamScanner

١٣ ـ إذا دخل بيتًا خاليًا قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقد روى البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إذا دخل البيت غير المسكون فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». وقال مجاهدٌ: «إذا دخلت المسجدَ فقل: السلام على رسول الله، وإذا دخلتَ على أهلك فسلِّم عليهم، وإذا دخلتَ بيتًا ليس فيه أحدٌ فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

١٤ ـ ثبتَ عند مسلمٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم زار المقابر فسلَّم بقوله: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»[1].

١٥ ـ ولا يقال عند ابتداء السلام: عليك السلام، فقد روى أبو داود في سننه[2] عن أبي جري جابر بن سليم قال: رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: «**لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ**».

١٦ ـ ومن أرسل رسالةً سلَّم على المرسَل إليه فيها، وردَّ القارئ بعد قراءة السلام: وعليه السلام.

١٧ ـ ولا يقول للمسلمين: السلام على من اتبع الهدى، فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كتبها إلى أهل الكتاب.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٦٧١/٢)، حديث ٩٧٥.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، (٥٦/٤)، حديث ٤٠٨٤.

Dipindai dengan CamScanner

١٨ ـ وإذا سلم على جماعةٍ وردَّ واحدٌ أجزأه، وإن اشتركوا في ذلك أُجِروا. وإذا دخل رجلٌ على جماعة فقال: السلام عليكم جميعًا أو فردًا فردًا، كفى ردُّ أحد الحاضرين.

١٩ ـ وإذا قال لك أحدٌ: إنَّ فلانًا يقرأ عليك السلام، فالسنة أن تقول: عليك وعليه السلام[١].

٢٠ ـ ويسلم على الأنبياء إذا ذكرهم كما علمنا ربنا في كتابه حيث قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الصافات]، وقال عزَّ من قائل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة الصافات]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة الصافات]. وإذا ذكرَ نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم قال: صلى الله عليه وسلم؛ للآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب].

اللَّهُمَّ فقِّهنا في ديننا، واجعلنا من ورثةِ أنبيائك والمقتفين لآثارهم ومن السالمين يوم الدين.

---

(١) والسنة في زيادة: عليك، وإلا فردُّ السلامِ واجبٌ.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومتى جمعَكَ وغيرَكَ مَجْلِسٌ، أو ضمَّك وإيَّاهم مسجِدٌ، وجرتِ المسائلُ، وخاضوا فيها بخلافِ ما عِنْدَك لم تُبْدِ لهم منك خلافًا.

فإن سُئِلْتَ عنها! أجبتَ بما يَعْرِفُهُ القومُ، ثم تقولُ: وفيها قولٌ ءاخر كذا، وحُجَّته كذا، فإذا سَمِعوا مِنْكَ عَرَفُوا قدْرَكَ ومِقْدَارَك، وإن قالوا: هذا قول مَنْ؟ فقلْ: قولُ بعضِ الفقهاءِ.

وإن استقرُّوا على ذلك، وأَلِفوهُ، وعَرَفوا مِقدارَك وعظَّموا محَلَّكَ، فأعطِ كلَّ مَنْ يختلِفُ إليك نوعًا من العلمِ ينظرونَ فيهِ، ويأخذُ كلٌّ منهم بحظِّ شيءٍ مِنْ ذلك».

الشرح: وصية جليلةٌ تنبئُ عن فهمٍ عميقٍ من إمامٍ ملأ فضله بطون الكتبِ، ولكن لقوةِ عبارات هذا الإمام كانت هذه الوصية تشتمل على وجوهٍ، فينبغي العناية بشرحها لفهم معناها على ما ينبغي.

فنقول وبالله التوفيق:

أولًا: قد بيَّن لنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ الناسَ مراتب، ليسوا كلهم في طبقة واحدة حيث قال صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[1]، فأفهمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الناسَ بين مجتهدين

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٣/٣٢٢)، حديث ٣٦٦٠.

Dipindai dengan CamScanner

وعوام وأمرنا الله سبحانه وتعالى باستفتاء العلماء عند طروء المسائل، فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾.

ثانيًا: علم الدين أيضًا ليست كُلُّ مسائله في مرتبةٍ واحدةٍ، إذ إنَّ من العلمِ ما يتعلَّق بأصل الدين وأصل العقيدة، ومنه ما يتعلقُ بفروع الشريعة، فالأولُ مثل: توحيد الله، والثاني: مثلُ مسألة في الوضوء أو الصلاة.

ثالثًا: الكلام على مذاهب العلماء المجتهدين التي عليها عمل الناسِ، قال ابن قدامة في «المغني»[1]: «وجعل في سلف هذه الأمة أئمة من الأعلام، مهَّد بهم قواعد الإسلام، وأوضح بهم مشكلات الأحكام، اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة».

وقال ابن العربي في «أحكام القرءان»[2]: «والذي يسقط لعدم بيان الله سبحانه فيه وسكوته عنه[3] هو باب التكليف فإنه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم تختلف العلماء فيه، فيحرم عالم، ويحل ءاخر، ويوجب مجتهد، ويسقط ءاخر؛ واختلاف العلماء[4] رحمة للخلق، وفسحة في الحق، وطريق مهيع إلى الرفق».

---

(١) المغني، ابن قدامة، (٤/١).

(٢) أحكام القرءان، ابن العربي، (٢١٤/٢).

(٣) أي لم يُبيِّن حكمه، وليس معناه السكوت الذي هو في مقابل الكلام لأنَّ الله منزهٌ عن صفات المخلوقين.

(٤) أي المجتهدين.

Dipindai dengan CamScanner

ونزيد الأمر تفصيلًا فنقول: إنَّ قواعد الإسلامِ وأصوله العقدية لا تختلفُ بين عالمٍ وءاخر بين المجتهدين، ولا بين فقيهٍ وعامي، فلا تختلفُ بين أهل السنة والجماعة أنفسهم، وبناء على هذا نقولُ: إنَّ ما نشهده من المسلمين من انتساب إلى أشاعرة وماتريدية ليس معناه أنَّ المسلمين منقسمونَ في أصول العقائد، وليس معناه أنَّ الإمام أبا الحسنِ الأشعري والإمام أبا منصورٍ الماتريدي رضي الله عنهما اختلفا في أصل الدين.

والحقُّ أنَّ فرقتي المسلمين الأشاعرة والماتريدية متفقتان في أصول الدين كتوحيد الله تعالى وترك الإشراك به شيئًا وتنزيهه سبحانه عن الحيز والمكان والجهة واللون والشكل والصورة والخيال والحركة والسكون والاتصال والانفصال والدخول والخروج والإحساس والشعور والشم والذوق واللمس والجسم والحجم والكيفية والكمية والأعضاء والجوارح وسائر الكيفيات. وكلهم مجمعونَ على اتصاف الله تعالى بالوجود، والوحدانية، والقدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والقدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والحياة، والكلام، والمخالفة للحوادث.

وعلماء الأشاعرة والماتريدية هم الذين قرَّروا في كتبهم قاعدة من أنكر ما علم من الدين بالضرورة أي ما علم علمًا ظاهرًا يشترك في معرفته العلماء والعامة من المسلمين كفر، لكن من كانَ قريب عهدٍ بإسلامٍ أو كان يشبه قريب العهد بالإسلامِ كأن نشأ في باديةٍ بعيدة عن العلماء أو نشأ بين المسلمين ولكن لم يتردد على سمعه الحكم الذي أنكره فإنه لا يكفر بشرط أن يكون غير عالمٍ بورود الحكم الذي أنكره في دين الإسلامِ، وقالوا: هذا كله

Dipindai dengan CamScanner

في إنكار حكمٍ فرعيٍّ أي إن لم يكن الأمر الذي أنكره نحو تنزيه الله عن الشبيه وتنزيهه عن التحيز في الجهة والمكان وتنزيهه عن الصورة والهيئة والشكلِ واللون والحد والعجز والسَّفه وصفاتِ المخلوقين، ونحو تبرئة الأنبياء من الخيانة والسفاهة والرذالة ونحو ذلك من الصفات الحسية، وقالوا: من نسبَ إلى الله المكان أو الجهة أو الجسم أو أي صفة من صفات المخلوقين، أو نسب إلى الأنبياء الفسوق بارتكاب الكبائر أو الرذالة أو الخيانة أو السفاهة قبل النبوة أو بعدها فإنه يكفر ولو كان حديث عهدٍ بإسلام أو متأوِّلًا بعض الآيات أو الأحاديث على غير معناها لضعف فهمٍ أو علمٍ لأن تجويز النقائص المذكورة على الله تعالى ينقض الإيمان به سبحانه، إذ من جوَّز ذلك لم يعرف الله تعالى على ما يجب، فلا يكون مؤمنًا به عزَّ وجلّ، ولأنَّ تجويز النقائص الآنفة الذكر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ينقض الإيمان برسول الله فلا يكونُ عارفًا بالرسول على ما يجب.

وعمد هؤلاء الأعلام في كتبهم إلى القولِ بأنَّ أصول الدين أي العقائد قسمٌ متعلِّقٌ بأصل معنى الشهادتين، فمن خالفه ولو مع الجهل بوروده في الشرع لا يصح إيمانه بالله أو برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهنا تنبيه مهمٌ جدًّا: ما رواهُ يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي أنَّ لله أسماء وصفات لا يسع أحدٌ ردَّها ومن خالفَ بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيامِ الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقلِ ولا الروية والفكر، فنثبتُ هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى]، فمراده أنَّ صفات الله تعالى قسمان: قسمٌ يدركُ

Dipindai dengan CamScanner

ثبوته لله بالعقل كالصفاتِ الثلاث عشرة، والقسم الثاني: ما لا يدرك بالعقل والروية والفكر.

فالقسمُ الأول يكفر جاحده والشاك فيه والمتردد والمتوقف فيه، والقسم الثاني لا يكفر جاحده قبل العلم بالحجة التي علم بها لأنه يتعلَّق بالسمع بدليل قوله: «لا يدرك بالعقل والروية والفكر».

وليس مراد الشافعي بقوله: «يعذر بالجهل» ما كان من تلك الصفات الثلاث عشرة، فإنَّ الصفات الثلاث عشرة يُدرك ثبوتها لله بالعقل والسمع ولو لم يرد بها نصٌّ قرءانيٌّ أو حديثيٌّ فإنَّ العقلَ يدل على أنَّ الله قادرٌ على كلِّ شيء عالمٌ بكلِّ شيءٍ بلا استثناء. فمن جهل شيئًا منها فنفى فلا عذرَ له ولو أسلمَ من جديد لأنها شرطٌ للألوهية، قال الحافظ ابن الجوزي: «من نفى قدرة الله على كلِّ شيءٍ كافر بالاتفاق» أي بلا خلاف. قاله في كتابه «كشف المشكل على صحيح البخاري»، ونقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري[1].

فإذًا لا خلافَ بين العلماء في الأصل، وهنا يقع السؤال: ما هو الخلاف الذي أراده الإمام في هذه الوصية؟

ليعلم أنه قد وقع خلافات بين الأشاعرة والماتريدية كان بعضها مجرد خلاف لفظي بينهما، وأما في الحقيقة فلا خلاف بينهم، وبعضها كان الخلاف فيها متحقِّقًا موجودًا إلَّا أنَّ هذه الخلافات إنما هي في فروع العقيدة لا أصولها.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٦/٥٢٣).

Dipindai dengan CamScanner

كما وقع مثل ذلك بين مذاهب العلماء في الأمور الفقهية كالخلافات الحاصلة بين الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد. لكن هذه الخلافات لا توجب تكفيرًا ولا تفسيقًا ولا تبديعًا. كيف يكون ذلكَ وقد وقع الخلاف في مسائل بين صحابة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

فكلام الإمام لتلميذه في الوصية: «ثم تقول وفيها قول آخر كذا» محمولٌ على هذين النوعين من الخلاف بدليل قوله بعدُ في الوصية: فقل قول بعض الفقهاء.

فالفقهاء يجتهدون حيث كان للاجتهاد محل، وحيث كان للرأي فيه مجال، فلا يكون للاجتهاد مدخل في الأصول والقطعيات، ولذا نصَّ العلماء أنَّ من اجتهدَ فأخطأ فيها كفر، ولا اجتهاد إذا ورد النصّ وجاء الخبر. ولذا قد قال الحافظ ابن المنذر: إذا جاء الخبرُ ارتفع النظر.

وحيث لم يرد النصُّ فالاجتهادُ المبنيُّ على الأسس الصحيحة مقبولٌ، وإلا فلا:

وليسَ كلُّ خلافٍ جاء معتبرًا ... إلا خلافٌ له حظٌّ من النظر

وفي الختام فائدةٌ جليلة:

بما أنَّ الكلام قد مرَّ في مراتب الناس، نقول: قد ذكر العلماء أن المشايخ في المذهب الفقهي على مراتب:

الأولى: المجتهد المطلق، وهو إمام المذهب كالشافعيِّ وأبي حنيفة، وهذا وظيفته استنباطُ الأحكام من الكتاب والسنة.

Dipindai dengan CamScanner

الثانية: أصحاب الوجوه وهؤلاء وظيفتهم استنباط الأحكام من كلام الإمام، فقد ورد عن الشافعيِّ قوله مثلًا: «لا تقام جمعتان ببلدٍ وإن كبرت»، قال بعض أصحاب الوجوه: «كلام الشافعي على ظاهره، فلو تعددت الجمع في بلدٍ واحدٍ صحت السابقة دون المسبوقة وإن شقَّ الاجتماع»، وقال بعضهم: «كلام الإمام محمولٌ على ما إذا لم يشق الاجتماع وإلا صحت السابقة والمسبوقة».

الثالثة: أهل الترجيح، وهؤلاء وظيفتهم ترجيح أحد أقوال الإمام على الآخر، أو أحد أصحابِ الوجوه على الآخر، وذلك لأنَّه معلومٌ عند الفقهاء أنه إذا قيل: «وفي المسألة قولٌ» معناه لإمام المذهب، وإذا قيل: «وجه» معناه لأصحاب الوجوه.

الرابعة: النقلة، وهؤلاء حظهم نقل المذهب لغيرهم، فليس لهم أهلية الاجتهاد، ولا حتى الترجيح، وذلك كابن العماد الأقفهسي وابن حجرٍ الهيتمي والخطيب الشربيني وكثير من المتأخرين عند الشافعية.

وعليه نقول: إذا لم يكن للناقل مخالفةُ قول إمام المذهب في الفروع، فكيفَ في الأصول؟! وبناءً عليه إذا وُجِد في كتابِ مَن هو من النقلة عدم تكفير المجسم أو المعتزلي الذي ثبتت في حقه قضية مكفرة فلا عبرة بذلك، وعلى أنه قد ثبت عن الأئمة الأربعة تكفيرهم للمجسم والمعتزلي القائل بخلق أفعال العباد أو المكذب بالقدر. فأهل الإسلام أجمعوا على أنَّ من نسب الجسمية أو الحدَّ لله تعالى أو وصفه بصفةٍ من صفات خلقه بأنه خارجٌ من الإسلام بقوله أو اعتقاده هذا، وهاك سرد نقولٍ لعلماء أهل السنة الذين ذكروا لفظ

Dipindai dengan CamScanner

الإجماع في تكفير المجسم، فالمجسم لا خلاف في تكفيره، وإليك بيان النقول:

ـ **النقل الأول**: قال الحافظ النووي في كتاب «روضة الطالبين»[1] ما نصه: «وأن من دافع نصّ الكتاب أو السنة المقطوع بها المحمول على ظاهره **فهو كافرٌ بالإجماع**»[2].

والمجسم كذّب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ۝٦٠﴾ [سورة النحل] **تكذيبًا صريحًا فهو كافرٌ بالإجماع بنص الحافظ النووي هذا.**

وكذلك قال ابن حجر الهيتمي في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام»[3] ما نصه: «وأن من دافع نص الكتاب أو السنة المقطوع بها المحمول على ظاهره **فهو كافرٌ بالإجماع**».

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (٧٠/١٠).

(٢) وهذا ما ذكره محمد عليش المالكي وغيره. **منح الجليل شرح على مختصر خليل**، محمد عليش، (٢١٠/٩). **فتاوى السبكي**، السبكي، (٣٨/٥). **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، علاء الدين ابن العطار، (١٦٩/١). **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، (٤٥٧/١).

(٣) **الإعلام بقواطع الإسلام**، ابن حجر الهيتمي، (ص٧٤، ٧٥).

Dipindai dengan CamScanner

ـ **النقل الثاني**: قال الفقيه الشافعي أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمّد ابن الرفعة في كتابه «كفاية النبيه شرح التنبيه»[1] في فقه الإمام الشافعي ما نصه: «ولا تجوز الصلاة خلف كافرٍ لأنه لا صلاة له، فكيف يُقتدى به، **وهذا ينظم من كفره مجمعٌ عليه** ومن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر **وكذا من يعتقد أن الله جالسٌ على العرش**، كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي».

وانظر إلى قول ابن الرفعة «**من كفره مجمعٌ عليه**» وذكرَ فيهم المجسمة والمعتزلة. وأكّد أن تكفير المجسم هو نص الشافعي كما نقله القاضي حسين رحمه الله تعالى.

ـ **النقل الثالث**: قال الإمام الأستاذ عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي التميمي في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»[2]: «فأما أصحابنا فإنهم وإن **أجمعوا على تكفير المعتزلة والغلاة من الخوارج والنجارية والجهمية والمشبهة** فقد أجازوا لعامة المسلمين معاملتهم في عقود البياعات والإجارات».

وهذا إجماعٌ صريحٌ على تكفير المشبهة، والمجسمة مشبهة بلا شك، ومراده بأصحابنا جمهور الشافعية والأشاعرة لأنه رحمه الله كان رأسًا مشهورًا فيهم.

---

(١) كفاية النبيه شرح التنبيه، ابن الرفعة، (٤/٢٤).

(٢) تفسير الأسماء والصفات، أبو منصور البغدادي، (ص٢٢٨، ٢٢٩).

Dipindai dengan CamScanner

وقال الإمام الأستاذ الفقيه المؤرخ الخبير بالفرق والنِّحَلِ الذي كان رأسًا في الأشاعرة الشافعية أبو منصور البغدادي في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»[1]: «**إجماع الأمة على إكفار** من أنكر النبوات أو شكَّ في عقائد الأنبياء، وإذا كان شكّه في صفات بعض الناس يورثه الكفر **فشكه في صفة لازمةٍ لله عز وجل أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره**».

وهنا نقل البغدادي الإجماع على كفر من جَهِل صفةً لازمةً لله، ولا شكّ أن **المجسّم جاهل بالله**، وليس مجرد صفةً لازمةً له فقط، **فيكون كافرًا بالإجماع**.

وقد قال إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله[2]: «فكذلك اعتقاد من اعتقد أن البارئ تعالى أجزاءٌ متصلة وأبعاض متلاصقة **كفرٌ به وجهلٌ**».

وقال رحمه الله: «**والجهل بصفة لله تعالى كفرٌ**». ومعناه أن إنكار صفةٍ من صفات الله الثلاث عشرة أو الشك فيها أو في واحدةٍ منها **كفرٌ وخروج من الإسلام**.

وهذا إجماعٌ على كفر المجسم والجهوي الذي يثبت الجهة لله، لأنه بذلك أنكر صفة المخالفة للحوادث التي هي ثابتةٌ لله عز وجلّ، وجعله جسمًا يفتقر إلى موجدٍ، وجعله محتاجًا إلى المكان وإلى مخصصٍ يخصصه بذلك.

---

(١) تفسير الأسماء والصفات، أبو منصور البغدادي، (ص٤٦).

(٢) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ابن فورك، (ص٢٢٨).

Dipindai dengan CamScanner

ـ **النقل الرابع**: قال الفقيه الشافعي أبو بكر تقي الدين الحصني الشافعي في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»[1] ما نصه: «لأن الكيف من صفات الحدث، وكل ما كان من صفات الحدث، فالله عز وجل منزهٌ عنه، فإثباته له سبحانه **كفرٌ محققٌ عند جميع أهل السنة والجماعة**».

وهذا إجماعٌ صريحٌ على كفر المجسمة لأنهم وصفوا الله بصفات الحوادث التي هي الجسمية.

وقال أيضًا في كتابه «كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار» ما نصه[2]:

«إلا أن النووي جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة.

قلت ـ أي الحصني ـ: **وهو الصواب الذي لا محيد عنه، إذ فيه مخالفة صريح القرءان** قاتل الله المجسمة والمعطلة، ما أجرأهم على مخالفة من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وفي هذه الآية ردٌّ على الفريقين».

وانظر إلى قوله «**وهو الصواب الذي لا محيد عنه إذ فيه مخالفة صريح القرءان**»، وتكذيب القرآن كفرٌ بإجماع الأمة، فالمجسم كافرٌ بإجماع الأمة.

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، تقي الدين الحصني، (ص١٨).

(٢) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تقي الدين الحصني، (ص٣٨٢).

Dipindai dengan CamScanner

ـ **النقل الخامس**: قال تقي الدين الحصني ما نصه: «**خرج** ـ أي ابن تيمية ـ **عن الاتباع إلى الابتداع وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع** وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدس».

ـ **النقل السادس**: قال الشيخ ملا علي بن سلطان محمّد القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[1] ما نصه: «قال النووي في شرح مسلم في هذا الحديث (أي حديث النزول) وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران، فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بأنها حقٌّ على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الحدوث. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكيٌّ عن مالك والأوزاعي أنها تُتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها. فعليه: الخبر مؤول بتأويلين، أي المذكورين، وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر ـ كالمجيء والصورة والشخص والرِّجل والقَدَمَ واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك ـ مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري، (١٣٦/٢).

Dipindai dengan CamScanner

قطعية البطلان تستلزم أشياء **يحكم بكفرها بالإجماع** فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره».

وانظر هنا إلى قوله «**يُحكم بكفرها بالإجماع**»، فإذا كان من يصف الله تعالى بظاهر هذه الأشياء المذكورة هنا كافرًا بالإجماع، فكيف بالمجسّم؟! فهو داخلٌ في هؤلاء الذين ينسبون لله المكان ويصفه بظواهر الآيات والأحاديث المتشابهة، فلا خلاف في كفره!!

- **النقل السابع**: قال الإمام الحافظ الفقيه أحمد بن سلامة أبو جعفر الورّاق الطحاوي المصري في عقيدته المشهورة بالعقيدة الطحاوية: «ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر **فقد كفر**».

وهذه العقيدة تلقتها الأمة سلفًا وخلفًا بالقبول والفرح والسرور، فأقبلوا عليها حِفظًا ودرسًا وشرحًا وتعلّمًا وتعليمًا واستحسانًا بلا نكيرٍ ولا خلاف.

ويقول الطحاوي رحمه الله: «إن هذه الرسالة هي ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على حسب ما قرره أبو حنيفة وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبو عبد الله محمّد بن الحسن الشيباني أي من حيث سبك العبارات أضع هذه الرسالة على أسلوب هؤلاء الأئمة الثلاثة، أما من حيث المعنى **فهو مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء**». وأهل السنة والجماعة هم الصحابة ومن تبعهم في المعتقد[1].

---

(١) إظهار العقيدة السنية، الهرري، (ص٣١).

Dipindai dengan CamScanner

وانظر إلى قوله: «فهو مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء»، أي هذا إجماعٌ.. وقد سبقت عبارة الطحاوي «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، إذًا هو إجماع صريح ظاهر على كفر المشبهة المجسمة.

ـ **النقل الثامن**: قال الإمام الحافظ المجتهد المجدد الشيخ عبد الله ابن محمّد بن يوسف الهرري المعروف بالحبشي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه التعاون[1]: «**والمجسم كافر بإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم** لأن من جسّم الله تعالى كذّب قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى]، فإنه جعل لله أمثالًا كثيرةً لا تُحصى».

وقال بعد أسطر قليلة: «**وقد اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم على أن المجسم كافر**».

وهذا تصريحٌ من إمام أهل السنة في عصرنا بوجود الإجماع على كفر المجسم.

النقل التاسع: وقال الإمام الولي الشيخ عبد الله بن محمّد الهرري المعروف بالحبشي في كتابه «التحذير الشرعي الواجب»[2]: «**فقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي إجماعهم على تكفير المجسم، وثبت عن الإمام أبي الحسن الأشعري**

---

(١) التعاون على النهي عن المنكر، الهرري، (ص٥٩).

(٢) التحذير الشرعي الواجب، الهرري، (ص١٣٤).

Dipindai dengan CamScanner

أنه قال: المجسم غير عارف بالله فهو كافرٌ به، كذلك في المعتزلة وغيرهم، فدفع التكفير عنهم يؤدي إلى إبطال الشريعة».

ـ **النقل العاشر**: قال الإمام الحافظ شيخ السنة عبد الله بن محمّد ابن يوسف الهرري المعروف بالحبشي في كتابه «التعاون على النهي عن المنكر»[1]: «وأما الوهابية فهم مجسمون وهم كفار **لأن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: «المجسم كافر»**[2].

والإمام أحمد قال: «**من قال الله جسم لا كالأجسام كفر**»[3].

وكذلك الإمام مالك رضي الله عنه كفّر المجسّم.

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية: «واعلم أن القرافي وغيره **حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك**».

النقل الحادي عشر: تفطن الطبري رحمه الله لهذه الطائفة الخبيثة التي جوزت أن يكون ذاته تعالى محلًا للخلق والتغير بالانتقال والزوال من مكان إلى مكان، فصرح بكفرها في معرض بيان عقيدة أهل السنة في الكلام وكونها صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى، وأنه ليس حروفًا وأصواتًا يخلقها الله

---

(١) التعاون على النهي عن المنكر، الهرري، (ص٣٤).

(٢) الأشباه والنظائر، السيوطي، (ص٤٨٨).

(٣) ذكره صاحب الخصال وهو من مشاهير الحنابلة.

Dipindai dengan CamScanner

تعالى ويوجدها في ذاته بإرادته واختياره كما يصرح التيمية والوهابية ويثبتون حلول الصفات الحادثة بذات الله تعالى ويسمون ذلك قيام الصفات الاختيارية به، وقد ردّ الإمام الطبري كل ذلك قائلًا: «من أبى ما قلنا في ذلك قيل له[1]: أَخْبرنا عن الكلام الذي وصفت أن القديم به متكلم مخلوق، أخلقه إذ كان عندك مخلوقًا في ذاته، أم في غيره، أم قائم بنفسه؟ فإن زعم خلقه في ذاته، فقد أوجب أن تكون ذاته محلًا للخلق، **وذلك عند الجميع كفر**.

فالطبري نص على أن الفوقية مصروفة عن ظاهرها حيث إن الله عز وجل منزه عن الفوقية المكانية لقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى]، فمن اعتقد أن لله تعالى مكانًا فقد **كفر بإجماع العقلاء**[2].

- **النقل الثاني عشر**: قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي ما نصه[3]: «واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباع للنص وتسليم للشرع وتصديق لما وصف به نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له الكيفية لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام **وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام**».

---

(١) **التبصير في معالم الدين**، الطبري، (ص٢٠٢).

(٢) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص١١٥).

(٣) **شرح عقيدة الإمام مالك الصغير**، عبد الوهاب البغدادي، (ص٢٨).

Dipindai dengan CamScanner

وأقره عليه الأستاذ الدكتور الشيخ أحمد محمّد نور سيف مدير عام دار البحوث ورئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دبي[1].

ـ **النقل الثالث عشر**: قال شارح سنن أبي داود محمود خطاب السبكي ما نصه[2]: «فمن اعتقد أن الله عز وجل متصف بالاستقرار على العرش أو التمكن فيه **فهو كافر بالإجماع**».

ـ **النقل الرابع عشر**: قال الشيخ أبو بكر محمّد بن سابق الصقلي ما نصه[3]: «ومن قال إن الله عز وجل يحدث فيه الحرف بعد الحرف، فقد جعل ربّه محلًّا للحوادث وشبّهه بمخلوقاته وشبّه مخلوقاته به، **وهذا كفر بإجماعٍ، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرا**».

ـ **النقل الخامس عشر**: قال الغزالي في كتابه المسمى «إلجام العوام عن علم الكلام» ما نصه[4]: «الوظيفة الأولى: التقديس ومعناه أنه إذا سمع اليد والإصبع في قوله صلى الله عليه وسلم «**إن الله خمر طينة ءادم بيده**» و«**إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن**»، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين

---

(١) سلسلة الدراسات العقدية ٢، أحمد محمد نور سيف، (ص٦٨).

(٢) إتحاف الكائنات، محمود خطاب السبكي، (ص ٦٠).

(٣) كتاب الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية، الصقلي، (ص٢١٥).

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام، الغزالي، (ص٢٠٩).

Dipindai dengan CamScanner

أحدهما هو الوضع الأصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص بصفات مخصوصة والجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا بأن ينتحي عن ذلك المكان، وقد يستعار هذا اللفظ أعني اليد لمعنى ءاخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلًا كما يقال: البلدة في يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلًا. فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعًا ويقينًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك جسمًا هو عضو مركب من لحم ودم وعظم، وأن ذلك على الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم فإن كل جسم هو مخلوق، وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كفر لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم فمن عبد جسمًا **فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف**».

ـ **النقل السادس عشر**: نقل القرافي **اتفاق الأئمة الأربعة على تكفير المجسم** كما نقل ذلك عنه ابن حجر الهيتمي قال: «وهم حقيقون بذلك».

ـ **النقل السابع عشر**: قال القرطبي ما نصه[1]: «**وإن إثبات الجهة لله تعالى كفرٌ عند الأئمة الأربعة** كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري[2]».

(١) التذكار في أفضل الأذكار، القرطبي، (ص٢٠٨).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، (١٣٧/٢).

Dipindai dengan CamScanner

ـ **النقل الثامن عشر**: قال محمود خطاب السبكي ما نصه[1]: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص ويقول ذلك هو عقيدة السلف ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلًا بقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[سورة طه]، وقوله عز وجل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ١٦﴾ [سورة الملك]، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلًا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله؟ فأجبت بعون الله تعالى، فقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد: فالحكم أن هذا الاعتقاد **باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين**، والدليل العقلي على ذلك قِدَم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى]، فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو

---

(١) إتحاف الكائنات، محمود خطاب السبكي، (ص ٣، ٤).

Dipindai dengan CamScanner

الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتَبِين منه زوجه، ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في ذلك كله من صدَّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، **فهو كفر وبهتان عظيم**».

ونقل رحمه الله[1] عن الإمام عماد الدين الكندي أنه نص على أن الله تعالى يستحيل عليه الحلول في الأماكن أو اتصاله بالأجسام أو مقابلته لها أو تحيزه في جهة لأن ذلك كله من صفات الحوادث، فمن اعتقد أنه تعالى حل في عرش أو سماء أو حاذى شيئًا من مخلوقاته أو حل في أي جهة من الجهات الست **كفرٌ بإجماع العاقلين**.

ـ **النقل التاسع عشر**: يقول علاء الدين البخاري بعدَ كلامٍ عن مسألة لازم المذهب[2]: «فإذًا؛ يكون القول بأنَّ الله متمكنٌ على العرش، متحيزٌ فيه، وأنَّه في جهة الفوق قولًا بأنَّه جسمٌ لأن الجسمية من اللوازم العقلية للمتحيز ولذي الجهة، **ومن قال بأنَّ الله جسمٌ فهو كافرٌ إجماعًا**. ولهذا قال إمام الحرمين في الإرشاد: إثبات الجهة لله كفرٌ صراح».

---

(١) إتحاف الكائنات، محمود خطاب السبكي، (ص١٢٥).

(٢) ملجمة المجسمة، علاء الدين البخاري، (ص٦١).

Dipindai dengan CamScanner

ـ **النقل العشرون**: قال الشيخ الكوثري ما نصه[1]: «إن القول بإثبات الجهة له تعالى **كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة** كما نَقل عنهم العراقي على ما في «شرح المشكاة» لعلي القاري».

ـ **النقل الحادي والعشرون**: قال الشيخ أحمد بالعيت الوقراوي محتجًّا بكلام السبكي ما نصه[2]: «فتوى شيخ الأزهر السبكي: الحمد لله رب العالمين المنزه عن صفات المخلوقين كالجهة والجسمية والمكان والفوقية، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد الذي جاء بمحو الشرك والإلحاد وأمرنا بتنزيه الله تعالى عن صفات العباد والمنزل عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] وقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وعلى ءاله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد، فيقول محمود بن محمّد بن أحمد السبكي: قد سألني بعض الراغبين في معرفة ـ عقيدة ـ الدين، والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: «ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص.. فأجبت بعون الله تعالى... **فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين.** والدليل العقلي على ذلك: قدم الله تعالى ومخالفته للحوادث. والنقلي قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى]

---

(١) مقالات الكوثري، الكوثري، (ص ٣٢١).

(٢) مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير، أحمد الوقراوي، (ص ٢٩ ـ ٣٢).

Dipindai dengan CamScanner

فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافرٌ قطعًا ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجته ووجب أن يتوب فورًا ـ بنطقه بالشهادتين للدخول في دين الإسلام ـ وإذا مات على هذا الاعتقاد لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله من صدقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا».

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وخذهُم بجلِيّ العلمِ دونَ دَقيقِهِ».

الشرح: هي لفتة نظرٍ من الإمام ووصيَّةٌ منه وإرشادٌ له كيف هي الطريقُ لتدريس الناس، وفي الحقيقة: من تأمَّلَ الكلمات وفهم فحواها ومغزاها يعرف ويفهمُ أنَّ الإمام أبا حنيفة يعلمه ويربيه ليكون ربَّانيًّا.

ما معنى الرباني؟ وما هو؟ وما هي صفاته؟ أسئلة تطرح وفيما يأتي جوابٌ شافٍ بإذن الله تعالى، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»[1].

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران].

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٩٣/١)، حديث ٣٣٦.

Dipindai dengan CamScanner

ويقول عزَّ من قائل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة]. ويقول أصدق القائلين: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة المائدة].

قال الرازي في تعريف الربانيين: «أن يكون الداعي له في جميع الأفعال طلب مرضاة الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب من عقاب الله».

وأورد الطبري عدة أقوالٍ في تعريف الربانيين، فقال عن أبي رزينٍ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، حكماء، علماء. وعن الحسن في قوله ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: كونوا فقهاءَ علماء. وعن السدي في قوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أما الربانيونَ فالحكماء الفقهاء، وعن ابن وهبٍ قال: سمعتُ ابن زيدٍ يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: الربانيون الذين يربون الناس، ثم قال الطبري: فالربانيون إذًا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا. ولذلك قال مجاهد: وهم فوق الأحبار لأنَّ الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم.

وقال القرطبي[1]: «قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ قال: حقّ على كلِّ من تعلم القرءان أن يكون فقيهًا».

---

(١) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي، (١/٢٢).

Dipindai dengan CamScanner

وقد قال محمد بن الحنفية: «لما ماتَ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لقد مات هذا اليوم رباني هذه الأمة».

والربانيون هم ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [سورة المؤمنون].

والربانيون هم الذين ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [سورة الأنفال].

وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ [سورة الفرقان].

وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ وَٱلَّذِينَ

Dipindai dengan CamScanner

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الفرقان].

فالربانيون هم أولئك الذين أخلصوا لله في عبادتهم فعبدوه وحده بحقٍّ وصدق امتثالًا لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الزمر]، وامتثالًا لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

والربانيون هم العلماء العاملون الذي يخشون الله حقَّ خشيته، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢) إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فاطر].

والعلماء الربانيون هم الذين يعلمون الحلال من الحرام، قال البغوي: «الربانيون العلماء بالحلال والحرام».

فهم يطلبونَ رضا الله سبحانه وتعالى بعلمهم فيطابقُ قولهم فعلهم، قال أبو عمرَ الزاهد: سألت ثعلبًا عن هذا الحرف وهو الرباني، فقال: سألتُ ابن

---

(١) السنن الكبرى، النسائي، (٤/٢٨٦)، حديث ٤٣٣٣.

(٢) أي أنَّ العلماء الأتقياء هم أشد خشية له من غيرهم، وليس الأمر كما ادَّعى بعض جهلة المتصوفة الزنادقة فقالوا ـ والعياذ بالله ـ: «الله يعتذر من العلماء»، فالله تعالى لا يخشى العلماءَ ولا يخافهم ولا يعتذر منهم ولا من غيرهم، تعالى الله عن ذلك.

Dipindai dengan CamScanner

الأعرابي فقال: إذا كان الرجل عالمًا عاملًا معلمًا قيل له: هذا رباني، فإن خرم عن خصلةٍ منها لم نقل له رباني.

قال النووي: «العلماء الربانيون الذين ورثوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم علمًا وعبادةً وأخلاقًا ودعوةً، وهؤلاء هم أولو الأمر حقيقة لأنَّ هؤلاء يباشرون العامة ويباشرون الأمراء ويبيِّنون دين الله ويدعون إليه».

ومع إخلاصهم فهم يتحلَّون بالحكمة فيدعون إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ويرفقون بمن يعلمونهم، قال الحافظ ابن حجرٍ في تعريف العالم الرباني: «الرباني الذي يربي الناسَ بصغار العلم قبل كباره».

وهذه العبارة وردت أيضًا عن الإمام البخاري رضي الله عنه.

فالعالم الرباني حكيم في علمه، يضع العلم في موضعه، ولا يصرف دقيق العلم لمن لا يفهمه، فمثلًا عامَّة الناس يحتاجون إلى حكمة في إيصال العلم الذي يجب أن يتعلموه، فيسهل وييسر العلم الشرعي لهم حتى يتمكن من الوصول إلى العوام من الرجال والنساء والكبار والصغار.

ومن الحكمة أن لا تصدم بعض الناس بما هو أكبر من عقولهم، فقد يؤدي ذلك إلى ردهم وتكذيبهم، وفي الأثر عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: «خاطبوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله».

Dipindai dengan CamScanner

ويقول الفقيه الغزالي في «إحياء علوم الدين»[1]: «كِلْ لكل عبد بمعيار عقله وَزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار».

وكم من إنسانٍ خُطِّئَ وبُدِّعَ وربَّما ضُلِّلَ وهو على حقٍّ، لأنه تكلَّم وسط قومٍ لا تتسع عقولهم لما قال.

ومن الحكمة أن يبدأ بالأهمِّ قبل المهمّ، فيشتغل بالعلوم الضرورية قبل غيرها، ومن ذلك تعليم الناس العقيدة، عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أنَّ الله موجودٌ لا كالموجودات، شيء لا كالأشياء، متصفٌ بصفاتٍ تليقُ بجلاله وعظمته، موجود قبل المخلوقات، وهو مقدسٌ عن صفاتها، لا جسم ولا حجم ولا جثة له، ولا كمية ولا كيفية له، ولا أدوات ولا أعضاء له، ولا زوجة ولا ولد له، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكان ولا جهة. والتحذير من الكفر بأقسامه الثلاثة: القولي والفعلي والاعتقادي، والتحذير من أهل الضلال.

فهؤلاء الربانيون لهم سماتٌ واضحة في تعليمهم منها:

١ ـ أن يكونوا ربانيين حقًّا، أي يربون الناس بالعلمِ، ويراعونَ في ذلك التدرج في التعليم، فلا ينقلون الإنسانَ في طفرات متسارعة تجعله غير منضبطٍ في علمه وتعليمه.

٢ ـ بذل العلم للعامة بسهولة العبارة ووضوحها، لأنَّ المقصودَ ليس التقعر بالقول وإظهار القدرة على الناس، بل المقصود تبليغ السامع الحق مع

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٥٧/١).

Dipindai dengan CamScanner

الإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [سورة إبراهيم].

يقول الشاطبي رحمه الله: وبهذا كان السلفُ الصالحُ يعملون في تبليغ الشريعةِ للمؤالِف والمخالِف، ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكامِ التكليفية على أنهم قصدوا أيسر الطرق وأقربها إلى عقولِ المخاطبين والطالبين من غير ترتيب متكلَّف ولا نظم مؤلف، بل كانوا يرمون الكلام على عواهنه[1] ولا يبالون كيف وقع الكلام في ترتيبه إذا كان سهلَ المأخذ قريب الملمس.

فتراع أيها المدرس التبسيط والتسهيل والتيسير، فالمهم أن يصل الحق إلى الناس ولا يمنع أنَّ الإنسان قد يخصُّ أقوامًا بمزيد من العناية والترتيب والتبويب لأنهم طلبة علم مختصونَ لهم عمق ودقة في البحث أو ما شابه ذلك، ولهذا اختصَّ الخطيب بأهمية تسهيل العلم للناس.

فهذه بعضُ صفات العلماء الربانيين الهداة المهديين، جعلنا الله منهم وأسلكنا سبلهم، إنه كريم وعلى ما نسأله قدير.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وءانِسْهُمْ ومَازِحْهُم أحيانا».

الشرح: فلنقدِّم لهذه الوصيةِ بمقدمة لطيفة مهمةٍ وهي جليلة النفع عظيمة الفائدة.

---

(١) أي أنهم لا يتكلَّفونَ في تنميقِ وترتيب الكلامِ وصرف الوقتِ والجهدِ لذلك من غيرِ حاجة، بل يتكلمون بالحقِّ والصواب بما يفي بالغرض من غير تحريفٍ ولا تبديل.

Dipindai dengan CamScanner

ليعلم أنَّ للأعمالِ ضوابطَ تُضبَط بها حتى تكون موافقة للمشروع، ومتى فقدت هذه الضوابطُ كان ذلك العمل ممنوعًا، وكم من إنسانٍ غفل عن تلكَ الضوابطِ فوقع في الممنوع من حيثُ يشعرُ أو لا يشعر، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**».

ومن تلك الأعمال التي لا بدَّ أن تضبطَ بضوابط الشرع المزاح الذي يكثر في هذه الأزمنة ويقل من يضبطه بضوابط الشرع.

وإنَّ هذه الوصية التي كما قد عُلِمَ تتعلقُ بآدابِ العالم والمتعلم، ومفهوم أنَّ هذه النصيحةَ بالخصوص تندرج تحت كيفية تعامل الشيخِ والعالم مع طلبته وتلاميذه، وبناء على ذلك لنتكلم على المزاحِ بالتفصيلِ ولنحاول استيعاب الموضوع وبيانه بيانًا شافيًا بإذن الله.

معنى المزاح: المزاح مشتقٌّ من الفعل مَزَحَ، قال صاحب القاموس: مزحَ كمنع مزحًا ومزاحة ومزاحًا بضمهما: دعب[1].

فإذًا المزاحُ بالضم هو وسيلة يراد بها المباسطة والملاطفة والمؤانسة بحيث لا يفضي إلى أذى، فإذا بلغ الإيذاء فإنَّهُ يفضي إلى السخرية، والمِزاحُ بكسر الميمِ: مصدر.

ومما يُطلب في المزاح:

١ ـ أن يكونَ على سبيل المباسطة وتطييب الخاطر وإدخال السرورِ على قلب المسلمِ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ**

---

(١) **تاج العروس**، الفيروزابادي، (٢٤١/١).

Dipindai dengan CamScanner

أَخِيكَ صَدَقَةٌ»[1]. وعن عبد الله بن الحارث قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

ومن فوائده: أنه أُنسٌ للمتصاحبين وطرد للوحشة وتأليف للقلوب وتوطيد لعلاقة الأخوة والوفاء.

وفيه أحيانًا تخليص من الخوف والغضب والقلق وغيره.

وفيه أحيانًا تخليص من السآم والملل، وذلك كأن يعطي الشيخ طلابه سؤالًا أو لغزًا كي يذهب الملل عنهم.

ومن مشكاة النبوة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى الرفق، فقد روى البخاري في صحيحه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال[3]: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ[4] يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ».

والرفق هو لين الجانبِ بالقول والفعل والأخذ بالأسهل.

والمزاح الممدوح وما يتبعه من لين القول والتبسم وانشراح الصدر مظهر من مظاهر الرفق.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (٦٦/٥)، حديث ٣١٠٥.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٠١/٥)، حديث ٣٦٤١.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٢٠٠٣/٤)، حديث ٢٥٩٣.

(٤) قال القرطبي: الرفيق هو الكثير الرفق. الكوكب الوهاج، محمد الأمين الهرري، (٣٧٩/٢٤).

Dipindai dengan CamScanner

ففي الحديث: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**»[1]. والنغير طائرٌ كان أخو أنسٍ يلعب به.

وعند الترمذي في سننه[2] عن أنس بن مالك أن رجلًا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ**»، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟**».

وفي الحديث عن جابر بن سمرة أنهم كانوا يتحدثونَ فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم.

وأورد الحافظ البخاري حديثين ذكرهما في باب «السمر في العلم» واستنبط منهما جواز السمر في العلم والقياس على ذلك في المؤانسة مع الأهل وكذلك لتحصيل فائدة مع الإخوانِ والخلان. وكذا إن كانت مصلحة دعوية في بذل نصح وتقريب قلوب وزيادة محبةٍ ومودة وإزالة الكدر.

التوازن مطلبٌ أساس:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش بين الصحابة وفيهم الحازم من أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان رجلًا مهيبًا ومنهم المزاح. والأصلُ هو في إنكار الضحك المتكلف في القهقهة أو الضحك في مواطنِ الجد أو الإفراط.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٣٠/٨)، رقم الحديث ٦١٢٩.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٣٥٧/٤)، حديث ١٩٩١.

Dipindai dengan CamScanner

ولقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم. والإيمان في قلوبهم مثل الجبل.

يقول الحافظ النووي: «المزاح المنهيُّ عنه هو الذي فيه إفراطٌ ويداوم عليه فإنه يورثُ الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار. فأما من سَلِمَ من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله».

Dipindai dengan CamScanner

الضوابط الشرعية في المزاح:

١ ـ أن لا يكونَ فيه شيء من الاستهزاء بالدين فيعد هذا من نواقض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة].

ولقد قيل: من عصى الله وهو يضحك أدخله الله النار وهو يبكي، ومن أطاع الله وهو يبكي أدخله الله الجنة وهو يضحك.

٢ ـ أن لا يكونَ إلا صدقًا لا كذب فيه:

روى الإمام أحمد في مسنده أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»(٢).

٣ ـ أن يتجنب السخرية والاستهزاء بالآخرين: فذلك حرامٌ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحجرات]، والمراد بذلك احتقارهم واستصغارهم والاستهزاء بهم.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٥٥٧)، حديث ٢٣١٥.

(٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/١٣١٣)، حديث ٣٩٧٠.

Dipindai dengan CamScanner

يقول الطبري: «اللمزُ باليد والعين واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان[1]، ويُخْشَى على المستهزئ أن تعود عليه تلك الخصلة التي يسخر من غيره فيها فيتصف بها ويبتلى بفعلها لقوله صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ**»[2].

ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السخرية بالمسلمين فقال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[3].

٤ ـ أن لا يروِّع أخاه، فقد أوردَ أبو داود في سننه[4] أنَّ عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**».

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا**»[5].

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، (٣٢٧/١٦).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٦٢/٤)، حديث ٢٥٠٦.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٨٦/٤)، حديث ٢٥٦٤.

(٤) سنن أبي داود، أبو داود، (٣٠١/٤)، حديث ٥٠٠٤.

(٥) سنن أبي داود، أبو داود، (٣٠١/٤)، حديث ٥٠٠٣.

Dipindai dengan CamScanner

٥ ـ عدمُ الانهماك والاسترسال والمبالغة والإطالة:

ينبغي أن لا يداوم على المزاح، يقول الغزالي: من الغلظ العظيم أن يتخذ المزاح حرفةً، وروي عن عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح فإنه يذهب بالمروءة.

٦ ـ أن ينزل الناس منازلهم:

فإنَّ العالم والمسلم الكبير في السنِّ لهم من المهابة والوقار منزلة خاصة، ولأنَّ المزاح قد يفضي إلى سوء الأدب معهما غالبًا، فينبغي الابتعاد عن المزاح معهما خشية الإخلال بتوجيه النبيِّ صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**»[1].

ونقل طاوس عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: من السنة أن يوقَّر العالم، وإذا مازحك شيخك فإنَّما ذلك من بابِ المباسطة فلا تتجرأن عليه، ولا تتخذ ذلك سبيلًا لقلة الأدب معه، وليكن ذلك حافزًا لك على الجد والاجتهاد والعمل بلا كسل ولا توانٍ.

٧ ـ أن لا يكون مع السفهاء، فقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال لابنه: اقتصر في مزاحك فإنَّ الإفراطَ فيه يذهب البهاء ويجرِّئ عليك السفهاء.

٨ ـ أن لا يكون فيه غيبة، فإنَّ الغيبة ومثلها النميمة كلتاهما تَصُبَّانِ في مستنقع الفتنة، ولا يخلو من كثر مزاحه في الغالب من هذه الآفة لأنَّ من كثر كلامه كثر سقطه، وقد لا يشعر أنه وقع في الإثم أصلًا، والبعض قد يقول:

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٦١)، حديث ٤٨٤٣.

Dipindai dengan CamScanner

أنا أمزح، لا أقصد، فهذا لم يَعِ تعريف النبي صلى الله عليه وسلم للغيبة بقوله: «ذكرك أخاك بما يكره».

وقد أورد الترمذي في سننه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ ءادَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ[1] اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[2].

فبعد هذا كلِّهِ يتضح لكَ تعريف المزاحِ ومتى يكون مذمومًا، ومتى يكون ممدوحًا. فالشيخ والعالمُ والمربي إذا مازحَ طلابه فإنَّما ذلك لإيناسهم وليبعد عنهم مللًا إن كان، وقد يكرره العالم بين الفينة والفينة إذا رأى حاجةً إلى ذلك، وهذا مما يساعدُ الطالبَ على الاستمرارِ في تحصيل العلم ويحفز له همته، فإنَّ من جملة الأمور التي بها ينال العلم صحبة أستاذ. وهنا ننبه أنَّ صحبة الأكابر ينبغي أن تكونَ على وجهها لئلا يحرم الإنسان بركتهم، فافهم وتنبه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وحادِثْهُم، فإنَّها تجلُبُ المَوَدَّةَ وتستديمُ به مواظبةَ العلمِ».

الشرح: مما ينبغي الاعتناء بهِ مجالسة أهل العلم والطلبة والإخوة والأصدقاء بقصد مذاكرة العلم معهم واستحضار ما مضى من الدروس

---

(١) قال الشمس العلقمي: أي تذل وتخضع له، والتكفير هو أن ينحني ويطأطئ رأسه قريبًا من الركوع. وفي نسخة: «تُفَكِّر».

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٦٠٥)، حديث ٢٤٠٧.

Dipindai dengan CamScanner

والفوائد والمباحثة لتمكينِ المسائلِ والعملِ بأحكامها. فإنَّ ذلكَ من أسباب ترسيخ العلم في نفسِ متلقيه إن كان شيخًا أو طالبًا.

ومن فوائد هذه المحادثة والمجالسة أنها مراجعة للعلم وتذكير بالعمل وتقوية للحفظِ وكذلك مؤانسة الإخوة والترويحِ عنهم بشيءٍ من المواعظِ وأخبارِ الصالحين وسيرة النبيين للاقتداء بهم والتمسك بهديهم والثباتِ على نهجهم، فقد قال الله تعالى لنبيِّه المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الذاريات].

ومن فوائد هذه المجالس ملءُ الوقتِ بالنافعِ والمفيد وشغلُ الناسِ بالعلم والاستعدادِ للآخرةِ وتنشيط النفوسِ للاستزادة من الخيرات وتعويدٌ للإخوة والأحبة على ما ينفعهم من المجالس العامرةِ بالطاعات والخيراتِ ولئلا يشتغل البعض بسبب الفراغ الذي عنده بالغيبة أو النميمة أو إساءة الظن بالمسلمين، ولئلا ينحرف بسبب الفراغِ الذي عنده إلى مصاحبة الفسقة والفجرة والمخنثين والجهلة، فإنَّ من الناسِ من يجره الفراغُ إلى الهلاك، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»[1]، فالفراغ إن لم تشغله بما يعود عليكَ بالنجاح في الدنيا والسعادة في الآخرة قد تنساق بسببه إلى ما لا تحمد عقباه، والعاقل الذكيُّ هو الذي يجعل لكلِّ وقت عملًا ليرى بركة وثمرة هذا الوقت والعمل. وكما قال العلماء قديمًا: الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك. والوقت أغلى من الذهب، إن لم تغتنمه في الخيرِ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٨/٨٨)، حديث ٦٤١٢.

Dipindai dengan CamScanner

عليك ذهب. ومن فوائد هذه المحادثةِ والمجالسة بين الإخوة والأحبة والطلبة والدعاة أنها تزيد الألفة والمودة والمحبة والترابط، وهذه من أسبابِ الوحدة والقوة والاجتماع.

فينتج عن ذلك عملٌ أكثر وقوةٌ للدين وهيبة للمسلمين، وإغاظة لشياطين الإنس والجن باجتماع المؤمنين على ما يحبه الله ويرضاه.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأطعِمْهُم أحيانًا».

الشرح: لماذا قد يوصي الإمام بالإطعام؟ ولمَ؟ وماذا في إطعام الطعام وما الذي يزرعه المربي في نفوس طلبته إذا أطعمهم؟ وبيان الجواب مذكورٌ في طيَّات بحثنا المختصرِ عن إطعام الطعامِ.

نقول: إنَّ من الصفاتِ الكريمة التي ندبَ إليها ديننا الحنيفُ إطعام الطعامِ، فقد أمر الله تعالى بذلك في ءاياتٍ منها: قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الحج].

Dipindai dengan CamScanner

ومن هدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه بذلكَ لا سيما إذا رأى أهل الفاقة، كما في حديث مسلمٍ[1] عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى ءاخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء]، والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ۝١٨﴾ [سورة الحشر] «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ** - حَتَّى قَالَ - **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

وإطعام الطعامِ كان معروفًا في الجاهلية، فعن مسلمٍ عن السيدة عائشةَ رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**». وهذا دليلٌ على أنَّ شرط قبول الأعمال الصالحة الإسلام[2].

ونبيُّ الله صلى الله عليه وسلم في قصة بدء الوحيِ لما رجع إلى السيدة خديجةَ رضي الله عنها قالت له: «كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٧٠٤)، حديث ١٠١٧.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١/١٩٦)، حديث ٣٦٥.

Dipindai dengan CamScanner

إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

فما هي فضائلُ إطعام الطعام؟

ـ **إطعام الطعام من خير الأعمال**: فعن عبد الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنه أنَّ رجلًا سألَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي[2] الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ**[4] **إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»[5].

ـ **فاعل ذلك من خير الناس**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَرَدَّ السَّلَامَ**»[6].

ـ **فيه أجرٌ عظيم**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[7]: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ ءادَمَ مَرِضْتُ**

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٧٣/٦)، حديث ٤٩٥٣.

(٢) أي خصال الإسلام، أي هذا من أفضل وخير خصال الإسلام، وإلا فالإسلام كله خير.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١٢/١)، حديث ١٢.

(٤) أي من أحبِّها إلى الله عزَّ وجلّ.

(٥) المعجم الصغير، الطبراني، (١٠٦/٢)، حديث ٨٦١.

(٦) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٤٨/٣٩)، حديث ٢٣٩٢٦.

(٧) صحيح مسلم، مسلم، (١٩٩٠/٤)، حديث ٢٥٦٩.

Dipindai dengan CamScanner

فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟، يَا ابْنَ ءادَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»، أي لوجدت الثواب.

وفي سنن الترمذي[1] عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟»، قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»، وقد تقدم.

- **النجاة من أهوال يوم القيامة**: قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [سورة الإنسان].

- **سبب للنجاة من النار**: فلقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[2].

- **من أسباب دخول الجنة**: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[3].

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٤٤/٤)، حديث ٢٤٧٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٠٩/٢)، حديث ١٤١٧.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٢٨٧/٤)، حديث ١٨٥٥.

Dipindai dengan CamScanner

وعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، علمني عملًا يدخلني الجنة، فقال: «إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ»[1].

وفي سنن الترمذي[2] قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»، وقد تقدم.

وفي صحيح مسلم[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقد تقدم.

فإذا سألتَ ماذا نُطعم؟

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٠/٦٠٠)، حديث ١٨٦٤٧.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٦٧٣)، حديث ٢٥٢٧.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٧١٣)، حديث ١٠٢٨.

Dipindai dengan CamScanner

الجواب: كلّ ما يؤكل ويُنتفع به من حلال، ومن إطعام الطعام سقي الماء، فالماء طعامٌ لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴿٢٤٩﴾﴾ [سورة البقرة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَيْسَ صَدَقَةٌ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ مَاءٍ**»(١).

وعن أنسٍ أنَّ سعدًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت، ولم توص، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «**نَعَمْ، وَعَلَيْكَ بِالْمَاءِ**»(٢).

وتأمَّل هذه القصة التي أوردها المنذري في «الترغيب والترهيب»(٣): «قال البيهقي: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله رحمه الله فإنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب وبقي فيه قريبا من سنة فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة فدعا له وأكثر الناس التأمين، فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة فرأت في منامها رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول لها:

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (٦٧/٥)، حديث ٣١٠٦.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، (٩١/٨)، حديث ٨٠٦١.

(٣) الترغيب والترهيب، المنذري، (٤٢/٢).

Dipindai dengan CamScanner

قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين فجئت بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بنيت على باب داره، وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح[1] الجمد في الماء وأخذ الناس في الشرب، فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين».

ومن نطعم؟

تعاهد جيرانكَ، فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»[2].

وعند الطبراني[3] قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا ءامَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**». أي من كمال الإيمانِ إطعام الجارِ، وليس معناه أن من لم يفعل ذلك يكون كافرًا.

وحضَّنا ديننا على إطعام المسكين، ومن أطعمَ صائمًا ففطره فله أجر شبيه بأجره، والمراد أجرٌ عظيم وإلا فثواب الصائم أعلى.

وبالجملة ففي كلِّ كبدٍ رطبة أجر. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أنزع في حوضي،

---

(١) قال الرازي: «(الْجَمْدُ) بِوَزْنِ الْفَلْسِ مَا جَمَدَ مِنَ الْمَاءِ وَهُوَ ضِدُّ الذَّوْبِ». **مختار الصحاح**، الرازي، (ص٦٠).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٤/٢٠٢٥)، حديث ٢٦٢٥.

(٣) **المعجم الكبير**، الطبراني، (١/٢٥٩)، حديث ٧٥١.

Dipindai dengan CamScanner

حتى إذا ملأته لأهلي، ورد علي البعير لغيري فسقيته، فهل لي في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ**»[1].

وعند البخاري[2] ومسلم[3] أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ[4] يَلْهَثُ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ**».

وبعد هذا كلِّه يُعلم لمَ حضَّ الإمام تلميذه يوسف على إطعام الطعام، فإنَّ لذلك أثرًا بالغًا في تربية النفوس.

فائدة لطيفة: أحيانًا قد يكون إطعام الطعام أفضل من مجرد الصيامِ كأن كان في هذا الإطعامِ إنقاذًا للمسلمِ الجائعِ من الموت. كما يجوزُ للمسلمِ أن يفطر أو أن يترك الصلاة المفروضة إن كان لإنقاذ مسلمٍ من الغرق، ولا يتحقق الإنقاذ إلا بترك ما ذكر.

ويشترط لحصول هذا الأجر والثواب أن يكونَ المطعِمُ مؤمنًا مخلصًا يطعم طعامًا حلالًا، وأما إن كان كافرًا فلا أجر له، أو كان مرائيًا أو كان من حرام فلا ثواب له.

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، (٦٤٧/١١)، حديث ٧٠٧٥.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٣٠/٤)، حديث ٣٣٢١.

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، (١٧٦١/٤)، حديث ٢٢٤٥.

(٤) أي بئر.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واقضِ حوائجَهُم».

الشرح: إن الكلام عن فضل قضاء حوائج المسلمين تسطر فيه الكتب والمجلدات، وقد مرَّ الكلام على فضل ذلك في طيات هذه الوصية واستفضنا هناك، ولكن تكرار الإمام لها يدل على أهميتها، ونحن بالتالي سنخوض في الحديث عنها، ولكن هذه المرة عبر أقوال السلف:

١- قال حكيم بن حزام رضي الله عنه ـ وهو صحابيٌّ جليلٌ ممن ولد في الكعبة ـ: «ما أصبحت وليس ببالي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها».

٢- قال عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه ـ وهو من أفقه وأجل التابعين الذي قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من عطاء ـ: «تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم».

٣- جاء رجل إلى الحسن بن سهل رحمه الله يستشفع به في حاجةٍ فقضاها، فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة. كما يقال: زكاة العلم إخراجه للناس أو زكاة العلم أن يعلم.

٤- قال عبيد الله بن العباس رضي الله عنهما لابن أخيه: «إن من أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك».

Dipindai dengan CamScanner

٥- قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما: «ليس الجواد الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذي يبتدئ لأن ما يبذله إليك من وجهه أشد عليه مما يعطى عليه»[1].

٦- قال طاوس بن كيسان رحمه الله: «إذا أنعم الله على عبده نعمة ثم جعل إليه حوائج الناس، فإن احتمل وصبر وإلا عرض تلك النعمة للزوال».

٧- قال محمد بن واسع رحمه الله ـ وهو من الأئمة المجتهدين كالشافعي رضي الله عنهما ـ: «ما رددت أحدًا عن حاجةٍ أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي».

٨- قال محمد بن المنكدر رحمه الله: «لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان».

٩- قال عثمان بن واقد العمري: «قيل لمحمد بن المنكدر: أيُّ الدنيا أعجب إليك؟ قال إدخال السرور على المؤمن».

وهذا غيضٌ من فيضٍ، فكيف بمن جهز نفسه وأعد العدة لطلب العلم؟! فهذا إمام أهل السنة والجماعة أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه يوصي تلميذه بقضاء حوائج تلاميذه وطلاب العلم والمسلمين لما في ذلك من الأثر الطيب الذي يزرع في قلب المحتاج، وبذلك تكتسب أيها الشيخ، أيها المعلم، أيها المدرس، أيها الداعية المودةَ والودَّ، وهذا طريق ومفتاح لقلوب الناس.

---

(١) مراده أن الكمال في الجود الابتداء قبل المسألة.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعرِفْ مقدارَهم».

الشرح: نكمل في شرحنا لهذه الوصية العظيمة النفعِ، فأنتَ ترى أيها القارئ كيف أنَّ كلّ وصية منها ءاخذ بعضها بحجزِ بعض، وقد بلغ الكلامُ ووصل إلى قوله رضي الله عنه: «واعرف مقدارهم» وهي في الجملة تندرجُ تحت إنزال الناسِ منازلهم. وقد تكلم الإمام هذا في أكثر من وصية، فكرَّر وأعادَ فأفهمَ وبيَّن. وها أوان الشروعِ في الشرح، فنقول وعلى الله التكلان:

قبساتٌ وهمسات، نفحات ولفحات، في زمنٍ زاد فيه دبيب البغضاء مدارها شوائبُ تكدِّر الصفاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة المجادلة].

وعن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»(١). وذكر مسلمٌ تعليقًا في أول صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم(٢).

خصلة حميدة لمن أخذ بحقها فهي لم تزل سببًا عظيمًا من أسباب تأليف القلوب ومظهرًا جليًّا من مظاهر المعاملة الحسنة للناس بما يناسبُ أحوالهم ومنازلهم.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٦١)، حديث ٤٨٤٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١/٦).

Dipindai dengan CamScanner

إنَّ المتأمل لحال كثيرٍ من المسلمين اليومَ يلحظُ تقصيرًا بيِّنًا وواضحًا في جانبٍ مهمٍّ من جوانب الحياةِ وهو جانب الأدبِ والاحترام والتقدير والإكرامِ وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه لكلِّ من جعلَ له الإسلام منزلة.

إنَّ إنزال الناسِ منازلهم مطلبٌ دينيٌّ وخلقٌ نبويٌّ قلَّ من اتصفَ به، وممن يشار إليهم بالبنانِ ويشاد لهم باللسانِ، ورثة الأنبياءِ وهم العلماء الذين لهم التقدير والاحترام. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[1]، أي يدعون له.

وممن لهم الاحترام والتلطفُ كبار السنِّ، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ**»[2].

وممن هو جديرٌ بالرحمة والتقدير المسلم التقيُّ ولو كان فقيرًا، وقد ثبت في صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[3].

وممن هو جديرٌ بذلك أيضًا كلُّ من له يدٌ بيضاءُ في الخير وإنفاقه، فها هو صلى الله عليه وسلم ينزل عثمان بن عفان رضي الله عنه منزلةً تليق به، يقول عبد الرحمن بن سمرة: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء بألف دينار

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٥/٥٠)، حديث ٢٦٨٥.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٧٢)، حديث ٢٠٢٢.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٢٤)، حديث ٢٦٢٢.

Dipindai dengan CamScanner

فصبَّها في حجر النبيِّ صلى الله عليه وسلم حين جهَّز جيش العسرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ، مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ»[1].

وقد مرَّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ». قال المناوي: أي احفظوا حرمة كلِّ واحدٍ على قدره وعاملوه بما يلائم حاله في عمر ودين وعلم وشرف.

وهذا التوجيه النبويُّ الكريمُ يرجع إلى أمور عظيمةٍ منها: الحكمةُ والعدلُ، فالحكمة وضع الشيء في موضعه وتنزيله منزلته.

والعدلُ إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا يسوَّى الجاهل بالعالم، ولا الفاجرُ بالتقي الصالح.

ولهذا اعتمد أهل الحديثِ في الحكم على الرواة بنحو هذا الحديثِ، فحكموا على الرواة بناء على هذا الأصلِ، فميَّزوا الضعيفَ من الثقة، وميَّزوا الحافظ من غيره، وجعلوهم على مراتبَ حسب درجة إتقانهم وضبطهم، وفي هذا إنزالٌ لكلٍّ من الرواةِ منزلته. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [سورة الأنعام].

ويناسب هذا ذكر تفضيل من فضَّلهم الله، فأفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٢٦/٥)، حديث ٣٧٠١.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وتَغَافلْ عن زلَّاتِهم».

الشرح: يكرِّسُ لنا الإمام قاعدةً: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك. وهذه وصية جديدة فيها الحث على التغافل عن أخطاء الآخرين وهذا في موضعه من الشيم.

يقول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ﴾ [سورة يوسف]، مع أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يحصل منه في صغره ما هو حقيقة السرقة بل للمفسرين في ذلك أقوال عديدة منها أنه أخذ صنمًا خفية لبعض أجداده من جهة أمه لئلا يعبد من دون الله، وهو بذلك لا يكون سارقًا حقيقة بل يُمدح ويشكر على ذلك، ومع ذلك صبر على مقولة إخوته في ذلك ولم ينتقم منهم. والمراد بإخوته من سوى بنيامين.

وروى الإمام أحمد[1] والترمذي[2] وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**». وليس معنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم يحكم على صحابي بقولِ من لا يثبت خبره، ولا

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٦/٣٠٢)، حديث ٣٧٥٩.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٥/٧١٠)، حديث ٣٨٩٦.

Dipindai dengan CamScanner

يعني أنه يسيء الظن بهم لأنه صلى الله عليه وسلم أبعد خلق الله عما يخالف دين الله، بل هو حث وحض على سلامة الصدر وصفاء السريرة وتحسين الظن.

أخي القارئ، هناك خلقٌ منسيٌّ عند كثيرٍ منَّا، وهذا ما يشير إليه الإمام رحمه الله رغم أنه خُلقٌ مريحٌ مسعد. وقد أوصانا الله به وحثنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لفوائده الكثيرة وخاصةً في هذا الزمان الذي كثر فيه السؤال والقيل والقال، وكثر فيه البحث عما يخفيه الغير.

إنه خلق التغافل. فما التغافل؟ وكيف نحققه في حياتنا؟

التغافل معناه تعمد الغفلة، أي أن يُرِيَ الآخر أنه غافل مع علمه التام وإحاطته بما هو متغافل عنه ترفعًا عن الدنيا وسفاسف الأمور.

يقول الحسن البصري رحمه الله: «ما زال التغافل من فعل الكرام»، إذ به تبنى العلاقات وتنمو المحبات وتزدهر.

وجاء في لامية ابن الوردي:

وَتَـغـافَـلْ عـن أمـورٍ إنَّـهُ لَم يَـفُـزْ بالحـمـدِ إلَّا مَـن غـفَـلْ

فالتغافل في موضعه دليلٌ قويٌّ على حسن خلق صاحبه كما روي عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل».

وهنا تنبيه: ليس التغافل عن الزلات دليلًا على غباء صاحبه أو سذاجته بل هو من العقل والحكمة. فقد قال الشافعي رضي الله عنه: «الكيّس العاقل هو الفطن المتغافل»؛ فإذًا يلوح الفرق بين أن نقصد الغفلة وبين الغباء، فالأول في موضعه ممدوح محمود والثاني مذموم.

Dipindai dengan CamScanner

وكما قال القائل:

لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قومِهِ ... لَكِنَّ سَيدَ قومه المُتَغَابِي

أي الذي يتغافل فيظن به الغباء.

أيها المسلمون، إنَّ من أعظم فوائد التغافل أن المتغافل يُكسِب صاحبه راحة في نفسه، ولقد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالًا عظيمًا على ذلك كما في صحيح البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن المشركين كانوا يسبُّونَ النبي صلى الله عليه وسلم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «**أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»، مع أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم إنما قصدوه.

ولقد قال القائل:

وَلقد أَمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّنِي ... فَمَضَيت ثُمَّتَ قلت لا يعنيني

وأما الَّذي يقف عند كلِّ كلمةٍ ويرد على كل خطأٍ ويحاسب على كل صغيرة وكبيرة فهو على شفا حفرة من تنغص عيشته؛ فكم من مشاكل وقعت في المجتمع كان سببها عدم التغافل؟ وكم وقع بين الزوجين أو بين الأقارب والأصحاب من مشاكل كان سببها تتبع الأخطاء والبحث عن الأخطاء، ولو أنهم رزقوا التغافل لزال عنهم نكدٌ كبيرٌ كما قال الأعمش رحمه الله: «التغافل يطفئ شرًّا كثيرًا».

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٨٥/٤)، حديث ٣٥٣٣.

Dipindai dengan CamScanner

وهنا فائدتان: ليس معنى التغافل ترك النصيحة والتنبيه على المخالفات للشرع، فقد جاء في الحديث عن تميم الداري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[1]، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

والفائدة الثانية: هل يكون التغافل مع المفسدين المتلونين المصرين المستمرين على الفساد والإفساد؟ لا، بل يزيدهم ذلك أحيانًا انقلابًا وفسادًا وتشجيعًا على الإفساد، فافهم رحمك الله.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وارفقْ بِهم».

الشرح: إن المتأمل في كلام الإمام لتلميذه يدرك بعد إمعان النظر وقراءته للوصايا وصية بعد أخرى حرص الإمام على مراقبة العالم لأفعاله وأن يحسنها فإنه مِرءاة. ويرى من خلال تكرار بعض الوصايا تأكيد الإمام وحرصه عليها. وهذه الوصية في الرفق قد بسطنا الكلام قبل عليها لكننا هنا نعرض بعض الأحاديث التي وردت في ذلك لتكون تشجيعًا للمسلم على الالتزام بالرفق والتخلق به:

١- روى البخاري[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٧٤/١)، حديث ٩٥.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٦/٩)، حديث ٦٩٢٧.

Dipindai dengan CamScanner

٢- وفي صحيح مسلم[١]: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ».

٣- روى الترمذي[٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ».

٤- عن ابن عدي أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**يا عائشة من حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة**». قال المناوي: «إذ بالرفق تنال المطالب الأخروية والدنيوية، وبفوته يفوتان».

٥- روى مسلم[٣] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**». والمعنى أنَّ الله تعالى لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فلم يكلِّفهم فوق طاقتهم وإن كان جائزًا، ولو أراد لكلَّفهم بذلك.

٦- وفي الترغيب[٤] للمنذري: «**إن الله عز وَجل يحب الرِّفْق ويرضاه ويعين عَلَيْهِ مَا لَا يعين على العنف**».

٧- وعند مسلم[٥]: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٠٣)، حديث ٢٥٩٢.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٦٧)، حديث ٢٠١٣.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٠٣)، حديث ٢٥٩٣.

(٤) الترغيب، المنذري، (٣/٢٧٩)، حديث ٤٠٥٢.

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٠٤)، حديث ٢٥٩٤.

Dipindai dengan CamScanner

٨- وفي الشعب[١] للبيهقي: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ فِي الْمَعَاشِ».

٩- وعند المنذري[٢]: «إن الله عز وَجل ليعطي على الرِّفْق مَا لَا يُعْطي على الْخرق وَإِذا أحب الله عبدًا أعطَاهُ الرِّفْق مَا من أهل بَيت يحرمُونَ الرِّفْق إِلَّا حرمُوا». قال المناوي: «والمراد إذا أراد الله بأحدٍ خيرًا رزقه ما يستعين به مدة حياته ووفقه في الأمور ولينه في تصرفه».

١٠- وعن أبي هريرة أنّ أعرابيًّا بال في المسجد، فثار إليه النّاس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٣]. فهذه قاعدةٌ عظيمةُ النفع كثيرةُ الفوائد أخذها العلماء من هذا الحديث فقالوا: إذا تعيَّنَ الوقوع في إحدى المفسدتين عدل إلى ارتكاب أخفهما ضررًا؛ لأن هذا الأعرابي لو أخرج حال خروج البول منه لتوسعت بقعة النجاسة في المسجد ولعمت وانتشرت فنهاهم الرسول عن إخراجه في هذه الحال لئلا يحصل ما هو أشد ضررًا من توسع بقعة النجاسة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وبحكمة الرسول بقيت النجاسة في بقعة صغيرة ضيقة ثم أمرهم بصب الدلو الكبير من الماء على تلك البقعة. وبهذا يطهر المكان وتذهب النجاسة في جوف الأرض. فما أعظم هذه القاعدة وكم تنجي من مهالك لمن عمل بها.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، (٤٩٧/٨)، حديث ٦١٤٠.

(٢) الترغيب والترهيب، المنذري، (٢٧٨/٣)، حديث ٤٠٥٠.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٣٠/٨)، حديث ٦١٢٨.

Dipindai dengan CamScanner

وتحكي السيدة عائشة رضي الله عنها عن رفق الرسول صلى الله عليه وسلم فتقول[1]: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا». وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا**»[2].

ونختم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[3]. فالمسلم برفقه ولينه يصير بعيدًا عن النار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**عَلَى كل هين لين قريب سهل**» [4]. وهذه الصفات هي من صفات المؤمن الكامل، فالأصل الإسلام، ولو اجتمعت هذه الصفات في غير المسلم ومات على غير الإسلام فالجنة عليه حرام وهو حطب جهنم.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٨٩/٤)، حديث ٣٥٦٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٢٥/١)، حديث ٦٩.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (١٤٥٨/٣)، حديث ١٨٢٨.

(٤) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢١٦/٢)، حديث ٤٧٠.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وسَامِحْهُم».

الشرح: لو تأمل الواحد منا كم مرةً يحث الإمام على هذا؛ وكم مرةً أعادها وكررها بعباراتٍ مختلفةٍ وجملٍ متنوعةٍ، فإنَّها كلَّها تندرج تحت عنوان واحد ألا وهو: حسن الخلق. ومراده من هذا العفو والتجاوز عن الزلات والأخطاء، وهو الموصل إلى حسن الخلق.

وإن رمت السؤال عن تعريف حسن الخلق قلنا لك: إن حسن الخلق كما فسره أحد الصالحين: هو تحمل الأذى وبذل المعروف وكف الأذى، أي أن يعمل المسلم المعروف مع الناس في خطابه لهم ومعاملته لهم، أي يوطِّن نفسه أن يعمل المعروف مع الناس سواء عرفوا له ذلك المعروف أم لا، فيعم بخيره الجميع. وتقوى الله تعالى بأداء الواجبات واجتناب المحرمات تساعد على ذلك لأن المعاصي سبب لقسوة القلب. وقال بعضهم: «إن أبعد الناس من رحمة الله هو صاحب القلب القاسي».

تنبيه مهم: إذا قيل: الكافر بعيد من الله أو المسلم الفاسق بعيد من الله، فالمراد به البعد المعنوي لا البعد الحسي أو المكاني لأن الله موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهةٍ ولا مكانٍ، على أنه لا مناسبة بين المسلم الفاسق والكافر؛ فالكافر إن مات على كفره مخلدٌ في جهنم، والمسلم الفاسق إن مات بلا توبةٍ وعذبه الله وأدخله النار فإنه لا يخلد فيها، بل مصيره ومآله إلى الجنة.

Dipindai dengan CamScanner

قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»[3].

فخيار الناس هم الذين تعلَّمُوا الشرع وطبقوه وحسنت أخلاقهم، وحسن الخلق من سموّ الأحوال، ويرفع درجات المؤمن عند الله، قال صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[4].

وهنا تنبيه وفائدة: إطلاق القول بـ «اعف عنهم أو سامحهم أو اغفر لهم» للمخلوق ليس على اعتبار مغفرة الذنوب، فالمسلم لا يصرف هذه الأمور وهي اعتقادُ مغفرة الذنوب، والخلقُ بمعنى الإبراز من العدم إلى الوجود، واعتقادُ التحليل والتحريم إلا لله، وإلا لصار مشركًا، فالله هو الشارع على الحقيقة، أي هو الذي يفرض ما شاء ويحرم ما شاء، يوجب ما شاء، يفعل ما يريد ويحكم بما يشاء، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو الشارع مجازًا أي هو الذي بيَّن لنا الأحكام التي أنزلها الله وليس هو الشارع على الحقيقة، فالنبوة سفارة بين الحق سبحانه وبين العباد.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٥٥)، حديث ١٩٨٧.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٦٣)، حديث ٢٠٠٤.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٨/١٣)، حديث ٦٠٣٥.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، (٣/٤٥٨)، حديث ١١٦٢.

Dipindai dengan CamScanner

ويجوز أن يتعبد أي يأمر اللهُ سبحانه نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم بوضع الشرع فيقول: افرض وسُنَّ ما ترى أنه مصلحة للخلق خلافًا لأكثر القدرية، لأنه ليس في تجويز ذلك إحالةٌ أي ما يحيله العقل، ولا إفسادٌ، فوجب أن يكون جائزًا بدليلِ حديث الشيخين[1]: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ**». معناه ـ والله أعلم ـ أن الله قد خيَّر نبيَّه صلى الله عليه وسلم بين أن يفرض على أمته السواك عند الصلاة وعدم ذلك فاختار صلى الله عليه وسلم ألا يفرض ذلك، فدلَّ شاهدُ الوجود على صحة ما قلناه والله أعلم بالصواب.

فائدة في بيان شروط التوبة:

١- توبة الكافر المرتد تكون بالرجوع إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين مع ترك ما هو سبب الردة أي الأمر الذي حصلت به الردة وكذا توبة الكافر الأصلي. وهذا إجماع لا خلاف فيه بين علماء الأمة الإسلامية، ودليله من قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة محمد]، فهذا دليلٌ على تقدم الأصل على الفرع. ومن الحديث المتواتر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**». والإجماع الذي نقله الحافظ الإمام أبو بكر بن المنذر في كتابيه

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٤/٢)، حديث ٨٨٧.

Dipindai dengan CamScanner

«الإشراف» و«الإجماع»، فلا نقول لمن كفر قُل: أستغفر الله، بل نقول له: قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأما استحضار الندم والعزم حين التلفظ بالشهادتين فليس شرطًا لصحة الرجوع إلى الإسلام، إنما هو من كمال التوبة، فالشرط أن لا يعزم على الكفر في المستقبل ولا يتردد في ذلك فإنه إن نوى أن يعود إلى الكفر فلا تنفعه الشهادة لأن العزم على الكفر في المستقبل كفر في الحال. فلو لم يخطر بباله أنه لا يعود إلى الكفر بعد هذا ولا نوى الرجوع إلى الكفر ولا تردد في ذلك ولا استحضر الندم إنما ترك الشيء الذي هو ردة وتشهد صح إسلامه، لكن يبقى عليه شرطان واجبان لكمال التوبة أحدهما الندم والشرط الثاني العزم على أن لا يعود للكفر، هذان واجبان لكن ليسا شرطا لصحة الرجوع إلى الإسلام.

٢- **توبة العاصي**: تكون بالندم أسفًا على عدم رعاية حقِّ الله، وبالإقلاع عن الذَّنبِ في الحال والعزم على أن لا يعود إلى الذنب. وأما التوبة من المعصية التي حصلت بترك فرض أو تبعة يزاد فيها قضاء ذلك الفرض، فإن كان المتروك صلاة قضاها فورًا، وإن كان ترك نحو زكاة مع الإمكان فتتوقف صحة التوبة على إيصالها لمستحقيها، وإن كانت المعصية تبعة لآدمي ردَّ تلك المظلمة فيرد عين المال المغصوب إن كان باقيًا وإلا فبدله.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُبدِ لأحدٍ منهم ضيقَ صدرٍ أو ضَجَرًا».

الشرح: تدور هذه الوصية حول أمرين جليلين لطالما عَبَّر عنهما الإمام بعناوين مختلفةٍ وعباراتٍ ونصائحَ متنوعة، ألا وهما:

١- كظم الغيظ.

٢- ضبط النفس أو ما يعرف بالحلم.

وكلاهما يشملهما موضوع الوصية، وهو علاقة العالم بغيره.

ولْنَخُضْ مضمار الكلام بشرح هذه الوصية المفيدة، ولنمشِ على ترتيبٍ يُظهر للقارئ العزيز تماسك هذه الوصية بموضوعها ومضمونها، ناهيك عن مدى ارتباطها الوثيق بالوصايا التي سبقتها.

أولا: في كظم الغيظ:

أصل مادة (كظم) يدلُّ على معنًى واحدٍ وهو الإمساك والجمع للشيء.

وفي اللغة يقال: كظم غيظه إذا تجرعه واحتمل سببه وصبر عليه وسكت عليه ولم يظهره بقولٍ أو فعلٍ مع قدرته على إيقاعه بعدوه.

وفي الاصطلاح قال ابن عطية: كظم الغيظ: رده في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرته فضبطه ومنعه. وقال أيضا: الغيظ أصل الغضب، وكثيرًا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس تحرير الأمر كذلك، بل الغيظ فعل النفس لا يظهر على الجوارح والغضب حال لها معه

Dipindai dengan CamScanner

ظهور في الجوارح وفعلٌ ما[1]، إذ هو عبارةٌ عن أفعاله في المغضوب عليهم ولا يسند إليه تعالى غيظٌ.

ثانيا: الترغيب في كظم الغيظ:

قد مَرَّ أدلةٌ كثيرةٌ في هذا فليرجع إليها من شاء، ونورد هنا بعضها أو زيادة عليها للفائدة:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ١٣٤﴾ [سورة ءال عمران].

قال ابن عاشور: الكاظمين الغيظ؛ وكظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه وهو مأخوذ من كظم القِرْبَة إذا ملأها وأمسك فمها، قال المبرد: فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء.

قال الطّيبيُّ: وإنما حمد الكظم لأنه قهرٌ للنفس الأمَّارة بالسوء، ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ١٣٤﴾ [سورة ءال عمران]. ومن نهى النفس عن هواه فإنَّ الجنَّة مأواه والحور العين جزاؤه.

وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ، فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه.

---

(١) أما ما ورد في القرءان أو السنة الصحيحة من نسبة الغضب إلى الله تعالى فهو محمولٌ ومفسَّرٌ عند بعض أهل السنة والجماعة على إرادة الانتقام، إذ الله منزه عن التأثر والانفعالات النفسانية وكل ما كان من معاني المحدثين المخلوقين.

Dipindai dengan CamScanner

ويروى عن بعض السلف أنه قال: «من خاف الله لم يشفِ غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد» أي أنه يخالف هوى نفسه ولا يعطيها ما تريد لأنه إن اتبعها وأعطاها ما تأمره به أوصلته إلى النار، فإحياؤها وإكرامها بإماتتها ومخالفتها. ومن لا يخالف هواه لا يترقى. فمن كظم غيظه ورد غضبه أخزى شيطانه وسلمت مروءته ودينه.

والكظم يدفع محذور الندم كالماء يطفئ حر الضرم، ولقد قيل: كظم يتردد في حلقي أحب إلي من نقص أجده في خُلُقي.

وقال الغزالي[1]: «كَظْم الغَيْظ عبارة عن التَّحلُّم، أي: تكلُّف الحِلْم، ولا يحتاج إلى كَظْم الغَيْظ إلَّا من هاج غَيْظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدةٍ شديدةٍ، ولكن إذا تعوَّد ذلك مدَّةً، صار ذلك اعتيادًا، فلا يهيج الغَيْظ، وإنْ هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ، وهو الحِلْم الطَّبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوَّة الغَضَب، وخضوعها للعقل».

ثالثا: كيفية ضبط النفس عند الغضب:

١- استحضار أن الله هو المدبر لكل شيء بتدبيره الأزلي، وأنه يراك ومُطَّلِع عليك، فاسعَ إلى مرضاته والتقرب إليه بالطاعة.

٢- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (١٧٦/٣).

Dipindai dengan CamScanner

٣- إذا كنت قائمًا فاجلس، أو قاعدًا فاضطجع أو غادر المجلس، فإنه أبعد عن تنفيذ ما يورثه الغضب في نفسك.

٤- الوضوء، فإنَّ الغضب من الشيطان وهو خُلِق من نار، والذي يطفئ النار الماء.

٥- صلاة ركعتين، فالأنبياء والأولياء من شأنهم أنهم إذا دخلوا في الصلاة خُفِّف عنهم وارتاحت نفوسهم للذة التي يجدونها. فالصلاة لذة المتقين، وقال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[1].

٦- معاملة المخطئ بالرحمة والرأفة واللين والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصفات التي هي من أخلاقه، فالرد على التصرف المؤذي بالحسنى غالبًا ما يجذب هذا الشخص وربما يؤدي إلى الاعتراف بخطئه وتغيير أسلوبه.

رابعًا: ثمار ضبط النفس:

١- الاتصاف بالإحسان والعفو.

٢- كسب قلوب الآخرين وطول المودة والألفة.

٣- اقتداء الناس بالشخص الذي يضبط نفسه، ومحاولتهم السير على طريقه مما يؤدي إلى تقليل البغضاء والتشاحن في المجتمع.

---

(١) المستدرك، الحاكم، (٢/١٧٤)، حديث ٢٦٧٦.

Dipindai dengan CamScanner

٤- تجنب الندم على الموقف الذي يمكن اتخاذه أو الكلمة التي ستصدر عند الغضب.

إلى هذا وأكثر أشار الإمام في هذه الوصية.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وكن كواحدٍ منهم».

الشرح: يشير الإمام في طيات هذا الكلام إلى التواضع، وينبِّهُ تلميذه من الكبر، لذا كان من المهم بيانه في تعرضنا لشرح هذه الوصية أن نجول في الحديث على هذين الأمرين: التكبر والتواضع.

أولًا: الكبر لغةً العظمة والتجبُّر. وأمَّا اصطلاحًا فقد ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم بيان معناه حيث قال أصدق الخلق: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1].

قال الزبيدي[2]: «الكبر حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسه أكبر من غيره».

وقيل: الكبر هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع عليهم.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٩٣/١)، حديث ١٤٧.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، (٩/١٤).

Dipindai dengan CamScanner

ثانيًا: الكبر داءٌ ومرضٌ ووسخٌ قلبي، فهو شعورٌ خادعٌ بالاستعلاء مصحوبٌ باحتقار الناس والترفع عليهم، وهو انفعالات داخلية أساسًا. قال الله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾[سورة غافر]. وما يظهر من تصرفات المتكبر ما هي إلا ترجمة لهذه الانفعالات.

وقد قسم العلماء التكبر على قسمين:

١ ـ رد الحق على قائله مع العلم بأن الصواب مع القائل لنحو كون القائل صغير السن، فيستعظم أن يرجع إلى الحق من أجل أن قائله صغير السن أو لأنه من الخاملين والمردود عليه من المشهورين البارزين ونحو ذلك.

٢ ـ استحقار الناس أي ازدراؤهم كأن يتكبر على فقيرٍ وينظر إليه نظر احتقار، أو يعرض عنه، أو يترفع عليه في الخطاب.

ثالثًا: التواضع مأخوذٌ من مادة (و ض ع) التي تدل على الخفض للشيء وحطه، يقال وضعته بالأرض وضعًا ووضعت المرأة ولدها. وأمَّا اصطلاحًا فقد قال الجنيد رضي الله عنه: «التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب». وقد سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن التواضع فقال: «يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ولو سمعه من صبي قبله».

وفي الإحياء[1]: «روي أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا».

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣/٣٤٢).

Dipindai dengan CamScanner

رابعًا: الأمر به:

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الحجر].

وقال عز شأنه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [سورة الشعراء].

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١).

خامسًا ثمراته:

أ- أن الله يحب أهل التواضع المسلمين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [سورة المائدة]، وفي كتاب الله قد مدح الذُّلَّ في موضعين: الذل للمؤمنين والذل للوالدين، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء].

ب- الرفعة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(٢).

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٧٤)، حديث ٤٨٩٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٠١)، حديث ٢٥٨٨.

Dipindai dengan CamScanner

ج- الجنة: قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة القصص]. قال ابن جريج: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تعظمًا وتجبرًا، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ عملًا بالمعاصي.

وفي الصحيحين[1] قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**». قال النووي[2]: «ضبطوا قوله «**مُتضعّف**» بفتح العين وكسرها، والمشهور الفتح. ولم يذكر الأكثرون غيره، ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا. يقال: تضعَّفه واستضعفه. وأما رواية الكسر فمعناها: متواضع مُتذلِّل خامل واضع من نفسه».

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الكِبْرِ وَالغُلُولِ وَالدَّيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3]، أي أن لا يقترض من الناس لغير حاجة وهو عاجز عن رد هذا المال لأصحابه فإن من فعل ذلك وهو يعرف من نفسه أنه لن يرد ولم يعلم دائنه بذلك وليس له جهة يرد منها والمقرض لا يرضى، يكون قد عصى الله وارتكب مُحرَّمًا، وليس مراده ذم الدَّين مطلقًا.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٥٩/٦)، حديث ٤٩١٨. صحيح مسلم، مسلم، (٢١٩٠/٤)، حديث ٢٨٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (١٨٦/١٧، ١٨٧).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (١٣٨/٤)، حديث ١٥٧٢.

Dipindai dengan CamScanner

سادسًا: صور من تواضع الأنبياء والصالحين:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال في خطبة له: «إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[1].

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول: قال صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُطْرُونِي**[2] **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[3].

وعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة أهله كان يرقع ثوبه ويخصف نعله، وثبت في صحيح مسلم أنه جاءت إليه امرأة في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: «**يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ**»، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

وعن طارق بن شهابٍ قال: خرج عمر بن الخطّاب إلى الشّام ومعنا أبو عبيدة بن الجرّاح فأتوا على مخاضةٍ وعمر على ناقةٍ له فنزل عنها وخلع خفّيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة:

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، (٥٣٢/١)، حديث ٥٠٤.

(٢) احتجت المشبهة بهذا الحديث للإنكار على أهل السنة بتوسلهم بالذوات الصالحة، ولا حجَّة لهم لأن المتوسَّل برسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك إلا طاعة لمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٦٧/٤)، حديث ٣٤٤٥.

Dipindai dengan CamScanner

يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفّيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرّني أنّ أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: «أوّه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم إنّا كنّا أذلّ قومٍ فأعزّنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزّة بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله»[1].

وفي الختام نود إنهاء الكلام على هذه الوصية بذكر بعض أنواع العلاج من الكبر:

١ ـ العلاج الإيماني: إذ يأمر الإيمان بالحرص على مصلحة المسلمين والتواضع لهم وخفض الجناح، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الحجر]، قال صلى الله عليه وسلم: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالأَرْضِ الذَّلُولِ**».

٢ ـ العلاج العِلْميُّ: وهو الوعي بهذا الخلق وتعديله ومعرفة ضرر هذا المرض الخبيث، والاستعاذة بالله سبحانه من الكبر، قال سبحانه: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ٥٦﴾ [سورة غافر]. فإذا تغيرت نظرته لهذا المرض واتضحت له حقيقته وأصبحت موازينه في الحكم عليه هي الضوابط الشرعية اجتهد للتخلص منه. وليكن على ذُكْر لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [سورة فاطر]. قال الغزالي: «أن يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في إزالة الكبر»[2].

---

(١) المستدرك، الحاكم، (١/١٣٠)، حديث ٢٠٧.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣/٣٥٨).

Dipindai dengan CamScanner

نسأل الله أن يحفظنا من الكبر والتكبر والخيلاء كما نسأله أن يجعلنا من عباده المتواضعين.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وارضَ مِنْهُم ما ترضى لنفْسِكَ. وعاملِ الناسَ مُعَامَلتَك لنفسِكَ».

الشرح: يشير الإمام رضي الله عنه بهذه النفائس إلى ما وضع لنا الإسلام من مجموعة من القواعد والمبادئ التي تنظم علاقة المسلمين مع بعضهم وتحكم تعاملهم فيما بينهم حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، وحتى تسود المودة والوئام والتفاهم فيما بينهم ويبتعدوا عن الخصام والشجار والقطيعة.

ومن هذه القواعد قاعدةٌ إسلاميةٌ عظيمةٌ وأصيلةٌ تقوم على مبدأ: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به، ومصدر هذه القاعدة مأخوذ من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»[1].

وهذه القاعدة لها صلةٌ وثيقةٌ بقاعدةٍ أخرى تقوم على مبدأ: «أحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك»، وقد أكَّد النبيُّ صلى الله عليه وسلم على هذا

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٤٧٢/٣)، حديث ١٨٤٤.

Dipindai dengan CamScanner

المبدأ وجعله شرطًا في كمال الإيمان حين قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

وهذه القاعدة عبارةٌ عن ميزانٍ يرجع إليه الإنسان كلما اشتبه عليه الأمر عليه واحتار في تصرف أو شك في سلوك، فبالرجوع إلى هذه القاعدة وتطبيقها وتحكيمها يسهل الأمر عليه في كيفية التعاطي مع الناس.

عزيزي القارئ، إذا أردت الجواب الشافي عما قد يدور في ذهنك من أسئلة عن سلوك معين أو تصرف محدد: هل هو سلوك جيد أم رديء؟ سل نفسك سؤالًا، ما الذي أريد من الناس في مثل هذه الحالة؟ وما الذي أنتظره ممن أعامل؟ وعلى ضوء الإجابة تكون الصورة واضحةً أمامك، وتبني ذلك على ما ورد في الشرع.

وسنعرض فيما يلي بعض الأمثلة من التصرفات والأخلاق التي نعايشها في حياتنا اليومية ونشاهدها في تعاملنا مع من حولنا مع ربطها بهذه القاعدة:

١- لا تحب أن يغتابك أحدٌ أو يذكرك بسوءٍ فلا تغتب أحدًا أو تذكر سوء أخيك المسلم تَفَكُّهًا.

٢- لا تحب أن يتكبر عليك أحدٌ أو يعاملك باحتقارٍ أو ازدراءٍ فيوجه لك ألفاظًا بذيئةً، ولا تحب من غيرك أن يخونك، ولا أن يكذب عليك، ولا أن يفضحك إن أسأت، بل الذي تحبه من غيرك أن يعاملك بالصدق والأمانة

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٢/١)، حديث ١٣.

Dipindai dengan CamScanner

والنصيحة، فعامله أنت بذلك كذلك، فتواضع له وعامله باحترام، وأسمعه الكلام الطيب والألفاظ الجميلة.

فهذا ما يرشد إليه الإمام تلميذه أن يتحلى بالأخلاق السامية الفاضلة، وأفهمنا الإمام أن تعامل الإنسان مع غيره وفق هذه القاعدة يعني أنهم لن يجدوا منه إلا الأخلاق الرفيعة ولن يشاهدوا منه إلا الأخلاق الراقية ولن يسمعوا منه إلا الألفاظ الكريمة لسببٍ هينٍ وهو أن هذه الأمور هي التي يريد أن يعاملوه بها، وهي التي يريد أن يراها ويسمعها منهم فيجد نفسه مندفعًا إلى التزامها والعمل بها.

فإذا كنت تريد من الناس معاملةً طيبةً وأخلاقًا فاضلةً وسلوكًا حسنًا فابدأ بنفسك أولًا، وأقنعها بأن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك بها.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستعِنْ على نفسِك بالصيانةِ لها، والمراقبةِ لأحوالها».

الشرح: بعد أن عرَّفنا الإمام على بعض أمراض القلوبِ، وعرفنا بعض العقباتِ الكؤود التي تحولُ دون تهذيبِ النفسِ، وعرفنا أهمية التقوى ومدى حثِّ الإسلامِ عليها، وربط الأحكام بها، قدم الإمام لنا بعض المراحلِ العملية في تربية وتهذيب النفسِ وهي المراقبة والمحاسبة، وتبرز أهميتها بأنها من الأسباب الأساسيةِ للوصولِ إلى التقوى وتزكية النفس.

Dipindai dengan CamScanner

بيانُ المراقبة والمحاسبة:

المراقبة هي أن يلاحظ الإنسانُ نفسه عند الخوضِ في الأعمالِ في كلِّ حركة وسكونٍ، لذلك تكون المراقبةُ عامل وقايةٍ من الذنوب والأمراض.

والمحاسبة هي أن يعيِّن الإنسانُ وقتًا في كلِّ يومٍ يحاسب نفسه بموازنة طاعاته وحسناته، لذلك تكون المحاسبة عامل علاجٍ من الذنوب والأمراض.

أهمية المراقبة والمحاسبة:

لندرك أهمية المراقبة والمحاسبة ينبغي لنا أن نلاحظَ الأمور الآتية:

أ ـ تسجيل الأعمال حيثُ يستفادُ من القرءان الكريم أنَّ أعمالنا محفوظة في صحيفة أعمالنا، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكننا الغفلة عن عواقب هذه الأعمال وعدم المبادرة إلى مراقبة أنفسنا والانتباه إلى أقوالنا وأعمالنا ونوايانا. يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة]، وفي ءاية أخرى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۝٣٠﴾ [سورة ءال عمران]، وفي ءايةٍ أخرى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [سورة ق].

ب ـ الحساب على الأعمال يوم القيامة، والحساب نوعان: عرضٌ ومناقشةٌ، فمن نوقش الحساب عذّب.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [سورة الأنبياء]، وفي ءايةٍ

Dipindai dengan CamScanner

أخرى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴿٢٨٤﴾﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا (١) وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف].

ثمرة المحاسبة:

إنَّ لمحاسبة النفسِ ومراقبتها نتائج وثمرات متعددة، نشير إلى بعضها:

أ ـ الشعور بالندم والبدء بالاستغفارِ.

ب ـ التعويضُ: وذلك من خلالِ تدارك ما فاته بأمور خيرٍ كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة هود].

ج ـ التزود: وهو الدخول في كثيرٍ من المستحباتِ والأعمال الفاضلة لتثقيل الميزان يوم القيامة. قال سيدنا عمر: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

---

(١) وهذا ردٌّ على بعض الجهال الذين لا يصلُّون ويقولون: غدًا نصلي في جهنم. فالدنيا هي دار التكليف والعمل، والآخرة هي دار الجزاء والحساب على العمل. وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ أي وجدوا جزاء ما عملوه في الدنيا. قال سيدنا علي: «اليوم العمل ولا حساب، وغدًا الحساب ولا عمل».

Dipindai dengan CamScanner

كيف نحاسب أنفسنا؟

١ ـ العهد[1]: فيخلو الإنسان إلى نفسه فيعظها ويطلب منها أن تغتنم عمرها، وبالتالي يأخذ منها العهدَ بأن لا ترتكبَ المعصيةَ ولا تترك الطاعة.

٢ ـ المراقبة: راقب نفسك من أجل أن تردعها عن محاولة التخلي عن الالتزام بالعهد.

٣ ـ حث النفس وعتابها: فليحدد كلٌّ منا ساعةً كلَّ يومٍ من أجل أن يحاسب نفسه فيجلس ليرى ما فعله في نهاره ساعة بساعة، فإن فعل خيرًا حمد الله تعالى على توفيقه لفعل الطاعة، وإن فعلَ المعصية وبَّخ نفسه وانتهرها وتاب إلى الله تعالى.

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللَّهُمَّ اجعلنا من التوابين المراقبين لأنفسهم الصائنين لها عن المحظورات.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تضجَر لمن لا يضجَرُ عليك».

الشرح: قد سبق قول الإمام رضي الله عنه «ولا تُبدِ لأحدٍ منهم ضيق صدرٍ أو ضجرًا»، ثم جاءت هذه الوصيةُ هنا تأكيدًا وتثبيتًا وترسيخًا لمعنى حسن الخلق في نفس يوسف بن خالد السمتي تلميذ الإمام، كيف لا وعدم

---

(١) أي أن يتعهد ذلكَ على محاسبة نفسه بحيث لا يتركها ولا يهملها إلى أن تقع في معصية أو غفلة.

Dipindai dengan CamScanner

إبداء الضجرِ والملال من الناس هو مظهر عظيم من مظاهر النفسِ المهذبة، وهي رياضة لها.

وكما فُهِمَ مما مرَّ الحثُّ من الإمام على ترك التضايقِ من الناسِ وترك إظهارِ الملل منهم، وأن يخفي الإنسانُ الضجر وإن حصل وشعر به، نتكلم إن شاء الله تعالى في هذه الوصية على ما هو أعم وأشدّ، وهو كيف نتعاملُ مع أذى الآخرين. مما لا بدَّ منه في هذه الحياةِ في الغالبِ حصول الأذى للمرء من غيره، ووقوع الظلم عليه من الآخرين وتعديهم عليه في نفسه أو ماله أو عرضه، وهو الأمر الذي لا يسلم منه أحد في الغالب مهما بلغ من قوة في دينه أو أعطي من رجاحة العقلِ أو حسن الخلقِ، غير أنَّ تحمل الناسِ لهذا الأمر واختلاف ردود أفعالهم تجاهه هو الذي يحدد من كان منهم ذا حظٍّ عظيمٍ ممن هو دون ذلك، ألا وإنَّ من أعظمَ الناسِ في هذا الشأنِ حظًا وأعلاهم قدرًا وأكثرهم أجرًا هم الموفقون الذين يدفعونَ السيِّئ بالحسنِ ويردون الظلمَ بالعفو ويقابلونَ الخطأ بالصفحِ ولا يُبدون أيّ ضجرٍ أو ضيقٍ جاعلين نبراسهم في ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فصلت].

إن المؤمنَ الذي وفقه الله وأعظمَ حظَّه وأعلى نصيبه ليجعل من هذه الآياتِ نورًا يسير عليه في حياته وقاعدةً ينطلقُ منها في تعامله مع المسيئين إليهِ، فيتحمل الأذى ويصبر على الخطأ، ويتجاوز عن كلِّ تجاوزٍ في حقه، ويُقصِّر نظره على كلِّ تقصير تجاهه من غير إبداءِ أي مللٍ أو ضجرٍ أو ضيقٍ أو تعنيفٍ

Dipindai dengan CamScanner

على المخطئ متدرِّعًا بالصبرِ متجرِّعًا للغيظ مستعينًا بالله تعالى، مستعيذًا من الشيطان؛ إذ إنَّ الله تبارك وتعالى يسمع ويعلمُ ويرى، وهو خالق أفعالِ العبادِ خيرها وشرها، وما يكون من تسلُّط أحد على أحد فإنما هو بقضائهِ وقدره سبحانه، ولو شاء سبحانه ألا يقع أمرٌ لما وقع، ولولا تقديره عزَّ وجلَّ أن يؤذي العبد من ءاذاه لما حصل له ذلك الأذى، وإنه متى نظرَ العبد بهذا المنظار ولم يلتفِ بالًا لأفعالِ أولئكَ المخطئين استراح من الهم والغم، وحمد الله على الضراء كما يحمده على السراء، وأورثه ذلك لذة يجدها في قلبه وراحةً تملأ نفسه.

وأمرٌ ءاخر يقع في نفس المؤمنِ بعد كلِّ أذى يحصل له أو ظلم يقع عليه ألا وهو يقينه أنه لم يُسَلَّط عليه من سُلِّط أحيانًا إلا بذنبٍ منه وتقصيرٍ، وإذا رأيتَ المرء يقع في الناسِ إذا ءاذَوْهُ ولا يفكر ولو قليلًا أن إيذاءهم قد يكون بسببٍ منه فيلوم نفسه على خطئها ويحاول تطهيرها بالتوبة وكثرة الاستغفار، فاعلم أن مصيبته كبيرة، إذ اجتمع عليه مع أذى الناسِ له غفلتُه عن نفسه. وأما إذا أكثر الاستغفار واتهم نفسه فإنه يصقلُ بهذا نفسه ويطهرها ويرجع إلى ربه وينيب إليه.

وقد يقول قائلٌ: إنَّ هذا الأمر ليس على إطلاقه وعمومه، وليس كلُّ من حصلَ له من الناسِ أذى فهو بسببِ تقصيره أو بما اكتسبَ من الذنوبِ، كيف وقد حصلَ الأذى لخير الخلقِ من الأنبياءِ والرسلِ وخير الورى وأفضلهم محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فقد أوذي في الله ولم يؤذِ غيره، وهو الذي قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر.

Dipindai dengan CamScanner

فيقال: نعم، إنه حين لا يكونَ أذى الناس لعبدٍ ماحيًا لذنوبه طارحًا لسيئاته، فإنه في المقابلِ رافع لدرجاتهِ زائدٌ في حسناته.

وقد وعد الله من عفا وصبرَ أن يكون أجره على الله، قال سبحانه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [سورة الشورى].

فمن عفا وأصلح فقد سلكَ سبيل العزة، قال صلى الله عليه وسلم: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»(١). رواه مسلم وغيره، وقال: «**ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًّا**»(٢).

فمن كانت هذه صفته فإن له شأنًا عظيمًا ونظرًا أدق وتفكيرًا أعمق من غيره، وإنه يُفرِّغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقامِ سواء في ذلكَ مصالحه الدنيوية من طلبِ معاش وتربية أبناء ورعاية حرث وزرع وتنمية تجارة أو مصالحه الأخروية وهي الأهم من تزكيةٍ للنفسِ بالطاعاتِ وطلبٍ للمنازل العالية.

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٤/٢٠٠١)، حديث ٢٥٨٨.

(٢) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٤/٥٦٢)، حديث ٢٣٢٥. نعم ثمة أناسٌ لا شك أنهم يبتلون بأنواع البلايا في أجسادهم، ويسلط السفهاء عليهم من غير أن يسبق لهم ذنبٌ، وهذا حال الأنبياء والأولياء والأخيار من عباد الله، وهو رفعة لهم في مقاماتهم ودرجاتهم لا لأنهم أذنبوا، ولا لأنَّ الله ينتقم منهم، بل لأن الله يحب لهم المقام الأرفع والأعلى.

Dipindai dengan CamScanner

لقد أضاع الانتقام على كثيرٍ من الناس أوقاتهم وأذهب أعمارهم وفوَّت عليهم مصالحهم، ومما قد يكونُ فيه ضياع للدين وذهاب للعقلِ وفساد للصحة وخسارة للراحة.

فرحم الله امرأً جعل طلب الأجر بين عينيه والتمسَ عظم الثوابِ ورفيع الدرجة عند ربه وأيقن بقرب الموتِ وسرعة انقضاءِ العمر.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ودعِ الشَّغَبَ».

الشرح: لفهم هذه الوصية على وجهها نحتاج لشرح مفردات هذه الجملة النافعة حتى نتوصَّل بإذن الله لبيانِ المقصودِ منها على التمام.

قال في لسان العرب: الشغب بسكون الغين تهييج الشر والفتنة والخصام. فإذًا بعد هذا النصِّ من ابن منظورٍ صاحب لسان العربِ يظهر لك أيها القارئ تصوُّر أوَّليّ لفحوى هذه الوصية.

وأقدم لكَ أيها القارئ بمقدمة لطيفةٍ تكون مدخلًا لنا إلى الموضوعِ، فأقول لك: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ولا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئًا.

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى في السرِّ والعلن وسيروا على خير منهاجٍ وسنن، واحذروا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ثم اعلموا أنَّ نبيَّكم صلى الله عليه وسلم قد حذَّركم من جملة فتنٍ تكون بين يدي الساعة، ودلكم على أسباب النجاةِ منها والعصمةِ من شؤمها فاتبعوه صلى الله عليه وسلم على سنته ولا تخالفوا أمره، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال تعالى:

Dipindai dengan CamScanner

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [سورة النور]. وقال صلى الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»(١)، وقال: «فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي(٢) فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

فقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن فقال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»(٤).

قال الحسنُ رحمه الله: «واللهِ لقد رأيناهم صورًا ولا عقولَ أجسامًا ولا أحلامَ فراش نار وذِبَّان يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين يبيع أحدهما دينه بثمن العنز».

وعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهُمَّ لَا يُدْرِكْنِي زَمَانٌ، أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتْبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ وَلَا يُسْتَحَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ»(٥).

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/٢٠٠)، حديث ٤٦٠٧.

(٢) أي طريقتي، أي ما جئت به عقيدةً وأحكامًا.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (١/٥٩٢)، حديث ١٨٤٦.

(٤) سنن أبي داود، أبو داود، (٤/١٠٠)، حديث ٤٢٥٩.

(٥) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٧/٥١٨)، حديث ٢٢٨٧٩.

Dipindai dengan CamScanner

ولقد اشتملت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في الإخبار عن الفتنِ على ذكر صفاتها وصفات أهلها، وبيان شؤمِ ءاثارها على العباد والبلادِ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لابن حوالة رضي الله عنه: «**يَا ابْنَ حَوَالَةَ، كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي[1] بَقَرٍ؟**»[2].

وخرج نعيم بن حماد في الفتنِ عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تَكُونُ فِتْنَةٌ، ثُمَّ تَكُونُ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ، ثُمَّ تَكُونُ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ تَعوجُ فِيهَا عُقُولُ الرِّجَالِ**»[3].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**تَأْتِيكُمْ مِنْ بَعْدِي أَرْبَعُ فِتَنٍ، فَالرَّابِعَةُ مِنْهَا الصَّمَّاءُ الْعَمْيَاءُ الْمُطْبِقَةُ، تُعْرَكُ الْأُمَّةُ فِيهَا بِالْبَلَاءِ عَرْكَ الْأَدِيمِ، حَتَّى يُنْكَرَ فِيهَا الْمَعْرُوفُ، وَيُعْرَفَ فِيهَا الْمُنْكَرُ، تَمُوتُ فِيهَا قُلُوبُهُمْ كَمَا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ**»[4].

تذكروا أيها الناس أن نبيَّكم صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وأنه صلى الله عليه وسلم كما أخبركم عن الفتنِ ووصفها لكم وصفًا جليًّا يُزيل اللبس ويجعلكم على بينةٍ، قد بين لكم شؤمها على البلاد وأحوال المؤمنين، ففي المعجم الكبير[5] عن أبي مالك الأشعري قال: قال

---

(١) أي قرون.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٣/٤٦٤)، حديث ٢٠٣٥٤.

(٣) الفتن، نعيم بن حماد، (١/٥٣)، حديث ٨١.

(٤) الفتن، نعيم بن حماد، (١/٦٧)، حديث ١٢٨.

(٥) المعجم الكبير، الطبراني، (٣/٢٩٤)، حديث ٣٤٤٦.

Dipindai dengan CamScanner

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تُرْسَلُ، وَيُرْسَلُ مَعَهَا الْهَوَى وَالصَّبْرُ، فَمَنِ اتَّبَعَ الْهَوَى كَانَتْ قِتْلَتُهُ سَوْدَاءَ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّبْرَ كَانَتْ قِتْلَتُهُ بَيْضَاءَ».

وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ».

أمة الإيمان، ومما يُنجّي الله به من الفتن الدعاء والضراعة إلى الله بطلب السلامةِ منها ومن شرها وشر أهلها، قال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَخْلُصُ مِنْ شَرِّهَا إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ الدُّعَاءَ كَدُعَاءِ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ»[2].

ومما يسلِّم به اللهُ من شر الفتن: ما أرشد إليهِ صلى الله عليه وسلم بقوله: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ[3] وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ»[4]. وفي حديث حذيفة بيان أنه إن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمامٌ فليعتزل المرء تلك الفرق كلها، ولم يقل النبيُّ صلى الله عليه وسلم لحذيفةَ: إذًا تموت ميتة جاهليّة خلافًا لحزب التحرير[5].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥١/٩)، حديث ٧٠٨١. صحيح مسلم، مسلم، (٢٢١١/٤)، حديث ٢٨٨٦.

(٢) الفتن، نعيم بن حماد، (٢٥٥/١)، حديث ٧٢٠.

(٣) والمراد بالجماعة هنا السواد الأعظم، جمهور أمة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وليس معناها جماعة الصلوات الخمس مع التأكيد على أهميتها وأهمية الجمعة، إلا أنَّ الحديث هنا هو تأكيد على البقاء والثبات مع أهل السنة والجماعة الأشعرية الماتريدية.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، (٤٦٥/٤)، حديث ٢١٦٥.

(٥) جماعة يسمون «حزب التحرير» يحرّفون دين الله وينشرون الأباطيل ويثيرون الخلافات التي لا معنى لها. وقد أسس هذا الحزب رجل يسمى تقي الدين النبهاني ادعى الاجتهاد وخاض-

Dipindai dengan CamScanner

وفي الحديث[1]: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قال حذيفة: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

فاتقوا الله واحذروا الفتنَ ما ظهر منها وما بطنَ، وخذوا للنجاةِ منها بخير سَنَن، فإنَّ نبيَّكم قد تقدَّم لكم بالإنذار فأبلغ في الإعذار وتركم على محجَّة بيضاء ليلها كنهارها، فاقبلوا نذارته والزموا سنته ولا تخالفوا عن أمره.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستمِع لمنْ يستَمِعُ مِنْكَ».

الشرح: يجدد لنا الإمام رضي الله عنه التأكيد على اتخاذ حسن الخلق وسيلةً لقلوب الناس ومفتاحًا لها، كيف لا والوصية تندرج تحت عنوان علاقة العالم بغيره. وقد وصل في الإرشاد إلى الكلام على أمرٍ يجهل أهميته كثيرٌ من الناس وهو: حسن الإصغاء والاستماع، أو بما يسميه البعض: إتقان الإنصات.

ليعلم أن الإصغاء له تأثيرٌ عظيمٌ في مجال العلاقات الدينية والاجتماعية والعملية. ومن هنا كان للإنصات دوره في كسب ثقة الناس، فإنَّ من ءاداب الاستماع الإنصات ومتابعة المتحدث وعدم مقاطعته طالما لم يكن ثمة ما يخالف الشرع، بل وأحيانًا قد ينتظر الشيخ حتى ينتهي المخالفون عن مفاسدهم لحكمة ثم يردها ويبين الصواب كما حصل مع أحد أئمة أهل السنة

-في الدين بجهل، فوقع في التحريف والتكذيب لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وخرق الإجماع في مسائل من أصول الدين وفروعه.

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥١/٩)، حديث ٧٠٨٤.

Dipindai dengan CamScanner

والجماعة وأحد زعماء المعتزلة حتى ءال الأمر في النهاية أن فرَّ المعتزلة من المجلس ولم يعودوا، فقال الإمام لأحدهم اكتب: هربوا.

فإذًا يلوح لك أيها القارئ أن حسن الإصغاء هو وسيلةٌ فعَّالةٌ في كسب القلوب وترك الأثر الجيد والحسن، فإنَّ المتحدث في الغالب يشعر بالإيناس والطمأنينة إذا بدا على مستمعه الإنصات والرغبة في الاستماع، فكم من شخصيةٍ لا يرغب الكثير في مجالستها لأن صاحبها لا ينصت لهم فيشعرون أنه لا يقدّر حديثهم ولا يعبأ بكلامهم.

وكان العلماء يقولون: أول أبواب العلم الاستماع، وطالما حث على ذلك أئمتنا وعلى رأسهم في هذا العصر الحافظ المعلم المربي الشيخ عبد الله الهرري رحمات الله عليه.

وقد وجه القرءان المسلمين إلى الأمر بالإنصات لتلاوة القرءان للتفكر والتدبر وغيرهما من الفوائد. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سورة الأعراف].

والقارئ لسورة يوسف يتضح له من خلالها عظيم هذا الخُلُق واتصاف الأنبياء به.

١- من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة يوسف].

فيظهر هذا الأدب حينما قص يوسف رؤياه على أبيه يعقوب صلى الله عليهما وسلم، وأخذ نبي الله يعقوب يستمع له. ثم انظر أيها القارئ إلى روعة الجواب أثناء هذا الحوار، إذ قال عز وجل حكايةً عن يعقوب: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا

Dipindai dengan CamScanner

تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة يوسف].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يوسف].

٣- قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة يوسف]. فيوسف عليه الصلاة والسلام مع ما هو فيه من أمر السجن وغيره استمع إليهما. وانظر إلى حكمته صلى الله عليه وسلم بعد الاستماع إليهما، فقد أفصح عن عقيدته ودعوته فكلمهما في ما هو أهم وهو الإسلام، توحيد الله، عبادة الله، صفات الله، تنزيه الله، وكشف عن فساد اعتقادهما، وما هما عليه من الشرك. وهنا نتعلم من أفضل مخلوقات الله وهم أنبياء الله أنَّ البدء بالتعليم يكون بالأولى فالأولى، وأفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله.

٤- الآية: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة يوسف]. ففي هذه الآية يذكر مجيء الساقي الذي نجا من القتل وهو الذي أوصاه يوسف عليه الصلاة والسلام أن يذكره عند الملك، فنسي بعدما عبر له رؤياه، فبدأ

Dipindai dengan CamScanner

حواره مع يوسف عليه الصلاة والسلام بذكر رؤيا الملك فأخذ يسأله عن تعبيرها ولم يعنفه يوسف عليه الصلاة والسلام على نسيانه بل استمع إليه وأجابه عن الرؤيا.

٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة يوسف].

وهنا فائدتان:

ـ **تجنب الاستماع إلى الغيبة والكلام القبيح:** فكما حرم الشرع أن يغتاب المسلم أخاه حرم كذلك أن يستمع الواحد منا إلى غيبة أخيه دون الإنكار على قائلها. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

ـ **البشاشة والوجه الطلق:** من ءاداب الاستماع تحلي المستمع بالبشاشة والوجه الطلق وتجنب العبوس والكآبة. قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٢٧)، حديث ١٩٣١.

Dipindai dengan CamScanner

وسلم: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»[2].

فحسن الاستماع مما ينبغي أن يلتزم في الحوارات لأنَّه مما يقوي الألفة والمحبة دون انفعالٍ أو توترٍ، وكم من حوارات كانت نتيجتها الفشل بسبب ترك هذا الأدب.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُكَلِّفِ النَّاسَ مَا لا يكلِّفوكَ، وارضَ لهم ما رَضُوا لنَفْسِهِم».

الشرح: وهنا يؤكِّدُ الإمام على خُلُقٍ عظيمٍ وهو من أسباب دوام الصداقة والصحبة والأخوة لأنَّكَ إن كلفت الناس ومن حولك من الأحبة والطلاب بما لا يطيقونه من الأعمال الصعاب والخدمات الشاقَّة عليهم قد يكون ذلك سببًا ليتفرقوا عنك، ففي البداية قد يطيعونك في ذلك خجلًا واستحياءً للمودة التي بينك وبينهم فإن استرسلت في ذلك معهم قد يحملهم هذا على أن يعرضوا وينصرفوا عنك وبهذا تبقى وحدك بعد أن كنت مع إخوانك كثيرًا، فبالكثرة والجماعة يتحقق من مصالح الدين والدعوة ما لا يتحقق بحسب العادة على يد الفرد، ولذلك كان من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَلَا تَدَابَرُوا»[3].

وأما إن خففت عمن معك وعن الذين يحبونك كان ذلك أدوم لملازمتهم لك

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٤/٢٠٢٦)، حديث ٢٦٢٦.

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبان، (٢/٢٢١)، حديث ٤٧٤.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٨/١٩)، حديث ٦٠٦٤.

Dipindai dengan CamScanner

وثباتهم معك وعدم الإعراض عنك. وقد سبق ما يشبه هذا المعنى في وصايا مرت بألفاظٍ أخرى ولكن توصل إلى نفس المعنى.

وفي حديث[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**».

وقد قال الإمام الهرري رحمه الله: «من يخدم الدعوة نخدمه». وكان مرة على مائدة الطعام فقام وذهب إلى المطبخ وجلب الملاعق ووزعها على من معه ولم يطلب ذلك من أحد منهم مع أنهم تلامذته وخدامه، وقال رضي الله عنه: «كان شيخنا يفعل هذا معنا».

تنبيه: ما سبق بيانه من عدم تكليفك لمن معك بما يتعبهم هذا يكونُ على حسب حالِ الناس، فمنهم من لو أشغلته بخدمة الدين والدعوة وقضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والسعي لتحقيق مصالحهم أو تعليم الناس فإنه يفرح بذلك ويسر ويزداد همةً وفرحًا، وربَّما إن تركته من غير إشغالٍ له لبعض الوقتِ يسألك هو ويطلب منكَ ما يقوم به من العمل لعلوِّ همته وعظيم صدقه وإخلاصه. فمن كان بهذه الصفة فلا حرجَ في طلب ذلك منه ولا مانع، فالأمرُ على حسب المصلحة وعلى حسب ما تعرف من أحوال الناس، فمع بعضهم تخفِّف ومع بعضهم تُكثِر ومع بعضهم لا تشغله إلا بأن يستمع إلى مجالس العلم لئلّا يبتعد فيخسر ويهلك.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١/١٥)، حديث ٣٠.

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وقدِّمْ حُسْنَ النيَّةِ».

الشرح: قد شارف الإمام على إنهاء وصيَّتِهِ لتلميذه، ولم ينس رضي الله عنه أن ينبهه أن يراقب نيته وينظر فيها وأن لا ينساها قبل القيام بالأعمال الصالحة التي يقوم بها.

ولأمر النية اعتبارٌ في الشرع، وفيما يلي سيظهر لك أيها القارئ ذلك بإذن الله سبحانه.

فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١).

وهذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها معظم أمور الدين، فقد روي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال عن هذا الحديث: ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه(٢).

وقال أبو عمر القرطبي في «المفهم»: «وهذا الحديث بحكم عمومه يتناول جميع الطاعات».

وقال أبو داود: «كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعني كتاب السنن جمعت فيه

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٦/١)، حديث ١.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي، (٤٣/٢). شرح صحيح مسلم، النووي، (٥٣/١٣).

Dipindai dengan CamScanner

أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث. ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه[1] ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها: قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»».

وقال الحافظ ابن حجر[2] في شرح هذا الحديث: «وصاهم بالإخلاص في عبادته. وعن أبي عبد الملك البوني قال: مناسبة الحديث للترجمة أن بدء الوحي كان بالنية لأن الله تعالى فطر محمدًا على التوحيد وبغض إليه الأوثان، ووهب له أول أسباب النبوة وهي الرؤيا الصالحة. فلما رأى ذلك أخلص إلى الله في ذلك فكان يتعبد بغار حراء فقبل الله عمله وأتم له النعمة. وقال المهلب ما محصله: قصد البخاري الإخبار عن حال النبي صلى الله عليه وسلم في حال منشئه وأن الله بغض إليه الأوثان وحبب إليه الخير ولزوم الوحدة فرارًا من قرناء السوء[3]. فلما لزم ذلك أعطاه الله على قدر نيته ووهب له النبوة كما يقال الفواتح عنوان الخواتم».

---

(١) وفيه ما ضعَّفه بعض الحفَّاظ.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١/١١).

(٣) ليعلم أن نبيَّنا المصطفى صلى الله عليه وسلم كان من طفولته تحيط بتصرفاته العناية الربانية، فكان محفوظًا من الشِّرك والكبائر وكل ما فيه خسة ودناءة، وكان من طفولته ينفر من الرذالاتِ ومن قرناء السوء، ولم يكن يتأثر بعادات المشركين ولا أخذ شيئًا من تصرفاتهم وأعمالهم وأقوالهم الخبيثة من شرك وغيره، فالأنبياء جميعًا من طفولتهم إلى المماتِ لا تمرُّ عليهم لحظة واحدة يكونون فيها كافرين أو فاسقين، بل هم معصومون قبل النبوة وبعدها.

Dipindai dengan CamScanner

ولا يعني ذلك أن الإنسان المسلم إذا كانت نيته حسنة في أعماله الصالحة واعتزل الناس وأكثر من الطاعات والعبادات يصير نبيًّا لأن النبوة اصطفاء من الله وليست مكتسبةً من العباد بطاعاتهم. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الحج].

فمن ذلك كله يتضح أهمية هذا الحديث وأهمية النية في الإسلام.

وأما في الكلام على تعريف النية، فقد قال الجوهري في الصحاح: «النية العزم». وقال الخطابي: «هي قصدك الشيء بقلبك وتحري الطلب منك له». وقال البيضاوي: «هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا لغرض من جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ حالًا أو مآلًا». وقال: «والشرع خصها بالإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاءً لوجه الله وامتثالًا لحكمه».

وقال العراقي في «شرح التقريب»[1]: «اختلف في حقيقة النية فقيل: هي الطلب وقيل: الجد في الطلب. ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه: من ينو الدنيا تعجزه أي من يجد في طلبها».

وقال الزركشي في قواعده[2]: «حقيقتها ربط القصد بمقصود معين، والمشهور أنها مطلوب القصد إلى الفعل. وقال الماوردي: هي قصد الشيء مقترنًا بفعله، فإن قصده وتراخى عنه فهو عزم».

---

(١) طرح التثريب، العراقي، (٢/٧).

(٢) المنثور في القواعد الفقهية، الزركشي، (٣/٢٨٤).

Dipindai dengan CamScanner

النية في القرءان الكريم:

قد ورد التعبير عن هذه النية المشروطة في القرءان بتعابير مختلفةٍ مثل: إرادة الآخرة أو إرادة وجه الله أو ابتغاء وجهه أو ابتغاء مرضاته.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة ءال عمران].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الإسراء].

النية في الأحاديث الشريفة:

أما السنة فقد ورد فيها الكثير في فضل النية والإخلاص، نذكر منها بعض ما انتقيناه مما ذكره الإمام المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب». وقد بدأها وبدأ كتابه كله بحديث الثلاثة أصحاب الغار وهو حديث متفق عليه الذي فيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَة نفر يتماشون أَخذهم الْمَطَر فمالوا إِلَى غَار فِي الْجَبَل فانحطت**

Dipindai dengan CamScanner

على غارهم صَخْرَة من الْجَبَل فأطبقت عَلَيْهِم فَقَالَ بَعضهم لبَعض انْظُرُوا أعمالًا عملتموها لله عز وَجل صَالِحَة فَادعوا الله بهَا لَعَلَّه يفرجها»، الحديث[1]. وفيه دليل على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء. قال العلماء: «الأنبياء والأولياء أفضل من أعمالهم»، فإذا جاز التوسل بالمفضول وهو العمل الصالح كما في الحديث فكيف بالفاضل.

وثنى بحديث أبي أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ»، فأعادها ثلاث مرات يقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثم قال: «إِن الله لَا يقبل من الْعَمَل إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وابتغي بِهِ وَجهه»[2].

ثم ثلث بحديث عمر المشهور: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

والأحاديث الثلاثة تؤكد على أهمية النية وتصفية النية لرب البرية فذلك من الأساس لصحة العبادات وسبيل إلى قبولها.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَءاخِرِهِمْ». قالت: قلت يا رسول الله: كيف يخسف بأولهم وءاخرهم وفيهم

---

(١) الترغيب والترهيب، المنذري، (٣/٢٢٠)، حديث ٣٧٦٤.

(٢) الترغيب والتهريب، المنذري، (٢/١٩٤)، حديث ٢٠٧٣.

Dipindai dengan CamScanner

أسواقهم[1] ومن ليس منهم، قال: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ»، قالوا: يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ فقال: «حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ[4] إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ».

وتصحيح[5] النية شرط لقبول العمل، فلا بد قبل العمل الصالح من استحضار النية وتجريدها من كل الشوائب وإخلاصها لله تعالى في كل عملٍ من أعمال الآخرة حتى يحوز القبول عند الله، ذلك أن لكل عملٍ صالحٍ ركنين زيادة على الإسلام والإيمان والتمييز لا تقبل الطاعات عند الله إلا بهما:

---

(١) أي أهل أسواقهم الذين يبيعون ويشترون ولم يقصدوا الغزو.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٦٥/٣)، حديث ٢١١٨.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، (١٢/٣)، حديث ٢٥٠٨.

(٤) ليس معناه لا يراها لأن الله تعالى يرى كل المرئيات والمبصرات بلا استثناء، لكن في الحديث حث على الأعمال الصالحة والنية الحسنة وموافقة الشريعة لا على المظاهر والصور.

(٥) تنبيه: فرقٌ بين شروط الصحة والقبول، فشروط الصحة هي الأمور التي لا تصح الصلاة بدونها كالوضوء للصلاة. وشروط القبول هي الأمور التي لا بد منها لنيل الثواب، فمن تركها صحت صلاته بلا ثواب كالخشوع والإخلاص.

Dipindai dengan CamScanner

أولهما: الإخلاص وتصحيح النية.

وثانيهما: موافقة السنة ومنهاج الشرع.

وقد جمع الركنان في أكثر من ءاية في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة لقمان]، وقال سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة].

وإسلام الوجه لله: إخلاص القصد والعمل له وحده، والإحسان فيه: أداؤه على الصورة المرضية شرعًا ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه. قال ابن مفلح الحنبلي: «طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته».

وقال الفضيل بن عياض: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا.

والخالص أن يكون لله وحده، والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ الفضيل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف].

وقال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي لأنها تنقلب علي». فالمسلم بالنية يحول العادة إلى عبادة والعمل إلى صدقةٍ يؤجر عليها.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام].

Dipindai dengan CamScanner

وانظر إلى قصة هذا الرجل الذي صدقت نيته، فعن شداد بن الهاد أنّ رجلًا من الأعراب جاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فآمن به واتّبعه ثمّ قال: أهاجر معك، فأوصى به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعض أصحابه، فلمّا كانت غزوةٌ، غنم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سبيًا «فقسم وقسم له» فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلمّا جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمٌ قسمه لك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأخذه فجاء به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: ما هذا؟ فقال: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**»، قال: ما على هذا اتّبعتك، ولكن اتّبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهمٍ، فأموت فأدخل الجنّة، قال: «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ**» فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثمّ نهضوا في قتال العدوّ فأُتِيَ به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يحمل قد أصابه سهمٌ حيث أشار فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «**أَهُوَ هُوَ**»، فقالوا: نعم، قال: «**صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَّقَهُ**»، ثمّ كفّنه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جبّته صلّى الله عليه وسلّم[1]، ثمّ قدّمه فصلّى عليه[2] فكان ممّا ظهر من صلاته عليه: «**اللهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِ**»[3].

---

(١) هذا فيه دليلٌ لأهل السنة والجماعة على جواز التبرك.

(٢) الصلاة لغةً الدعاء كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ صل على ءال أبي أوفى**». وكما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة]، أي ادع لهم. فالشافعية عندهم شهيد المعركة لا يصلى عليه إنما يدعى له بخلاف الحنفية.

(٣) **السنن الكبرى**، النسائي، (٤٣٣/٢)، حديث ٢٠٩١.

Dipindai dengan CamScanner

فانظر حماك الله إلى النية الصادقة الخالصة كيف تنفع صاحبها وكيف تؤتي أكلها بإذن ربها، وكُن على ذكر من قول ابن رسلان:

وأخلص النية قبل العمل وائت بها مقرونة بالأول

وأما الرياء فهو أن يقصد الإنسان بأعمال البر كالصوم والصلاة وقراءة القرءان والحج والزكاة والصدقات والإحسان إلى الناس مدح الناس وإجلالهم له، فإذا زاد على ذلك قصد مبرة الناس له بالهدايا والعطايا كان أسوأ حالًا لأن ذلك من أكل أموال الناس بالباطل.

والرياء يحبط ثواب العمل الذي قارنه، فإن رجع عن ريائه وتاب أثناء العمل فما فعله بعد التوبة منه له ثوابه. فأي عملٍ من أعمال البر دخله الرياء فلا ثواب فيه سواء كان جرَّد قصده للرياء أو قرن به قصد طلب الأجر من الله تعالى، فلا يجتمع في العمل الثواب والرياء لحديث أبي داود والنسائي بالإسناد إلى أبي أمامة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، الحديثَ وقد تقدم.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستعملِ الصِّدْقَ».

الشرح: يخرج لنا الإمام من جَعبته الخيرة وصيةً لألاءةً جديدةً واضحٌ نورُها، وظاهرٌ نفعها، ألا وهي صدق اللسان.

Dipindai dengan CamScanner

فالصدق من الأخلاق الكريمة التي أجمع على مر العصور والأزمان على اعتباره وفضله، وهو خلق من أخلاق الإسلام الرفيعة وصفةٌ من صفات عباد الله المتقين، ولذلك فقد وصف الله نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم بأنه جاء بالصدق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الزمر].

كما أن التحلي بالصدق كان مما عرف به النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في قصة أبي سفيان مع هرقل، وفيها أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم؟ يعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قال أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول ءاباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة[1].

كما أن الصدق سمةٌ من سمات الأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين، قال تعالى عن خليله إبراهيم على نبينا وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [سورة مريم].

وقال عن إسحق ويعقوب: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة مريم].

وقال عن إسماعيل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة مريم].

وقال عن موسى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [سورة مريم].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٨/١)، حديث ٧.

Dipindai dengan CamScanner

وقال عن صحابة رسول الله الأخيار: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب].

فقد أنزل الله في شأن الصادقين معه ءايات تتلى ءاناء الليل وأطراف النهار. فقد ثبت عن أنس أنه قال: عمّي الّذي سمّيت به لم يشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدرًا، قال: فشقّ عليه، قال: أوّل مشهدٍ شهده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غيّبت عنه، وإن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليراني الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أحدٍ، فاستقبل سعد بن معاذٍ، فقال له أنسٌ: يا أبا عمرٍو، أين؟ فقال: واهًا لريح الجنّة أجده دون أحدٍ، قال: فقاتلهم حتّى قتل، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فقالت أخته ـ عَمَّتِي الرُّبيِّع بنت النّضر ـ: فما عرفت أخي إلّا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب]، قال: فكانوا يرون أنّها نزلت فيه وفي أصحابه(١).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نتحلى بهذا الخلق العظيم وأن نكون مع الصادقين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة]. وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ**

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٥١٢/٣)، حديث ١٩٠٣.

Dipindai dengan CamScanner

صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

وقد أمرنا المولى تبارك وتعالى بالتحلِّي والتخلُّق بالصدق لحكمٍ جمةٍ، ففيه الثمرات الفريدة وفيه الفوائد العديدة التي تعود على الصادقين في الدنيا والآخرة بالخير والنفع العظيم.

ومن فوائد وبركات ونتائج الصدق:

أولًا: الصدق طريقٌ إلى البر، والكذب طريقٌ إلى الفجور كما يشهد لذلك الحديث المتقدم.

ثانيًا: انتفاء صفة النفاق عن الصادقين، ففي الصحيحين[2] عن أنس ابن مالك رضي الله عنه: «**ءايَةُ الْمُنَافِقِ[3] ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

ثالثًا: تفريج الكربات وإجابة الدعوات والنجاة من المهلكات كما يدل على ذلك قصة أصحاب الغار التي أخرجها البخاري[4]، فعن ابن عمر رضي الله

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٤/٢١٠١٣)، حديث ٢٦٠٧.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (١/١٦)، حديث ٣٣. **صحيح مسلم**، مسلم، (١/٧٨)، حديث ١٠٧.

(٣) أي في العمل وليس معناه أنه كافرٌ خارجٌ من الإسلام.

(٤) **صحيح البخاري**، البخاري، (٤/١٧٢)، حديث ٣٤٦٥.

Dipindai dengan CamScanner

عنهما أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أُرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أُرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ ءاتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ ءاتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

Dipindai dengan CamScanner

وقال الربيع بن سليمان:

صَـــبرُ جَمِيـلٌ مـا أسـرعَ الفرجـا مَـن صَـدَّقَ اللهَ في الأمـورِ نَجَـا

ونرى في سيرة السلف الصالح حرصهم الشديد على الصدق، فهذا الشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: عقدت أمري منذ طفولتي على الصدق فخرجت من مكة إلى بغداد لطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارًا لأستعين بها على معيشتي وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص فأخذوا القافلة، وقال لي واحد منهم: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظنَّ أني أهزأ فتركني، وسألني ءاخر فقلت: أربعون دينارًا فأخذها مني كبيرهم، فقال لي: ما حملك على الصدق؟ فقلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها، فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح وقال: أنت تخاف أن تخون أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله. ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب على يدك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعًا بسبب الصدق.

رابعًا: حسن العاقبة لأهله في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»**[1].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٦/٢٥)، حديث ٦٠٩٤.

Dipindai dengan CamScanner

خامسًا: ثقة الناس بالصادقين وثناؤهم الحسن عليهم كما ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك عن أنبيائه الكرام: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة مريم].

سادسًا: البركة في الكسب والزيادة في الخير، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١).

سابعًا: راحة القلب وطمأنينة النفس، قال صلى الله عليه وسلم: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**»(٢).

ثامنًا: التوفيق بإذن الله للخاتمة الحسنة وعليه قصة شداد بن الهاد التي مر ذكرها آنفًا.

تاسعًا: الثناء في الملأ الأعلى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا**». وكلمة «عند» للتشريف، وليست لإثبات تحيز الله فوق العرش، لأن «عند» تستعمل لغير المكان، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة هود]، إنما تدل «عند» هنا أن ذلك بعلم الله. وليس المعنى أن تلك الحجارة مجاورة لله تعالى في المكان. فمن يحتج بمجرد كلمة «عند» لإثبات المكان والتقارب بين الله وبين خلقه فهو من أجهل الجاهلين. وهل يقول عاقل إن تلك الحجارة التي أنزلها الله على أولئك الكفرة نزلت من العرش إليهم وكانت

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٦٤/٣)، حديث ٢١١٠.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (٦٦٨/٤)، حديث ٢٥١٨.

Dipindai dengan CamScanner

مكوّمة بمكان في جنب الله فوق العرش؟ حاشا لله، وتنزه عن قول الكافرين، فهو سبحانه موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، لا يتصف بالجسمية ولا بصفاتها.

تاسعًا: الفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة المائدة].

عاشرًا: يفوز بمنزلة الشهادة إن طلبها بصدق، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[1].

وغير ذلك من فوائد وثمرات الصدق. أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين في جميع أحوالنا وأقوالنا وأفعالنا، وأن يصرف عنا الكذب ويجعلنا من الملتزمين بوصايا هذا الإمام.

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واطرحِ الكِبْرَ جانبًا».

الشرح: أمرٌ بالتواضع وحملٌ على حسن الخلق، ونهيٌ عن الأخلاقِ الرذيلةِ وأمراض القلوبِ. هذا ما تحمله لنا هذه الوصيةُ التي سنخوضُ في استيفاءِ معناها وبيان مفادها وشرح مفرداتها وكشف مضمونها.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (١٥١٧/٣)، حديث ١٩٠٩.

Dipindai dengan CamScanner

إنَّ الكبر شعورٌ خادع بالاستعلاءِ مصحوبٌ باحتقار أشخاصٍ والترفع عليهم، فهو مرضٌ قلبيٌّ وداء نفسانيٌّ، قال تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة غافر]. وما يظهر من أفعال المتكبر ترجمةٌ لهذه الانفعالات، وعليه فهو ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن خلق في النفسِ، والظاهرُ أعمال تصدر عن الجوارح، فالأصلُ هو الخلقُ الذي في النفسِ من رؤية فوق المتكبَّر عليه. وبه ينفصل الكبر عن العجبِ، فإنَّ العجبَ لا يستدعي غير المعجب بنفسه.

ثم إن التكبر سمة تظهرُ في أعمال المتكبر حتى تعلو كلامه وحركاته وسكناته، فيمنعه كثيرًا نيل العلم وقبول الحقِّ والانقياد له.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة غافر]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النحل].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**[1] **مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ كِبْرٍ**»[2]. والعبد الكاملُ يرى في طاعة الله سكينته وترتاحُ لعبادته سبحانه نفسُهُ إذا علَّمها الخضوعَ والذلَّ له سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [سورة السجدة]، ووصفَ الله الصالحين في القرءان فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنِ

---

(١) أي مع الأولين.

(٢) المستدرك، الحاكم، (٧٨/١)، حديث ٦٩.

Dipindai dengan CamScanner

﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة فصلت]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الحجر].

وقد كان صلى الله عليه وسلم مثالًا يُحتَذى به في تواضعه وسمته، أليس قد وصفته عائشةُ رضي الله عنها بأنَّ خُلُقَهُ القرءان؟ فها هو يخبر عن نفسه فيقول: «**لَا ءاكُلُ مُتَّكِئًا**»[1]. وكان يجلس صلى الله عليه وسلم حيث انتهى به المجلس. وقال صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»[2]. وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «كانت الأَمَة[3] من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت»[4]. وكان الرجل إذا دخل على أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم يسأل: أيكم محمد؟ وقد كان من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبيت وقد ربط الحجر على بطنه من الجوع، وكان ينام على الحصير الخشن حتى يؤثر في جنبه صلى الله عليه وسلم. وكان عليه الصلاة والسلام يقعد مع العبيد والأرقاء ويأكل معهم ويدعوهم إلى بيته، فيطعمهم ويشهد

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٧٢/٧)، حديث ٥٣٩٨.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٦٧/٤)، حديث ٣٤٤٥.

(٣) معناه الصغيرة التي لا تشتهى.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (٢٠/٨)، حديث ٦٠٧٢.

Dipindai dengan CamScanner

جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويسلم على الصبيان في الطريق، ويخرج في قضاء حاجات الفقراء.

وهذا الصديق رضي الله عنه يودع جيش أسامة، وأسامة رضي الله عنه على فرسه وهو يسير على قدميه فيقول أسامة: لتركب أو لأنزل فيقول الصديق رضي الله عنه: وما لي لا أغبِّر قدمي ساعة في سبيل الله. ثم يستأذن الخليفة أبو بكرٍ رضي الله عنه أسامة في عمر فيقولُ: أتأذنُ لي بعمر أستعين به على أمور المسلمين.

وهذا عمر رضي الله عنه لبس ثيابه يوم الجمعة، وكان قد ذُبِحَ للعباسِ فرخان، وكان للعباسِ ميزاب على طريقِ عمر، فلمَّا وافى عمر الميزابَ صبَّ ماء بدمِ الفرخينِ فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه ـ أي الميزاب ـ ثم رجع فطرحَ ثيابه ولبس ثيابًا غيرها ثم جاء وصلى بالناسِ ثم أتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لمَا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك.

ويأخذنا الكلام إلى ذكرِ بعض أنواع الانحرافات الناتجة عن الكبر، فكثيرًا ما يوصل الكبر إلى رفض الحقِّ وازدراء الآخرين وسوء الظنّ بهم والكذب في مدح النفس وذكرها بما فيها وما ليس فيها، وسرعة الغضب، والانتقام وحبّ السيطرة والافتخار والرياء والمنِّ وردّ النصيحة.

وفي الختام نذكر العلاج منه: علاج الكبر يبدأ أولًا بالوعي بهذا الخلق المذموم وضرورة تعديله، ولهذا من المهم معرفةُ ضرر هذا المرض الخبيث ثم

Dipindai dengan CamScanner

الاستعاذة باللهِ سبحانه منه. قال سبحانه: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [سورة غافر].

فإذا تغيرت نظرته للمرضِ واتَّضحت له حقيقته ووضعه في موازين الإسلامِ للحكم عليه اجتهد بإذن الله للتخلص منه، وليكن على ذُكرٍ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر].

ومن حديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالأَرْضِ الذَّلُولِ**».

قال الغزالي[1]: «فَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَعْرِفَ[2] رَبَّهُ تَعَالَى وَيَكْفِيهِ ذَلِكَ فِي إِزَالَةِ الْكِبْرِ».

وممَّا ينفع لتجنب الكبر أن يستحضرَ أنَّ أوله نطفة مستقذرة وءاخره جيفة منتنة إلا ما رحم ربي، وأنه خرج من محل البولِ مرتين، مرةً من أبيه عندما كان نطفةً واستقرَّت في الرحمِ، ومرةً من أمه عندما وضعته من الموضع المحاذي لمخرج البول.

ويتذكر أنه ضعيف عاجزٌ تنتنه العرقة وتقتله الشرقة وتقلقه البقة، فلأيِّ شيء يتكبر بعد كلِّ هذا. وليذكر الموتَ والبلى، وليتفكر في حاله بعد دفنه، كيف أنَّ البطن ينفجر، والعيون تسيل على الخدود، ويخرج منه القيح

---

(١) الإحياء، الغزالي، (٣/٣٥٨).

(٢) معرفة اللهِ تكونُ بمعرفة ما يجب له من كونه سبحانه ليس جسمًا ولا يتصف بصفات الجسمية وأنه أزلي أبدي موجود بلا جهة ولا مكان، منزه عن الجلوس والقعود وكل صفات المخلوقين ومعاني المحدثين، مع تنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به سبحانه.

Dipindai dengan CamScanner

والدمُ والصديد، وتأكله الأفاعي والديدان والحشراتُ مع الظلمة الشديدة في القبرِ والرائحة النتنة والتئام الأرض وهو في بيت الوحشة والوحدة في رعبٍ وقلقٍ وخوفٍ وضعفٍ وعجزٍ لا يستطيع أن يدفع شيئًا من ذلك عن نفسه إلا من نجاه الله وسلَّمه وحفظه من ذلك.

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «وإيَّاكَ والغَدْرَ، وإنْ غَدَروا بك».

الشرح: شارف الإمام على إنهاء وصاياه ولم ينسَ تذكير تلميذه بأمرٍ عظيمٍ يقبح الاتصاف به ويحسن التخلق بضده، ألا وهو الغدر.

جاءنا الإسلام الحنيف بمدح الأخلاق الحسنة ودعوة الناسِ إلى التخلق بها وذمِّ الأخلاق القبيحة، وتحذير الناس منها.

ومن أخطر الأخلاق الفاسدة ما كان ناتجًا عن فساد القلبِ، لأنَّ صاحبه يكون سيئ النية، خبيث الطوية، ولذا حذَّر القرءان من المنافقين ومن الاتصاف بصفاتهم لأنهم أهل غدرٍ وخيانة، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [سورة المنافقون].

والغدر صفة ذميمة خسيسة يتصف بها من هو عاجزٌ عن مواجهة خصومه، فيغدر بهم في الخفاء ويخونهم وهم يأمنونه، وقد عدَّد النبي صلى الله عليه وسلم بعض صفات المنافق في العمل فقال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا**

Dipindai dengan CamScanner

أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1].

والغدر أخو الخيانة، وقد نهى الله عنهما فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأنفال]، وفي ءايةٍ أخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة النساء].

وفي الحديث القدسي قال صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي[2] ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»[3].

وفي الحديث الشريف: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا»، الحديث[4].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٣١/٣)، حديث ٢٤٥٩. قال النووي: الصحيحُ المختارُ أنَّ معناه أنَّ هذه الخصال خصال نفاقٍ وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصالِ ومتخلِّقٌ بأخلاقهم، فإنَّ النفاقَ هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجودٌ في صاحبِ هذه الخصال، ويكون نفاقه في حقِّ من حدَّثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناسِ لا أنَّه منافقٌ في الإسلام فيظهره ويبطن الكفر، ولم يرد النبيُّ صلى الله عليه وسلم بهذا أنَّه منافقٌ نفاقَ الكفَّار المخلَّدين في الدرك الأسفل من النار.

(٢) وفي رواية: «أَعْطَى بي العَهْدَ».

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (٨٢/٣)، حديث ٢٢٢٧.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (١٣٥٧/٣)، حديث ١٧٣١.

Dipindai dengan CamScanner

وحين زكَّى النبيُّ أصحاب القرون الثلاثة الأولى بيَّن ما يقع بعدهم من انتشار الغدر والخيانة فقال: «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ**»(١).

وأهلُ الغدر مفضوحون يوم القيامة كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»(٢).

ومهما ظنَّ الخائن الغدار أنه يدرك بالغدر والخيانة غايته ويحقِّق هدفه فهو مخطئٌ، إذ يرتدُّ عليه سوء عمله، وقد يخونه من خان لأجلهم، وقد يغدرون به كما غدرَ هو بغيره لهم، وشواهد ذلك من التاريخ، ومن الواقع المشاهد كثيرةٌ جدًّا.

والأصل في أهل الكفر أنهم يخونونَ ولا يؤتمنون، ويغدرون ولا يفون، ولذا انتشرَ في مذاهبهم بزعمهم أنَّ الغاية تسوِّغ الوسيلة، وانظر إلى تحذير القرءان من الكفّار الغدارين الخونة، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [سورة الأنفال]، وفي ءايةٍ أخرى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [سورة الأنفال].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٩١/٨)، حديث ٦٤٢٨.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (١٣٥٩/٣)، حديث ١٧٣٥.

Dipindai dengan CamScanner

وقد روي عن عمر رضي الله عنه قال: لا تأمنوهم إذ خوَّنهم الله عزَّ وجلّ.

وانظر إلى مثالين ضربهما القرءان في امرأتين عاشتا عند نبيّين فقال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة التحريم]، فكانتا تتجسسانِ على النبيين الكريمين، ولم تكن خيانتهما بالزنا، ولذا قال ابن عباسٍ رضي الله عنه: «ما زنت امرأة نبيٍّ قط».

ونذكر كيف أنَّ اليهود خانت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم يفوا بعهدهم، وكذا كفار مكة لمَّا عقدوا الصلح مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الحديبية لم يمكثوا على عهدهم إلا يسيرًا حتَّى نقضوه، فجاء الفتح ولله الحمد. نسأل الله السلامة.

وفي الحديث: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**»(١).

قال المناوي: «**فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**: بالكسر، أي بئس الشيء الذي يستبطن من أمره ويجعله بطانة».

فيا أيها القارئ أنت ترى حين تنحرف بعض النفوس عن هدى مولاها، وتعمى عن الحقِّ بصائرها كيفَ يستميت أصحابها في نشر باطلهم ويركبون سبلًا لتحقيق أهدافهم، نسأل الله السلامة.

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/١١١٣)، حديث ٣٣٥٤.

Dipindai dengan CamScanner

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «وأدِّ الأمانة وإن خانوك».

الشرح: قارن الإمام بين الأمانة والخيانة وقابل بينهما مرغِّبًا بالأولى ومنفّرًا من الثانية وقد تقدم الكلام على الغدر وهو والخيانة في وادٍ واحدٍ.

لقد وصف الله تعالى المؤمنين الصالحين الذين كتب الله سبحانه لهم الفلاح والرشاد في الدنيا والآخرة بأنهم يرعَون أماناتهم ويؤدونها حق الأداء. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المؤمنون].

يقول القرطبي: «والأمانة تعمُّ جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال».

والأمانة هي أداء الحقوقِ والمحافظة عليها، فالمسلم الكاملُ يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، يؤدِّي حقَّ الله ويحفظ جوارحه عن الحرام ويؤدِّي ما عليه تجاه الخلق.

والأمانةُ خُلُقٌ جليلٌ من أخلاق الإسلام، وأساسٌ من أسسه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب].

ولقد أمرنا الله تعالى بأداء الأمانات فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء].

والأمانة صفةٌ مميزةٌ لأصحاب الرسالة، فقد كان كلٌّ منهم يقول لقومه: إنِّي لكم رسولٌ أمين. ولقد اتصف النبيُّ صلى الله عليه وسلم منذ صغره

Dipindai dengan CamScanner

ولُقِّبَ بين قومه بالصادق الأمين، هذا ومع عداوة الكفار له لم ينفوا عنه هذه الصفة كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل حيث قال هرقل: سألتُك هل يغدر؟ فزعمتَ أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

ولقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة من أسباب كمال الإيمانِ، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «لا إيمان ـ أي كامل ـ لمن لا أمانة له».

وعن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**»(١).

وكانت من ءاخر وصايا النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الوصية بالأمانة، فقال: «**وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا**»، وَبَسَطَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ**»(٢).

وقد جعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم من علاماتِ الساعة عند فساد الزمان نزع الأمانة من قلوب الرجال، فعن حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٢٣٣/١١)، حديث ٦٦٥٢.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٠٠/٣٤، ٣٠١)، حديث ٢٠٦٩٥.

Dipindai dengan CamScanner

أنَّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرءان فعلموا من القرءان وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، ولقد أتى عليَّ زمان، ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيًّا رده علي ساعيه، وأما اليوم: فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا[1].

والأمانة أنواع:

١ـ الأمانة في العبادة: فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف فيؤدي فروض الدين كما ينبغي ويحافظ على الصلاة والصيام والزكاة وبر الوالدين وغير ذلك.

٢ـ الأمانة في حفظ الجوارح: فعلى المسلم أن يحافظ على جوارحه بأن لا يستعملها فيما يغضب الله سبحانه. فالعينُ عليه أن يغضَّها عن الحرام،

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥٢/٩)، حديث ٧٠٨٦.

Dipindai dengan CamScanner

ولُقِّبَ بين قومه بالصادق الأمين، هذا ومع عداوة الكفار له لم ينفوا عنه هذه الصفة كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل حيث قال هرقل: سألتُك هل يغدر؟ فزعمتَ أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

ولقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة من أسباب كمال الإيمانِ، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «لا إيمان ـ أي كامل ـ لمن لا أمانة له».

وعن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**»(١).

وكانت من ءاخر وصايا النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الوصية بالأمانة، فقال: «**وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا**»، وَبَسَطَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ**»(٢).

وقد جعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم من علاماتِ الساعة عند فساد الزمان نزع الأمانة من قلوب الرجال، فعن حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٢٣٣/١١)، حديث ٦٦٥٢.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٠٠/٣٤، ٣٠١)، حديث ٢٠٦٩٥.

Dipindai dengan CamScanner

أنَّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرءان فعلموا من القرءان وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، ولقد أتى عليَّ زمان، ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيًّا رده علي ساعيه، وأما اليوم: فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا[1].

والأمانة أنواع:

١ـ الأمانة في العبادة: فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف فيؤدي فروض الدين كما ينبغي ويحافظ على الصلاة والصيام والزكاة وبر الوالدين وغير ذلك.

٢ـ الأمانة في حفظ الجوارح: فعلى المسلم أن يحافظ على جوارحه بأن لا يستعملها فيما يغضب الله سبحانه. فالعينُ عليه أن يغضَّها عن الحرام،

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٥٢/٩)، حديث ٧٠٨٦.

Dipindai dengan CamScanner

والأذن يجنبها سماع الحرام، فعنه صلى الله عليه وسلم: «**الْعَيْنُ تَزْنِي**[1]، **وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ التَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ**»[2].

٣ـ الأمانة في الودائع: ومن الأمانة حفظ الودائع وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم ليحفظها لهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**»[3].

٤ـ الأمانة في العمل: ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجهٍ، والعامل التقي يتقن عمله ويؤديه بإجادةٍ وأمانةٍ.

٥ـ الأمانة في البيع والشراء: فالمسلم الكامل لا يغش ولا يغدر ولا يخون، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مرَّ برجلٍ

---

(١) أي أغلب العيون، ولا يدخل في هذا الحديث عيون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخسة كالنظرة المحرمة قبل النبوة وبعدها.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٩٦/١٤)، حديث ٨٣٥٦.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (١١٥/٣)، حديث ٢٣٨٧.

Dipindai dengan CamScanner

يبيع طعامًا فأعجبه فأدخل يده فيه فإذا هو طعامٌ مبلول فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ**»[1]، أي ليس على طريقتنا الكاملة.

وعن أبي هريرة رضي الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ[2]، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٢/٧٤٩)، حديث ٢٢٢٤.

(٢) وهنا تنبيهٌ أنَّ الرجل غلب على ظنِّه سلامة المال وعدم تلفه.

Dipindai dengan CamScanner

دِينَارٍ[1]، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا[2].

٦ـ الأمانة في حفظ الأسرار: فالمسلم الأمين يحفظ سرَّ أخيه ولا يخونه ولا يفشي أسراره، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»[3].

٧ـ الأمانة في الكلام: ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة فيعرف قدر الكلمة وأهميتها، فالكلمة قد تدخل صاحبها الجنة، وقد تدخله النار، وأخصُّ بكلامي هؤلاء المدرسين فقلَّ من يفتي بعلمٍ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

[سورة إبراهيم].

---

(١) هذا لأنَّه لم يتحقَّق أنَّ تلك الألف وصلته.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٣/٩٥)، حديث ٢٢٩١.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٢/١٠٦١)، حديث ١٤٣٧.

Dipindai dengan CamScanner

وعن معاذ بن جبلٍ قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة السجدة]، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة]، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟»، فقلت: بلى يا رَسولَ اللهِ، قال: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثم قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»، فقلت له: بلى يا نبي الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فقلت: يا رسول اللهِ، وإِنَّا لمُؤاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ به؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» أَوْ قَالَ: «عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»[1].

اللَّهُمَّ طهِّر قلوبنا من النفاق وعملنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة فإنك تعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (٣٦/٣٤٤، ٣٤٥)، حديث ٢٢٠١٦.

Dipindai dengan CamScanner

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «وتمسَّكْ بالوفاءِ».

الشرح: ءال بنا الحديثُ في هذا الكتاب القيِّم إلى الكلامِ على خلق زان صاحبه وشان فاقده، خلقٌ إذا انتشر بين الأحبة ملأ حياتهم صفاءً ونقاءً، وظللهم بالمودة والإخاء والمحبة والألفة.

وقد فهم مما تقدم الأمر به إذ نهى الإمام عن ضده.

إنه الوفاء! ما أجمله من خلقٍ وما أرقها من خصلة، وما أسماها من صفة. الوفاء خلقٌ جميل وكنزٌ ثمين.

والوفاء لغةً ضد الغدر، يقال: وفى بعهده وأوفى إذا أتمه ولم ينقض حفظه. وفي الاصطلاح هو حفظٌ للعهود والوعود وأداء للأمانات، واعتراف بالجميل، وصيانة للمودة والمحبة.

روي عن الأصمعي قال: إذا أردتَ أن تعرف وفاء الرجلِ ووفاء عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوّقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه.

والوفاء خلقٌ قلَّ من يتخلَّق به في زماننا، ولقلة وجود ذلك في الناس قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ﴾ [سورة الأعراف].

وقد ضرب به المثلُ في العزَّةِ والندرة فقالت العرب: هو أعزُّ من الوفاء.

يقول الله سبحانه وتعالى ءامرًا به: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة الأنعام]، وانظر إلى ما وردَ في القرءان في حقِّه سبحانه، يقول أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة التوبة]،

Dipindai dengan CamScanner

ويقول سبحانه: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [سورة الروم]، وقال عزَّ شأنه: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [سورة الزمر]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [سورة ءال عمران].

والوفاء من صفات المرسلين، فقد قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [سورة النجم]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [سورة مريم].

وعن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم ـ أي النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ، فزعمتَ أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي.

تنبيه مهم: ظاهر هذه الآية: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ أنَّ الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، وهذا الظاهر غير مراد بالآية قطعًا، إذ المسلم ينتفع بدعاء غيره مطلقًا، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ ۝٣٤﴾ [سورة إبراهيم]، وقال حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه مع نبيّنا الصلاة والسلام: ﴿فَهُوَ يَرَىٰ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [سورة النجم]، وقال حكاية عن

Dipindai dengan CamScanner

سيدنا نوح عليه مع نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النجم].

وثبت في «الصحيح» الحج عن الميت، وعن المريض الذي لا يمكنه السفر إلى الحج ولا يُرجى شفاؤه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع، قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: «**نَعَمْ**»(١).

وفي صحيح البخاري(٢) ومسلم(٣) أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**».

وصلاة الجنازة على الميت ينتفع بها الميت.

وهناك الكثير من الأحاديث الصحيحة تفيد أن المسلمَ ينتفع بعمل غيره، والله أعلم.

تتمة: والوفاء من سماتِ المؤمنين المتقين، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [سورة المؤمنون].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٨/٣)، حديث ١٨٥٤.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (٣٥/٣)، حديث ١٩٥٢.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (٨٠٣/٢)، حديث ١١٤٧.

Dipindai dengan CamScanner

وفي رأس ذلك كلِّه أن تقضي اللهَ حقَّه، فإنه سبحانه أحقُّ بالوفاء، وذلك يكون بطاعته وعبادته وتوحيده[1] وتمجيده وتنزيهه وتقديسه عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين.

وورد عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنّ امرأةً من جهينة جاءت إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالت: إنَّ أمي نذرت أن تحجَّ فلم تحجّ حتى ماتت، أفأحجُّ عنها؟ قال: «**نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ**»[2].

فإنَّ الله سبحانه قد أخذ على ذرية ءادم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال الله في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ

---

(١) اعلم أنَّ أعظمَ حقوقِ الله تعالى على عبادِهِ هوَ توحيدُه تعالى وأن لا يُشرَك به شيءٌ، لأنَّ الإشراكَ بالله هوَ أكبرُ ذنبٍ يقترِفُه العبدُ وهوَ الذَّنبُ الذي لا يغفرُه الله ويَغفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لمن يَشاءُ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء]. وكذلكَ جميعُ أنواعِ الكُفرِ لا يَغفرُها الله لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة محمد]. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من شهِدَ أَنْ لا إلـه إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأنّ محمدًا عبدُه ورسولُه وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه والجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ أدخَلَهُ الله الجنةَ على ما كانَ منَ العملِ**»، رواه البخاري ومسلم. وفي حديثٍ ءاخَر: «**فإنَّ الله حرَّمَ على النار من قالَ لا إلـهَ إلا الله يبتغي بذلكَ وجهَ الله**» رواه البخاري. ويجبُ قرنُ الإيمانِ برسالةِ محمدٍ بشهادةِ أن لا إلـهَ إلا الله وذلك أقلُّ شيءٍ يحصلُ به النجاةُ من الخلودِ الأبديّ في النارِ.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٨/٣)، حديث ١٨٥٢.

Dipindai dengan CamScanner

تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الأعراف].

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ ءادَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ**»[1]. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يس].

فمن أطاع ربَّه والتزم بشرعه وامتثل أمره واجتنب نهيه ووقف عند حدوده كانَ من أهل الوفاء مع الله سبحانه الذي أوجده من العدم وأحياه بالنعمِ وكرَّمه وأمره أن يعبده وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب].

فأين الوفاء مع الله ممن ينتهك الحرمات ويواقع المنكرات.

أين الوفاء مع الله ممن فرَّط في طاعة الله فضيَّع فرائضه واعتدى على حدوده.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١٣٣/٤)، حديث ٣٣٣٤.

Dipindai dengan CamScanner

وفي سنام ذلك كلِّه الوفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم. هذا الرسول الذي بذلَ كلَّ وسعٍ وتحمَّل كلَّ عناء من أجل أن يبلِّغ للعالمين رسالته، ما من خيرٍ إلا ودلَّ الأمة عليه، وما من شرٍّ إلا وحذَّر الأمَّة منه، بيَّن لنا الطريق وأنار لنا السبيلَ وتركنا على المحجة البيضاء الناصعة الواضحة، لا يزيغُ عنها إلا هالك.

فأين الوفاء منَّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أين نحن من سنته وهديه وشريعته؟ فالوفاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم يكون باتباع سنته والتخلقِ بأخلاقه والاقتداء به والدفاع عن دينه وعقيدته، والاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم أليس داخلًا في هذا؟! بلى والله.

وقد كان الأنصار أوفياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قال عوفُ ابن مالك رضي الله عنه: كنَّا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا، فقلتُ: قد بايعناك يا رسول الله فعلامَ نبايعك؟ قال: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا** ـ وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً ـ **وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا يناوله إياه[1].

وقد كان أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه وفيًّا، فعن جابر رضي الله عنه قال: «**لَوْ جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا**» ثَلاَثًا، فلم يَقدَم ـ أي لم يجئ ـ حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر أبو بكر مناديًا فنادى من كان له

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، (٢/٧٢١)، حديث ١٠٤٣.

Dipindai dengan CamScanner

عند النبي صلى الله عليه وسلم عدةٌ أو دينٌ، فليأتنا، فأتيته، فقلت: إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني فحثى ـ أي أبو بكر رضي الله عنه ـ لي ثلاثًا[1].

وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سراقة بن مالك رضي الله عنه، ففي حادثة الهجرة تبع سراقة النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأبا بكرٍ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**عُد يا سراقة ولك سوارا كسرى**»، فقُبِضَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وفي خلافة عمرَ رضي الله عنه بعد فتح المدائن جاء سوارا كسرى لعمر فنادى سراقة وكان قد أسلمَ وألبسه إياهما وقال: هذا ما وعدك به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهناك أنواعٌ من الوفاء، منها الوفاء مع العلماء وذلك باحترامهم وتوقيرهم والتواضع لهم والدعاء لهم والاقتداء بهم والتعلُّم على أيديهم، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ومن أجمل الأمثلة للوفاء مع العلماء وفاء أبي حنيفة لشيوخه، فقد كان رضي الله عنه يدعو لشيخه حمَّاد بن أبي سليمان مع أبويه في كلِّ صلاةٍ يصلِّيها، وكان يحفظ له ودَّه، ويذكره دائمًا ويترحَّم عليه ولا ينسى له فضله، يذكره بالخير ويثني على فضله وينوِّه بأثره فيه ويدعو له حتى قال رضي الله عنه: ما صلَّيتُ قطُّ إلا ودعوت لشيخي حمَّاد ولكلِّ من تعلَّمت منه علمًا أو علَّمته.

وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يكثر من الدعاء للشافعيِّ رضي الله عنه، فسأله ابنه عبد الله قائلًا: يا أبتِ، أيُّ شيء كان الشافعيُّ؟ فإنِّي سمعتك تكثر

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (٩٦/٣)، حديث ٢٢٩٧.

Dipindai dengan CamScanner

من الدعاء له، فقال: يا بني، كان الشافعي رضي الله عنه كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما عِوَض؟

والوفاء مع الوالدين أمرٌ عظيم، فإنَّ لهما فضلًا عظيمًا وحقًّا كبيرًا على أبنائهم، إذ لا يخفى ما يبذله الوالدان من غالٍ ونفيسٍ، وما يتحمَّلانِه من نَصَبٍ وتعبٍ في سبيل نشأة أبنائهم وتربيتهم ورعايتهم.

فإن كان الوالدان على غير الإسلامِ فأحسن معاملتك معهما علَّ الله يشرح صدرهما للإسلام بما يرون من فعلٍ حسنٍ منك.

وإن كانا على الإسلام فأطعهما في غير معصية الله، وتواضع لهما وأحسن إليهما، وادعُ لهما في حياتهما وبعد موتهما، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان].

ولا يفوتنا ذكر الوفاء بين الأزواج، فوفاء الزوجِ لزوجته يكونُ باحترامها وتقديرها والوفاء بما اشترطه على نفسه لها، ففي الحديث: «**أَحَقُّ الشُّرُوطِ**[1] **أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ**»[2]. ووفاء الزوجة لزوجها يكون بطاعته في غير معصية الله واحترامه وتقديره والوقوف إلى جانبه في عسره ويسره وعدمِ نكرانِ فضله وجحود عطائه.

تنبيه: ليس من خيانة الزوج لزوجته أن يتزوج غيرها بعد موتها أو في حياتها كما يقول السفهاء الجهلاء، فهذا عليٌّ رضي الله عنه تزوج بعد موت

---

(١) أي من أحقِّها.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (١٩٠/٣)، حديث ٢٧٢١.

Dipindai dengan CamScanner

السيدة فاطمة رضي الله عنها وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم السبطين وجدة الأقطاب والأولياء وحبيبة الله وحبيبة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان من حبِّه لها كان إذا دخلت عليه يقوم لها، فهذه ليست خيانة من سيدنا عليٍّ رضي الله عنه لسيدتنا فاطمة رضي الله عنها.

وليس من خيانة الزوجة لزوجها أن تتزوجَ غيره بعده إذا ماتَ ومضت عدَّتها، فليتنبه لذلك.

فبسبب تأثر بعض الناس اليومَ بعادات الكفار وبأعمال المخنثين الفسقة الفاجرين وبسبب الأفلام والتمثيليات والمسلسلات والتلفزيونات صار البعض يقولُ لمن تزوَّج مرة ثانيةً: هذه خيانة، أو يقولون: جهلة الأربعين، أو يقولون: لا يحقُّ له، وهذا معارضٌ للدين، مخالفٌ للقرءان، والذي أوقعهم في هذا الهلاك والفساد الكبير هو تركهم للتعاليم الإسلامية واتباعهم لعادات غير المسلمين.

وللوفاء فوائد منها:

١ ـ محبة الله تعالى: قال عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة ءال عمران].

٢ ـ الأجر العظيم: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الفتح].

وانظر رحمك الله إلى صفة المؤمنين الكمَّل، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الرعد].

Dipindai dengan CamScanner

فليعلم العبدُ أنه سيسألُ عن وفائه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء]، فماذا يكونُ جواب العبد إذا سئلَ عن وعوده وعهوده وعقوده التي أمر الله بالوفاء بها وأدائها، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴿٩١﴾﴾ [سورة النحل]، وقال عزَّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴿١﴾﴾ [سورة المائدة].

فماذا يكون جواب العبدِ إن أخلف وعده وضيَّع عهده وخان أمانته؟

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعتصِمْ بالتقوى».

الشرح: ودَّع الإمام تلميذه بما وصَّى به النبيُّ صلى الله عليه وسلم معاذًا حين قال له: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[1]. وقد أحبَّ الإمام أن يذكر في خواتيم وصاياه الاعتصام بالتقوى ليركِّزَ في نفسِ تلميذه أهميتها.

وقد خاض العلماء سابقًا في الكلام على التقوى حتَّى ألَّفوا فيها التآليف، لذا سيكون كلامنا نحن عن التقوى من ناحيتين:

الأولى: أهميتها. **والثانية:** ثمراتها.

وقبل الشروع في ذلكَ فلنقدِّم بتعريف التقوى ثمَّ بأقاويل وردت فيها:

أما عن تعريفها فهي أداء الواجبات واجتناب المحرمات. وقد روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه فسَّر التقوى بالاستقامة، فقال: أن لا تروغ روغان الثعلب، ومعناهُ أن تستقيم ظاهرًا وباطنًا على تقوى الله.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، (٤/٣٥٥)، حديث ١٩٨٧.

Dipindai dengan CamScanner

وورد عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

وروي عن ابن مسعود في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة ءال عمران] قال: «أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر».

وقيل: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

وقيل: المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين، أي زيادة على تجنب الحرام يبتعدون عن الشبهات ويتورعون مع التزام الواجبات.

خَلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ... فهو التُّقَى

واصنع كماشٍ فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى

لا تَحْقِرَنَّ صغيرةً ... إنَّ الجِبَال مِنَ الحَصَى

أهمية التقوى:

قد تكاثرت الأدلة في بيان أهمية التقوى ويكفي في بيان أهميتها:

١ـ **أمر الله بها عباده** حيث قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة النحل]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون].

Dipindai dengan CamScanner

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة الزمر].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة ءال عمران].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة النساء].

٢ ـ ووصية الأنبياء لقومهم:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ (١) نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الشعراء].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة الشعراء].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الشعراء].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة الشعراء].

---

(١) هذه الأخوة هي الأخوة القومية أي الذين هو من قومهم وهم قومه الذي أُرسِلَ إليهم، وليس أخوّة الدين، فهؤلاء أنبياء وأقوامهم كفار. وأما أخوّة الدين فهي ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات].

Dipindai dengan CamScanner

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة العنكبوت].

من ثمرات التقوى:

١ ـ محبة الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة التوبة]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة ءال عمران].

٢ ـ رحمة الله في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام].

٣ ـ سبب لعونِ الله ونصرته وتأييده: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل]، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة التوبة].

٤ ـ الأمان والنجاة: قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزمر].

Dipindai dengan CamScanner

٥ ـ تبعث في القلب النور: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ[1] يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحديد].

٦ ـ القوة على الشيطان: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة الأعراف].

٧ ـ وسيلة لنيل الأجر العظيم: قال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة ءال عمران].

٨ ـ الرزق: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف].

٩ ـ تفريج الكرب وتيسير الأمور: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطلاق]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [سورة الطلاق]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الليل].

١٠ ـ النصر على الأعداء وردّ كيدهم والنجاة من شرهم: قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) معناه اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله.

Dipindai dengan CamScanner

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة فصلت].

١١ ـ العاقبة للمتقين: قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة هود]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة القصص]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۚ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الرعد]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [سورة البقرة].

١٢ ـ انتفاعهم بالموعظة وتأثرهم بالذكر وتفكُّرهم بالآياتِ واهتداؤهم بها: قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة المائدة]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة النور]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحاقة].

Dipindai dengan CamScanner

١٣ ـ صفة لأولياء الله وطريقُ لولايته سبحانه: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس].

١٤ ـ العبرة عند الله بها: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات].

١٥ ـ أفضل ما يتزود به: قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة].

١٦ ـ القرءان بشرى للمتقين: قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة مريم].

١٧ ـ الأتقياء لا يتعادون يوم القيامة: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزخرف].

١٨ ـ صفة الأنبياء ومن اتبعهم اتباعًا كاملًا: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الزمر].

١٩ ـ سبب لنجاة العبد يوم القيامة: قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة مريم].

٢٠ ـ النعيم الخاصُّ في الجنة الذي لم يطَّلع عليه ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل: قال صلى الله عليه وسلم: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ،**

Dipindai dengan CamScanner

مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة][1].

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وعاشِرْ أهلَ الأديانِ حسَبَ معاشرتِهم لكَ».

الشرح: في هذه الوصية من الإمام لتلميذه الذي أعدَّه وتعب عليه إلى أن خرَّجه داعيةً يعتمد عليه في نشر الدين والإسلام ومكافحة المنكرات بأنواعها يؤكِّد عليه أن يخالط غير المسلمين وأن يعاملهم إن كان يرجو منفعةً ومصلحةً للمسلمين وللدين، إما بتقريبهم من الدين لفوائد عديدةٍ، منها أنهم قد يسلمون إذا رأوا حسن معاملة المسلمين من الصدق والأمانة وحفظ العهود والوعود ومحبة الخير للغير وبذل المعروف للناس والصبر على تحمُّلِ أذاهم، وبهذه المعاملة الراقية والأخلاق الحميدة التي جاء الإسلام بها وحضَّ عليها أسلم كثيرٌ من اليهود والنصارى والمشركين من غير أهل الكتاب ومن جميع فرق الكافرين. فهذه بلاد أندنوسيا وماليزيا الشاسعة الواسعة دخلها الإسلام بسبب أخلاق وصدق وأمانة التجار المسلمين، حيث رأى أهلها من المسلمين ما يحبِّبهم ويرغِّبهم بالإسلام فأسلموا. وكثير من البلاد دخلها الإسلام بسبب أخلاق الأولياء والصالحين والتجار وعامة المسلمين.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١١٦/٦)، حديث ٤٧٨٠.

Dipindai dengan CamScanner

ومن فوائد وثمرات نصيحة الإمام لتلميذه «وعاشر أهل الأديان حسب معاشرتهم لك» أنَّ من كان من غير المسلمين ورأى هذه الأخلاق التي تكلّمنا عنها إن لم يُسلِم فقد يحجم عن الإضرار بالمسلمين وإلحاق الأذى بهم، فيخفّف من شرِّه وضرره لما يرى من حسن معاملتهم.

فالإسلام لا ينهانا عن الإحسان لغير المسلمين، ولا ينهانا عن معاشرتهم ومخالطتهم مع التزامنا بأحكام ديننا.

ثم إنَّ مخالطة العالم والداعية وشيخ العلم لغير المسلمين هو بابٌ من أبواب نشر العلم وكشف الحقائق ورد الشبهات والزيف والأباطيل التي تفترى على المسلمين، ولا يكون في معاشرته لهم مداهنًا مضيِّعًا للحقِّ خانعًا متلوِّنًا، بل يقول الحقَّ ويدعو إليه بكلِّ صدقٍ وجرأةٍ وثبات مع مراعاة الحكمة والمصلحة العامة، فلا يُحسِّن لهم باطلًا، ولا يشجعهم على كفرٍ ولا يثني على محرَّمٍ، ولا يشجِّع على فساد، ولا يسكت عن ظلمٍ.

وكم من أمثلة رائعةٍ نأخذها من سيرة الأنبياء والأولياء في مخالطتهم ومعاشرتهم لغير المسلمين.

فقد روى البخاري[1] عن أنس رضي الله عنه أن غلامًا ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقال: «أَسْلِمْ»، فأسلم.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١١٧/٧)، حديث ٥٦٥٧.

Dipindai dengan CamScanner

وقد حصل مع سهل التستري أَنْ كان له جار مجوسي، وكان في نفس البيت في الطابق الأعلى، فانفتَحت فتحة في كنيف المجوسي، فكان يقع منها الأذى في دار سهل، فكان يضع كل يوم الجفنة تحت الفتحة، فينزل فيها الأذى، ثم يأخذ ذلك بالليل ثم يَطرحه بعيدًا، فمكث رحمه الله على هذا الحال زمانًا طويلًا إلى أن أتى سهلًا المرَضُ، فاستدعى سهل جاره المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فرأى الفتحة والقذر، فقال: ما هذا؟ قال سهل: هذا منذ زمن طويل يسقط من دارك، وأنا أتلقاه بالنهار وأُلقيه بالليل، ولولا أنه حضَرني أجلي ما أخبرتك، وأنا أخاف أن لا تتَّسع أخلاق غيري لذلك، فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ، أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل، وأنا مقيم على كفري، أيها الشيخ، مد يدك، فأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم مات سهل رحمة الله عليه.

وروى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي حديثَه مِن فيه، قال: قال: كنت رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها جَي، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يومًا، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في

Dipindai dengan CamScanner

بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته، قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدًا، ثم حبسني في بيته، قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، قال: فأخبروني بهم، قال: فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت

Dipindai dengan CamScanner

لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمك بذلك؟، قال: قلت أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه، قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلًا لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، قال: فأحببته حبًّا لم أحبه من قبله، فأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبًّا لم أحبه من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟، قال: أي بني والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلًا بالموصل، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به، قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله

Dipindai dengan CamScanner

ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا ءامرك أن تأتيه إلا رجلًا بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجرًا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجارًا، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم فأعطيتهموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبدًا، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا

Dipindai dengan CamScanner

أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء، حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم قال: فقربته إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، قال: ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته، عرف أني

Dipindai dengan CamScanner

أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تحول**» فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر، وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كاتب يا سلمان**»، فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير[1]، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**» فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعني: الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مائة ودية، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي**» قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل، وبقي علي المال، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب؟**»، قال: فدعيت له، فقال: «**خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان**»، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: «**خذها، فإن الله سيؤدي بها**

---

(١) أي بالحفر والغرس، يقال: فقرت الأرض إذا حفرتها، وفي النهاية: "فقير النخلة: حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها".

Dipindai dengan CamScanner

عنك»، قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد[1].

وقد سبق البيانُ أن المسلم لا يكون في معاشرته لغير المسلمين مداهنًا مضيِّعًا للحقِّ خانعًا متلوِّنًا، فانظر رحمك الله ما جرى بين الباقلاني وملك الروم، فقد روي أنَّ ملك الروم طلبَ من الخليفة أن يرسل إليه أحد علمائه ليسأله، فبعث له القاضي أبا بكر الباقلاني وكان أذكى علماء الإسلام في عصره. وعندما سمع ملك الروم بقدوم أبي بكر الباقلاني وهو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة، أمر حاشيته أن يُقَصّروا من طول الباب، بحيث لو دخل عليه الباقلاني يضطر إلى خفض رأسه وأعلى جسمه كهيئة الركوع، فيذلّ أمام ملك الروم وأمام حاشيته.

ولما حضر أبو بكر، عرف الحيلة فدار جسمه ودخل من الباب وهو يمشي للوراء بحيث دخل وقفاه موجه لملك الروم بدلًا من رأسه.

فلما دخل المجلس وكان مع الملك حاشيته من الرهابنة ورجال الكنيسة بادر العالم أبو بكر الباقلاني الرهابنة بالسؤال: كيف حالكم وكيف حال أهلكم وأولادكم؟

فأرعدوا وأزبدوا وغضب ملك الروم وقال: هؤلاء رهبان يتنزهون عن الزوجة والولد، فهم أشرف من أن يتخذوا زوجة وأطفالًا.

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (١٤٠/٣٩ ـ ١٤٧)، حديث ٢٣٧٣٧.

Dipindai dengan CamScanner

فقال أبو بكر: الله أكبر، تُنَزّه هؤلاء عن الزواج والإنجاب ثم تتهمون ربكم بمريم، ولا تنزهونه عن الولد؟! فزاد غضب الملك.

قال الملك وبكل وقاحة: فما قولك في عائشة التي زنت؟

قال أبو بكر: أما والله إنّ عائشة تزوجت ولم تنجب، وأمّا مريم فلم تتزوج وأنجبت. فأيهما أولى[1]. وكيف تتهم بالزنى التي لم تأت بولد وتنزه التي أتت بولد؟ أما نحن ففي القرءان نبرئهما الاثنتين.

فبهت الذي كفر.

وفي الختام، نودّ التحذير من التشبه بعادات وأعمال الكفار والفسقة الفجار، يقول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من تشبه بقومٍ فهو منهم**».

ثم إن التشبه بالكفار نوعان: تشبهٌ يوصل إلى الكفر، وتشبه دون ذلك.

وإن من البلاء اليوم تشبه بعض المسلمين بعادات الكفار في اللباس والأعمال والحركات والأسماء، فليحذر من ذلك.

---

(١) أي بزعمك، وهذا في معرض التهكم والتبكيت.

Dipindai dengan CamScanner

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ طه الأمين. تم شرح وصية الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه لتلميذه يوسف السمتي ولله الحمد والمنة.

Dipindai dengan CamScanner

من ءاثار الشَّارح

١. بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.

٢. أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.

٣. لُباب النُقول في تأويل حديث النزول.

٤. النجوم السارية في تأويل حديث الجارية.

٥. عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.

٦. التشرف بذكر أهل التصوف.

٧. فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.

٨. الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.

٩. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الأول.

١٠. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الثاني.

١١. القواعد القرءانية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.

١٢. البرهان المبيّن في ضوابط تكفير المعيّن.

١٣. نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.

١٤. نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.

١٥. قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.

١٦. لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.

١٧. التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.

١٨. القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.

Dipindai dengan CamScanner

١٩.الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.

٢٠.الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.

٢١.البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.

٢٢.مريم والمسيح في نص القرءان الصريح.

٢٣. جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.

٢٤. طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.

٢٥. لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.

٢٦. حقيقة التصوف الإسلامي.

٢٧. البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.

٢٨. جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي.

٢٩. المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي وهو الثبت الكبير.

٣٠.السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.

٣١.الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.

٣٢. زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.

٣٣. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الأول.

٣٤. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الثاني.

٣٥. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الثالث.

٣٦. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الرابع.

٣٧. الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان الحبشي خادم

Dipindai dengan CamScanner

السنة النبوية.

٣٨. جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.

٣٩. المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.

٤٠. السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.

٤١. المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.

٤٢. قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.

٤٣. تحقيق وتعليق على متن الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.

٤٤. لوامع الأهلة والنجم في جوامع أدلة الرجم.

٤٥. ضياء القمرين في نجاةِ والدَي الرَّسولِ ﷺ الشَّريفيْن.

٤٦. الطريقُ النوراني في عقيدة ابن حجر العسقلاني.

٤٧. الصراط المستقيم بشرح عقيدة القشيري عبد الكريم.

٤٨. درب السلامة في فوائد وإرشادات العلّامة أو سمعت الشيخ يقول.

٤٩. إسعاد الأرواح والقلوب بتبرئة نبي الله أيوب.

٥٠. شيخنا القائد الكرّار الشهيد الحلبي نزار.

٥١. تحقيق وتعليق على مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة للمقدسيّ.

٥٢. الفوائد الهررية على العقيدة السنوسية.

٥٣. النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.

٥٤. البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.

٥٥. معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.

Dipindai dengan CamScanner

٥٦. إجماع أهل التنزيل على إثبات حقيَّة التأويل.

٥٧. إجماع أهل الحق والفضيلة على جواز التوسّل والوسيلة.

٥٨. إسعاف فضلاء البشر بأدلة جواز التبرك من الكتاب والسنة والأثر.

٥٩. البوارق الإيمانية في إثبات أدلة الصوفيّة.

٦٠. محمّدنا كأنك تراه وتنظرُ إليه.

٦١. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول.

٦٢. الشرح الكبير لعقائد الإسلام المنير.

٦٣. شرح المقدمة الحضرمية المسمّى النفحات المسكية في فقه السادة الشافعية.

٦٤. السرور والابتهاج في مزارات المعتمرين والحجاج.

٦٥. النفحات الأشعرية على الخريدة البهية.

٦٦. الشذا العاطر في شرح عقيدة ابن عاشر.

٦٧. نيل البشارة بشرح عقيدة الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

٦٨. إسعاد النبلاء بمعرفة أحكام وأخبار النساء.

٦٩. تحقيق وتعليق على متن جوهرة التوحيد للفقيه إبراهيم اللقاني.

٧٠. الشرح الفريد لجوهرة التوحيد.

٧١. تسهيل المعاني إلى جوهرة اللقاني.

٧٢. العسجد والزبرجد على كتاب الأدب المفرد.

٧٣. بدر التمام في فضل أهل البيت الكرام ويليه إحياء الميت بفضائل أهل البيت.

Dipindai dengan CamScanner

٧٤. الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحةٌ.

٧٥. عقيدة المسلمين من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ويليه إجابة القاصي والداني بحل ألفاظ عقيدة القيرواني.

٧٦. تحذير الأخيار من التشبه بالكفار والفجار.

٧٧. إضاءة المنارة على صحة أو حسن حديث الزيارة.

٧٨. الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة.

٧٩. تحفة الأبرار في هجرة المختار.

٨٠. إدراك الأماني بشرح بدء الأمالي.

٨١. شرح الصدر في إثبات عذاب القبر.

٨٢. الردُّ العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي.

٨٣. تحذير الأمة من الطاعنين في النبيِّ والسُّنَّة.

٨٤. إفادة الأنام بشرح عقيدة العوام.

٨٥. طريق الجنة في شرح إضاءة الدُّجُنَّة.

٨٦. الشرح الأسمى لقوله تعالى {ثم دنا فتدلى}.

٨٧. الجداول المرضية في العقائد الإيمانية.

٨٨. تنبيه الأحياء على بعض ما في الإحياء.

٨٩. الشموس المكلّلة فيما تلقيته من الأحاديث المسلسلة.

٩٠. المورد المعين الجامع لكتب الأربعين.

٩١. إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام، وهو هذا الكتاب.

Dipindai dengan CamScanner

فِهرِست المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

-أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، وهبي سليمان غاوجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ.

-إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي.

-إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ورد شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات، محمود محمد خطاب السبكي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.

-إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين، أحمد الدمنهوري، دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

-الأحاديث المختارة، محمد بن عبد الواحد المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

-أحكام القرءان، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

-إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.

-أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الحسين بن علي الصيمري، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدرءاباد الهند.

-آداب الحسن البصري، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج.

Dipindai dengan CamScanner

-**الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
-**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.
-**أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري زين الدين أبو يحيى السنيكي، دار الكتاب الإسلامي.
-**الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
-**أصول الدين**، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي.
-**إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية**، عبد الله الهرري، شركة دار المشاريع، بيروت، ط٥، ١٤٣٦هـ.
-**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، علاء الدين ابن العطار، وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
-**إعلاء السنن**، ظفر أحمد العثماني التهانوي.
-**الإعلام بقواطع الإسلام**، ابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
-**إكمال المعلم بفوائد مسلم**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
-**إلجام العوام عن علم الكلام**، أبو حامد الغزالي.

Dipindai dengan CamScanner

-**الأمالي المطلقة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المسمى المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

-**الأنساب**، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر ءاباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

-**البر والصلة**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

-**تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية.

-**تاريخ خليفة بن خياط**، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري.

-**تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

-**تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

-**تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب**، محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ.

-**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، طاهر ابن محمد الأسفراييني أبو المظفر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة (ضمن الرسائل التسعة له)، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم.
-تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
-التذكار في أفضل الأذكار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي.
-التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
-تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي ابن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
-التحذير الشرعي الواجب، عبد الله الهرري، دار المشاريع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
-التعاون على النهي عن المنكر، عبد الله الهرري، شركة دار المشاريع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

Dipindai dengan CamScanner

- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، محي الدين النووي، المسمى المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- **تفسير الأسماء والصفات** (مخطوط)، أبو منصور البغدادي، مكتبة راشد أفندي، أنقرة.
- **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، محمد بن فتوح ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، محي الدين يحي بن شرف النووي، المطبعة المنيرية.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ر.
- **الجامع لأحكام القرءان = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.
- **الجامع لأخلاق الراوي وءاداب السامع**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض.

Dipindai dengan CamScanner

-**الجامع لأحكام القرءان**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ

-**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد محيي الدين الحنفي، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

-**الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية**، أبو بكر الصقلي.

-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ

-**دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد**، تقيّ الدين الحصنيّ.

-**الرفع والتكميل في الجرح والتعديل**، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي أبو الحسنات، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ

-**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، دار الكتب العلمية، بيروت.

-**سلسلة الدراسات العقدية عدد ٢**، أحمد نور سيف.

-**سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

Dipindai dengan CamScanner

-**سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار الفكر، بيروت. **ونسخة أخرى**: دار إحياء الكتب العربية.
-**سنن البيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
-**سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ. **ونسخة أخرى**: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
-**سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
-**السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
-**سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
-**شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد، مؤسسة الريان، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ.
-**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع**، أبو القاسم اللالكائي أبو القاسم، الرياض، ١٤٠٢هـ.
-**شرح عقيدة مالك الصغير**، عبد الوهاب البغدادي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٣٦هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-**شعب الإيمان**، أحمد بن الحسن البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ. **ونسخة أخرى**: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض المالكي.

-**صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

-**صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، المسمى المكتب الإسلامي، بيروت.

-**صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

-**صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-**صفة الصفوة**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ.

-**صيد الخاطر**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

-**الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-**طرح التثريب في شرح التقريب**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، دار إحياء التراث العربي.
-**العلل المتناهية**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
-**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
-**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ر.
-**الفتح المبين بشرح الأربعين**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
-**الفتن**، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
-**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ابن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧ر.
-**فضائل أبي حنيفة وأخباره ومناقبه**، أبو القاسم عبد الله السعدي المعروف بابن أبي العوام.

Dipindai dengan CamScanner

-فيض الباري شرح صحيح البخاري، محمد أنور شاه الكشميري، مطبعة حجازي، ١٣٥٧هـ.

-كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، دار الكتب العلمية.

-كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تقي الدين الحصني، دار الخير، دمشق، ١٩٩٤هـ.

-كفاية النبيه في شرح التنبيه، نجم الدين بن الرّفعة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ر.

- الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

-مرءاة الجنان وعبر اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله ابن أسعد اليافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٧٠ر.

-مجرد مقالات الأشعري، ابن فورك.

-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ.

- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-**مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

-**مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير**، أحمد محمد بالعيت الوقراوي، مجمع ابن عمر الإسلامي، القضارف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ر.

-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الملا علي القاري.

-**المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

-**مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

-**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

-**مسند الشاميين**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

-**مسند الشهاب**، أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

-**المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد ابن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-**معالم التنزيل في تفسير القرءان = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

-**المعجم الإسماعيلي**، أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

-**المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

-**معجم الشيوخ**، محمد الصيداوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

-**المعجم الصغير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

-**المعجم الكبير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

-**المعيد في أدب المفيد والمستفيد**، عبد الباسط بن موسى بن محمد ابن إسماعيل العلموي ثم الموقت الدمشقي الشافعيّ، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

-**مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، أبو محمد محمود ابن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

-مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى طاشكبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

-مقالات الكوثريّ، محمَّد زاهد بن الحسن بن عليّ الكوثريّ الحنفيّ، دار الأحناف، الرياض.

-مقدمة السعاية في كشف ما في شرح الوقاية، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي الحنفي، باكستان، ١٩٧٦ر.

-مقدمة عمدة الرعاية حاشية شرح الوقاية، عبد الحي اللكنوي، المطبع المجتبائي، دهلي، ١٣٤٠هـ.

-مقدمة الهداية، عبد الحي اللكنوي، ديوبند سهارنيور، ١٤٠١هـ.

-مناقب أبي حنيفة (مطبوع في نهاية الجواهر المضية)، علي بن سلطان القاري، حيدرءاباد، ١٣٣٢ر.

-المنثور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

-منح الجليل شرح مختصر خليل (في الفقه المالكيّ)، محمد عليّش المالكي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

Dipindai dengan CamScanner

-**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحي ابن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ر.
-**النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير**، عبد الحي اللكنوي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ
-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ

Dipindai dengan CamScanner

فهرست الموضوعات

التَّوطِئَة الـميزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان ١

اتِّصَالُ الشَّارِحِ بِالإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه في الفِقهِ وَرَسَائِلِهِ العَقَائِدِيَّة

وَالفُقَهَاءِ الحَنَفِيَّة ٦

سَنَدي فِي الفِقهِ الحَنَفِيّ ٦

الـمُسَلسَل بالفُقَهَاء الحَنَفِيَّة ٧

سَنَدِي فِي الفِقهِ الأَكبَرِ فِي أصولِ الدِّين ٩

سَنَدِي في الفِقهِ الأَبسَطِ في أُصُولِ الدِّين ١٠

سَنَدِي في الوَصِيَّةِ فِي أُصُولِ الدِّين ١٢

سَنَدِي بِالعَالِمِ وَالمُتَعَلِّم فِي أُصُولِ الدِّين ١٣

سَنَدِي فِي رسالَةِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى عَالِمِ البَصرَة الإِمامِ عُثمَانَ البَتِّيّ ١٤

سَنَدِي بِكُتُبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ الخَمسَة ١٥

ترجمة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ١٨

ـ اسمُهُ وكنيتُهُ ونسبُهُ وولادتُهُ وأخلاقُهُ ١٨

ـ طبقته ٢٢

ـ أحاديثُ رواها عن الصَّحَابة ٢٣

ـ شُيُوخُه وتَلَامِيذُه ٢٧

ـ ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيهِ ٣١

Dipindai dengan CamScanner

ـ عَقِيدَتُهُ ٤٠
ـ مِحَنه ٦٠
ـ وَفَاتُهُ ٦٤
ترجمة تلميذ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه الفقيه يوسف بن خالد السَّمتِي
..... ٦٦
ـ اسمه ولقبه ٦٦
ـ ولادته ٦٦
ـ شيوخه ٦٦
ـ صحبته لأبي حنيفة رضي الله عنه ٦٧
ـ تلاميذه ٦٨
ـ اتهامه بالزندقة والإرجاء ٦٨
ـ دفع التُّهَمِ عن السَّبتي ٦٩
ـ وفاته ٧٣
نُبذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشَّارِح ٧٤
نَسَبُ الشَّارح إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ٨٩
مُقدِّمةُ الكِتَاب ٩٠
وَصِيَّةُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ لِيُوسُفَ بنِ خَالدٍ السَّمْتِيِّ ٩٢

Dipindai dengan CamScanner

شَرْحُ وَصِيَّةِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ..... ٩٧
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «إذا دخلتَ البصرةَ واستقبَلَكَ الناسُ، وزاروكَ وعَرَفوا حقَّك، فأنزِلْ كلَّ رجلٍ منهم مَنْزِلَتَه»..... ٩٧
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأكْرِمْ أهلَ الشَّرفِ، وعظِّم أهلَ العلمِ»..... ١٠١
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وَوقِّر الشُّيوخَ»..... ١٠٧
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولاطِفِ الأحداثَ»..... ١١٠
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وتقرَّبْ مِنَ العامَّةِ»..... ١١٧
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ودارِ الفجارَ»..... ١١٩
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واصْحَبِ الأَخْيَارَ»..... ١٢٢
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تتهاوَنْ بالسُّلطانِ»..... ١٢٦
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تحقِرنَّ أحدًا يقصِدُك»..... ١٣٢
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تقصِّرنَّ في إقامةِ مودَّتِكَ إياهُم»..... ١٣٦
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تخرجنَّ سِرَّك إلى أحدٍ»..... ١٤٠
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تثقنَّ بصحبةِ أحدٍ حتى تمتحنه»..... ١٤٢

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُخَادِمْ خَسيسًا، ولا وضيعًا». ١٤٥

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تقولنَّ من الكلام ما يُنكَرُ عليكَ في ظاهرِهِ». ١٤٩

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وإياكَ والانبساطَ إلى السُّفهاءِ». ١٥٢

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تجيبنَّ دعوةً، ولا تَقْبَلنَّ هديةً». ١٥٥

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وعليك بالمداراة والصبرِ والاحتمالِ وحُسنِ الخلُقِ وسَعةِ الصَّدرِ». ١٥٨

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستَجِدَّ ثيابكَ». ١٦٢

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأكثرِ استعمالَ الطيبِ». ١٦٥

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وقرِّب مَجلِسَك، وليكن ذلك في أوقاتٍ معلومةٍ». ١٦٩

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واجعل لنفسك خَلوةً ترمُّ بها حوائِجَكَ». ١٧٠

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وابحث عن أخبارِ حشَمِك، وتَقدَّم في تقويمهِم وتأديبهِم». ١٧٣

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستَعْمِلْ في ذلك الرِّفْقَ». ١٧٦

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُكْثِرِ العَتَبَ فيهونَ العَذْلُ». ١٧٩

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تلِ تأديبَهم بنفسِكَ، فإنَّه أبقى لمائِك، وأهْيَبُ لك». ١٨١

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وحافِظْ على صلواتِكَ». ١٨٤

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وابذُل طعامك، فإنه ما سادَ بخيلٌ قطُّ». ١٨٩

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وليكنْ لكَ بِطانةٌ تُعرِّفُكَ أخبارَ الناسِ، فمتى عَرَفْتَ بفسادٍ بادرتَ إلى صلاحٍ، ومتى عرفْتَ بصلاحٍ فازْدَدْ رغبةً وعنايةً في ذلك». ١٩٦

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعمَدْ في زِيارةِ مَنْ يَزورُك ومن لا يَزورُك، والإحسانِ إلى من أحسن إليكَ، أو أساءَ». ٢٠٠

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وخذِ العفوَ وأمُرْ بالمعروفِ». ٢٠٦

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وتَغافَلْ عمَّا لا يَعْنِيكَ». ٢٠٨

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واتْرُكْ كلَّ من يؤذيكَ». ٢١١

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وبادر في إقامةِ الحقوقِ». ٢١٥

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن مَرِضَ من إخوانِكَ فَعُدْهُ بنفسِك، وتعاهَدْهُ برُسُلِك». ٢٢١

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن غابَ منهم فتفقَّدْ أحواله. ومنْ قعدَ منهم عنْك، فلا تقعُدْ أنت عنه». ٢٣٠

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وصِلْ مَنْ جفاكَ». ٢٣٥

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأكرِمْ مَن أتاك». ٢٣٨

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعفُ عمَّن أساءَ إليكَ». ٢٤٣

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومَن تكلَّمَ منهم بالقبيحِ فيك فتكلَّم فيه بالحَسَنِ الجميلِ». ٢٥٤

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن ماتَ قضيتَ له حقَّهُ». ٢٦٠

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن كانَتْ له فَرْحَةٌ هنَّيتَهُ بها». ٢٦٥

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن كانت له مصيبةٌ عزَّيتَهُ عنْهَا». ٢٦٩

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن أصابَهُ همٌّ فتوجَّعْ له بهِ». .. ٢٧٦

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومَنِ استنْهضَكَ لأمرٍ من أمورِهِ نهضْتَ لهُ». ٢٧٨

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومن استغاثَكَ فأغِثْهُ». ٢٨٣

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومَنِ استنْصَرَكَ فانصُرْهُ»..... ٢٨٧
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأظهِرِ التودُّدَ إلى الناسِ ما استطَعْتَ».
..... ٢٩٠
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأفشِ السلامَ، ولو على قومٍ لئامٍ».
..... ٢٩٣
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ومتى جمعَكَ وغيرَكَ مَجْلِسٌ، أو ضمَّك وإيَّاهم مسجِدٌ، وجرتِ المسائلُ، وخاضوا فيها بخلافِ ما عِنْدَك لم تُبْدِ لهم منك خلافًا. فإن سُئِلْتَ عنها! أجبتَ بما يَعْرِفُهُ القومُ، ثم تقولُ: وفيها قولٌ ءاخر كذا، وحُجَّته كذا، فإذا سَمِعوا مِنْكَ عَرَفُوا قدْرَكَ ومِقْدَارَك، وإن قالوا: هذا قول مَنْ؟ فقلْ: قولُ بعضِ الفقهاءِ. وإن استقرُّوا على ذلك، وألِفوهُ، وعَرَفوا مِقدارَك وعظَّموا محَلَّكَ، فأعطِ كلَّ مَنْ يختلِفُ إليك نوعًا من العلمِ ينظرونَ فيهِ، ويأخذُ كلٌّ منهم بحظِّ شيءٍ مِنْ ذلك»..... ٣٠٥
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وخذهُم بجليِّ العلمِ دونَ دَقيقِهِ».٣٢٦
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وءانِسْهُمْ ومَازِحْهُم أحيانا»..... ٣٣٢
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وحادِثْهُم، فإنَّها تجلُبُ المَوَدَّةَ وتستديمُ به مواظبةَ العلمِ»..... ٣٤٠
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وأطعِمْهُم أحيانًا»..... ٣٤٢
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واقضِ حوائجَهُم»..... ٣٥٠

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعرِفْ مقدارَهم»..... ٣٥٢
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وتَغَافلْ عن زلَّاتِهم»..... ٣٥٥
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وارفقْ بِهم»..... ٣٥٨
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وسَامِحْهُم»..... ٣٦٢
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُبدِ لأحدٍ منهم ضيقَ صدرٍ أو ضَجَرًا»..... ٣٦٦
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وكن كواحدٍ منهم»..... ٣٧٠
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وارضَ مِنْهُم ما ترضى لنفْسِكَ.. وعاملِ الناسَ مُعَامَلتَك لنفسِكَ»..... ٣٧٦
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستعِنْ على نفسِك بالصيانةِ لها، والمراقبةِ لأحوالها»..... ٣٧٨
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تضجَر لمن لا يضجَرُ عليك»..... ٣٨١
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ودعِ الشَّغَبَ»..... ٣٨٥
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستمِع لمنْ يستَمِعُ مِنْكَ»..... ٣٨٩
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «ولا تُكَلِّفِ النَّاسَ مَا لا يكلِّفوكَ، وارضَ لهم ما رَضُوا لنَفْسِهِم»..... ٣٩٣

Dipindai dengan CamScanner

قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وقدِّمْ حُسْنَ النيَّةِ»..... ٣٩٥
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واستعملِ الصِّدْقَ»..... ٤٠٣
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واطرحِ الكِبْرَ جانبًا»..... ٤١٠
قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «وإيَّاكَ والغَدْرَ، وإنْ غَدَروا بك». ٤١٥
قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «وتمسَّكْ بالوفاءِ»..... ٤٢٦
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «واعتصِمْ بالتقوى»..... ٤٣٥
قَالَ الإمامُ أَبُو حنيفةَ رضي اللهُ عنهُ: «وعاشِرْ أهلَ الأديانِ حسَبَ معاشرتِهم لكَ»..... ٤٤٢
من ءاثار الشَّارح ٤٥٣
فِهرِست المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع ٤٥٨

Dipindai dengan CamScanner

Dipindai dengan CamScanner

إرشاد الأنام
بشرح
وصايا أبي حنيفة الإمام

هو الشرح الأول على حسب علمنا لوصية هذا الإمام العظيم التي زوَّد بها تلميذه الفقيه يوسف السمتي لتكون منهاجًا له في عمله في مجال الدعوة إلى الله ونورًا يستضيئ به ورشادًا يسترشد بضيائه لجمع الناس على طلب العلم والعمل للآخرة لأنه الطريق إلى قلوبهم. ولقد حرص الإمام وأكّد على تلميذه العمل بهذه الوصية ليصل إلى الهدف المرجو وتحصيل الفائدة في نشر دين الإسلام وعلومه. ولمّا كانت هذه الوصية في هذه الأهمية، فإننا نوصي بها كل الدعاة والمشايخ أن يحذوا حذو الأئمة الكبار في التلطف واتباع الحكمة مع الناس ليؤثروا في قلوبهم ويقربوهم من طاعة الله عز وجل ليربحوا وينجحوا في الدنيا والآخرة. وكل المقصود هو النجاة من الأهوال العظام في الآخرة ونيل الدرجات في أعلى الجنات بعد الممات. فهنيئا لمن عمل بهذه الوصية وبما تضمنته من إرشادات ونصائح وفوائد تقرِّب للدعاة البعيد وتسهّل الصعاب وتذلّل الطريق في البلوغ إلى تحقيق المراد.

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
النويري - بيروت - لبنان تلفون: ٠١/٦٤٦٧٠٩

Dipindai dengan CamScanner